مجموعة رسائل ابن عربي

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الثالث

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

(٢)

العبادلة

- الشيخ الأكبر ابن عربي .
- سلوك الشيخ الأكبر .
- القسم الأول : من كلام العبادلة في الحقائق وفيه خمسة أجزاء .
- القسم الثاني : في كلام العبادلة في الحقائق بألسنة الأسماء .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

من غيب أحديتك حمدت نفسك يا غيب الغيوب . . . ومن أقرب مراتبك سمعنا حمدك على لسان الأمين . . . فصمتنا ، وخشعت القلوب ، وعنت الجوارح ، وحارت الأفهام .

فلك الحمد بما أنت به أعلم .

ومن غيب أحديتك ، صليت على إنسان عين الوجود ، ودارت الأملاك في أفلاكها تردد صلاتك على رائدها ومعلمها .

فعليه الصلاة والسلام عدد كمالك . كما يليق بكمالك ، فما قدرناك حق قدره ، وما قدرناه حق قدره .

رباه . . يا مغيث من دعاه ومجير من عصاه .

أسألك علماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قيماً ، وأسألك العافية من كل بلية وأستلهمك العون من تجليات رحمانيتك التي علمت بها الإنسان روائع البيان .

اللّهم قوة في الروح تقربني من مشارف إدراكات الشيخ الأكبر ، لأكون بما تحب ناطقاً ، ولما يرضيك مدركاً ، ولتحقيق وحدتك وأحديتك مترجماً .

أعوذ برضاك من سخطك ، وبرحمتك من غضبك ، وبك منك ، فأشهدني في بلائك ما تشهدني في نعمائك ، وأفن نفسي عن حركاتها ، حتى تتخلص من مراتبها المتفرقة ، إلى وحدة النظر ، ومجتمع الفيض .

اللّٰهم وصلِّ وسلِّم وبارك على عين الأعيان ، وعلم العرفان سيدنا محمد ، نبي الرحمة ، وكاشف الغمة ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادي إلى سواء السبيل .

عبد القادر أحمد عطا

الشيخ الأكبر ابن عربي

قمة من قمم الفكر العالمي عامة ، والفكر الإسلامي خاصة ، وقفت ملايين العيون عند كتبه ، وانبهرت ملايين العقول أمام مبتكراته ، شغل به الجهابذة من العلماء قديماً بين إتهام ودفاع ، وبين رد وتعقيب ، فكان بركة على العلم ، حيث أسفرت تلك المعارك عن عشرات الكتب ، التي تناولت أمهات المسائل الصوفية بالبحث والتدقيق .

وشغل به الجهابذة من العلماء ، حديثاً في مدرجات الجامعات ، وأبهاء المناقشة في كل أنحاء العالم ، حتى صار فهم سطور قليلة من أقواله مؤهلاً يؤهل الفائز به للتصدر بين أساتذة الجامعات ، فكان بركة على العلم حيث حرك العقول نحو تطور هائل في ميادين المعرفة ، وطفرات واسعة في مجالات اللانهائي المجهول وأسفرت تلك الحركة عن مئات الرسائل والكتب ، وتناولت علمه وفنه في مختلف المجالات .

جلجل صوته في المشرق والمغرب ، وهو يجوب أقطار الأقطار استكشافاً للمعرفة ، ويجتاز أوعر المسالك وأشقها على أعتى العقول البشرية ، وأشدها بأساً ، تحقيقاً للسلوك ، وتأصيلاً للوعي الروحي العميق . . . حتى صار الشيخ الأكبر بحق .

الشيخ الأكبر . . هكذا عرفه فلاسفة التصوف ، وشيوخ السلوك ، وأرباب السياحات والساحات ، والخلوات والجلوات ، وعمار المدائن والفلوات ، وفلاسفة العقل ، والأدباء والشعراء ، ومدارس العلم في أحقاب التاريخ القديم والجديد .

هكـذا عرفـوه ، دون اسم ولا إشارة ولا وسم ولا عـلامة من عـلامات التمييـز التي تعـارف الناس عليهـا ، وتلك أم الدلالات على عـظمة الـرجل وطـول باعـه ، وعلى أنه مس الأفكار الراقية ، فأطلق فيها طـاقة هـائلة من طاقـات العمل والقـوة ، هزتها في عنف وعزم ورفق ، ووجهتها نحوه في اقتدار .

وكـانت تلك السمة الأولى من سمـات عـظمتـه ، هي شهـرة العـظمـة ، لا عظمة الشهـرة ، إذا حاولنـا أن نميز عـظمة أصيلة من عـظمة زائفـة ، وإذا علمنا أن عـظمة الشهـرة وحدهـا إنما تـدفع صـاحبها إلى أغـوار النسيان إن لم نقـذف به مـع ذلك إلى الحضيض .

فإذا استتمت للرجل العظيم شهرة العظمة ، جمع بينها وبين عـظمة الشهـرة ، واستحـالت تلك التي كـانت وحـدهـا بـالأمس مصـدر تـوجس وقلق ، إلى لـون من البريق الذي يؤازر شهرة العظمة ، فيخلد صاحبه على مر القرون .

هكذا كان شيخنا الأكبر (رضوان الله تعالىٰ عليه)، عظيمـاً في شهرتـه ، شهيراً في عـظمته . نبعت عـظمته من عـظمة الآفـاق التي ارتادهـا . ومن عظمـة العقـول التي شغلت بـه مؤيده أو معتـرضه ، لأنهـا أجمع بـاحثة عن الحق ، مـرتادة للقـويم من العلم ، وإن أستنار الطريق أمام بعضها ، واستعصىٰ على بعضها الآخر .

ذلك هو الشيخ الأكبر ، أبـو بكر محي الـدين ، محمد بن علي بن محمـد بن أحمـد بن عبد الله الـطائي الحاتمي المـرسي ، المعـروف بـابن عـربي ، وبـالشيـخ الأكبـر . ولـد في «مـرسيـة» من أعمـال «أنـد الـوزي» إحـدى ولايـات «الأنـدلس» المعـروفة الآن «بـاسبانيـا» سنة خمسمـائة وستين من الهجـرة ، ألف ومـائـة وخمس وستين من الميلاد ، في شهر رمضان المبارك .

كان أبوه رجلاً صالحاً عابـداً تقياً ، يـدمن قراءة سـورة يس ، وكانت لـه معها صحبة جربها في دفعة نحـو الخير والصـلاح . وكان يحث ولـده على مسلكه الـذي اختاره لنفسه بنفسه .

وأمه «نورة» . كانت آية من آيـات الله في التقوىٰ والصـلاح والورع . فلم تكن كـالنسـاء تغـار على ولـدهـا ممن يصحب من الشيـوخ ؛ حتى لقـد دفعتـه دفعـاً إلى خدمة الشيخـة الصالحـة «فاطمـة بنت المثني القرطبي» ، وكـانت الشيخة الصـالحة تقول للفتىٰ محي الدين : «أنا أمك الروحية . ونور أمك الترابية» .

وخاله «يحيى بن يغان» كان من ملوك تلمسان ، ولكنه هجر الملك . ولجأ إلى طريق الله عابداً زاهداً متقشفاً . على أثر مناقشة بينه وبين أحد الزهاد ندد فيها الزاهد بمسالك الملوك وترفهم .

فالبيت كله بيت تقوىٰ وصلاح . والبيئة الأندلسية بما فيها من طيب الهواء والصفاء وذكاء الأفهام . ومرسيليا وأشبيلية اللتان تعتبران من أمهات حواضر الأندلس في عهد الموحدين ونشاط التصوف وفنون العلم الأخرىٰ كل ذلك كان من العوامل التي تضافرت على خلق عبقرية الشيخ الأكبر .

ولما ترعرع رحل إلى «أسبيلية» . وأخذ عن «ابن بشكوال» وغيره من المشاهير . ثم رحل إلى المشرق . فمكث في «مكة المكرمة» مدة ، ثم رحل إلى مصر والشام والعراق . و «سيواس» حتى وصل إلى «قونيه» ببلاد الروم ، وتزوج هناك بوالدة الشيخ «صدر الدين القونوي» وصار له أباً روحياً . وكان يُلقب آنذاك بالشيخ الكبير .

ثم رحل ثانياً إلى الشام . وتوفي هناك سنة ستمائة وثمان وثلاثين من الهجرة . ألف ومائتين وأربعين من الميلاد . ودفن في سفح «قاسيون بالصالحية» وترك ولدين . هما : محمد سعد الدين[1] . وثانيهما محمد عماد الدين[2] .

وكان قد هز الفكر هزة لم يطقها كثير من العلماء فأخفوا قبره إلى أن رفعت عنه أيدي الإخفاء في أيام السلطان سليم الأول . وتروى عنه المراجع أنه تنبأ بذلك حيث قال : «إذا دخل السين في الشين ، ظهر قبر محي الدين» .

ولقد بني على قبره قبة عظيمة . وعمر مسجد كبير وتكية للفقراء ، ولا زال المسجد معموراً إلى اليوم .

حركات العلماء من حوله :

أثار جمع من متأخري الحنابلة التأثرات حول كلمات مجازية للشيخ الأكبر . فطعنوا عليه . وأتهموه بالزندقة ، ولكن كثيراً من غير العلماء أشتهرت لديه تهمة

---

(١) ولد في رمضان عام ٦١٨ هجرية في «ملاطية» وكان مدرساً للحديث راوياً له وكان شاعراً وله ديوان وتوفي عام ستمائة وستة وخمسين .

(٢) توفي عام ٦٠٧ هجرية ودفن بجوار والده .

الزندقة ودوافعها . وانبرى كثير من العلماء للدفاع عن الشيخ دفاعاً مجيداً قائماً على أصول الشريعة السمحة . فأقاموا الحق في نصابه ومنهم :

١ ـ الشيخ جلال الدين السيوطي : في كاتبه «براءة ابن العربي من طعن الغبي» .

٢ ـ الشيخ صلاح الدين العشاقي : في كتابه «مفتاح الوجود الأشهر في توجيه كلام الشيخ الأكبر» .

٣ ـ الشيخ عمر أفندي : حفيد العلامة الشيخ أحمد العطار في كتابه : «الفتح المبين في رد اعتراض المعترضين على محي الدين» .

٤ ـ ملا كاتب جلبي ، في كتابه : «ميزان الحق في اختيار الأحق» .

٥ ـ الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه : «اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر» وكتابه : «تنبيه الأغنياء على قطرة من علوم الأولياء» .

٦ ـ الشيخ صاوي عبد الله أفندي شارح المثنوي . في كتابه : «مرآة الأصفياء» .

٧ ـ الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس . في كتابه : «الاغتباط» .

٨ ـ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلاني في كتابه الفتاوى الحديثية . ذكر فصلاً رد فيه على من أنكر على الشيخ الأكبر . وفي كتابه : «الانتصار لأئمة الأمصار» كذلك .

٩ ـ الشيخ عبد النبي النابلسي . في كتابه : «الرد المتين على منتقص العارف محي الدين» .

١٠ ـ الولي محمد بن محمد القاضي . في رسالته : «إثبات خاتم الأولياء» .

١١ ـ جركس زادة توفيق أفندي . في كتابه : «اللوائح القدسية» .

١٢ ـ الشيخ ملا عبد الرحمن الجامي . شارح الفصوص : «نفحات الأنس» ذكر فصلاً مستقلاً في علو مكانة الشيخ الأكبر وتبرئة ساحته .

١٣ ـ الشيخ إسماعيل حقي ، صاحب «روح البيان» ذكر في كتابه : «الخطاب» كثيراً من مناقب الشيخ الأكبر وترجمه بالولاية الكبرى ، والسداد في كل آرائه .

١٤ ـ ما ذكره المقري في «نفح الطيب» واليافعي في «مرآة الجبان» مما يشهد له

بمرتبته الكبرى .

١٥ . جميع شراح الفصوص للشيخ الأكبر شهدوا له بالإستقامة ، وعلو المنزلة ، وسلامة العقيدة ، وهم كثيرون ومنهم صدر الدين القونوي ، ومؤيد الدين الجندي ، والجامي ، وسعد الدين الفرغاني وداود القيصري ، والقاشاني ، وعبد الله بوسنوي ، وبالي أفندي صوفية وي ، وقرة باش ولي ، والإمام النابلسي ، وصدر الدين بركة ، وركن الدين الشيرازي ، وعفيف الدين التلمساني ، كمال الدين الزملكاني ، وبير علي الهندي ، وبايزيد الرومي ، ومظفر الدين الشيرازي ، ومحمود ودادي ، وخواجة بارسا ، والسيد علي الهمداني ، ومحمد بن علي القاضي ، ومصطفى معنوي أفندي ، وأمير علي ، ومحمد أفندي يازجي ومحمد وزير غياث الدين ، وبابا نعمة الله ، والشريف ناصر الدين الحسيني الجيلاني ، وفياض اللاهيجي ، وضياء الدين الأصفهاني ، ومحمد بن مصلح التبريزي ، ومحمد قطب الدين الزنبيقي ، ويعقوب خان كشغري ، وغيرهم[١] (رضي الله عنهم أجمعين) .

ومع هذه الكتب العديدة التي حفلت بالدفاع عن الشيخ الأكبر ، فإن هناك أسئلة رفعت إلى كبار العلماء في كل عصر من بعض المنكرين عليه أو الشاكين فيه ، وأجيب عليها بفتاوى هي مقطع الحق في تلك المشكلة ومنها :

١ ـ جاء في فتوى علامة الروم «ابن كمال» . . وبعد «الشيخ الأكبر ، والمقتدي الأكرم ، قطب العارفين ، وإمام الموحدين ، محمد بن علي العربي الطائي الحاتمي الأندلسي ، مجتهد كامل ، ومرشد فاضل ، له مناقب عجيبة ، وخوارق عادة ، وتلامذة مقبولة عند العلماء والفضلاء ، ومن أنكر فقد أخطأ ، ومن أصر على إنكاره فقد ضل وله مصنفات كثيرة منها : «فصوص حكمية ، وفتوحات مكية» بعض مسائلها مفهوم اللفظ والمعنى ، وموافق للأمر الإلهي ، والشرع النبوي ، وبعضها خفي عن إدراك أهل الظاهر ، دون أهل الكشف والباطن ، فمن لم يطلع على المرام ، يجب عليه السكوت في هذا المقام ، لقوله تعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾ .

---

(١) البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر .

٢ ـ وفي جواب قاضي القضاة ، أبي قاسم البيضاوي ، عن سؤال رفع إليه بشأن كتب الشيخ الأكبر ، هل يحل إقراؤها وقراءتها أم لا ؟ قال : « الذي أعتقده في حال المسؤول عنه ، وأدين الله عليه ، أنه كان شيخ الطريقة علماً وحالاً ، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً ، ومحي رسوم المعارف فضلاً واسماً ، إذا نقل فكر المرء في طرف من مجده غرق :

وما علي إذا ما قلت معتقدي   دع الجهول يظن الجهل عدوانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه   ما زدت إلاّ لعلي زدت نقصانا

ومن خواص كتبه ، أن من واظب على قراءتها والنظر فيها . أنشرح صدره على حل المشكلات . وفك المعضلات .

٣ ـ في جواب الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني عن سؤال رفع إليه من تلميذه شمس الدين السخاوي ، عن الشيخ الأكبر . . . وأما حضرة الشيخ . فهو البحر المواج الذي لا ساحل له . ولا يسمع لموجه غطيط ، بل كلامه صهباء في لجة عمياء ، الحاتمي لا نعت يضبطه ، ولا مقام ولا حال يعينه ، فمن قال إن له نعتاً ، فليس له علم به» .

٤ ـ جاء في باب الردة ، في شرح كتاب الروض ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري : «والحق أن طائفة ابن عربي كلهم أخيار ، وكلامهم جار على إصطلاحهم كسائر الصوفية ، وهو حقيقة عندهم في مرادهم ، وإن إفتقر عند غيرهم ـ ممن لو اعتقد ظاهراً كفر ـ إلى التأويل ، واللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الإصطلاحي ، مجاز في غيره ، فاعتقادهم بمعناه إعتقاد بمعنى صحيح ، وقد نص على ولاية ابن عربي جماعة عارفون علماء بالله ، ومنهم الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، والشيخ عبد الله اليافعي ، ولا يقدح فيه ولا في طائفته ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفية ، لما قلنا ولأنه قد يصدر من العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، بحيث تضمحل ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته ، ويغيب عن كل ما سواه ، عبارات تشعر بالحلول والإتحاد ، لقصور العبارة عن بيان الحالة التي ترقى إليها ، وليس منها شيء كما قال العلامة سعد الدين التفتازاني وغيره :

فإذا كنت في المعارف غرا   ثم أبصرت صادقاً لا تمار
لا تكن منكراً فثم أمور   لطوال الرجال لا للقصار

وإذا لـم تـر الـهـلال فـسـلم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

ثم قـال : والله ، والله ، والله مـا كتب (رضي الله عنـه) إلاَّ مـا علم ، ومـا علم إلاَّ مـا شهد من صـور المعلومات على مـا هي عليه ، واضـطربت العقـول فيـه لإنكارها ، وبالجملة ، فالسلامة أولى خصوصاً في الشيخ (رضي الله عنه)» .

٥ ـ يقـول الإمام اليـافعي في مرآة الجنـان عن الشيخ الأكبـر : قدوة الأوليـاء علماً وفقهاً ، ظـاهراً وبـاطناً ، قـد فخموه تفخيمـاً عظيمـاً ، ومدحـوا كلامـه مدحـاً كريماً ، ووصفوه بعلو المقامات ، وأخبروا عنه بما يطول ذكره من الكرامات .

ويقـول في كتابـه «الإرشاد» : أن الشيـخ الأكبـر كـان يجتمـع بـالسهـروردي فينشغل كل منهما بالمراقبة ، ثم يفتـرقان دون أن يتحـدثا ، فـإذا سئل الشيـخ الأكبر عن الإمام السهروردي قـال : إنه متصف من فـرقه إلى أنـامله بالسنـة النبويـة . وإذا سئـل الإمام السهـروردي عن الشيخ الأكبـر يقول : إنـه بحر الحقـائق . ويقـول ابن الزملكاني : من لم يدرك معاني الشيخ فليأتني لأحلها له واحدة واحدة .

تلك شهادات أئمة العلم والسنة والشريعة ، للشيخ الأكبـر ، فما علينـا إذا لم يفقه الجامدون المتحجرون على ظواهر اللغة وبعض مجازاتها البلاغيـة والوصفيـة ، وكـأن الله تعالىٰ لم يخلق إدراكـاً بعد ذلـك لمـدرك أو علمـاً لعـالم ومن أمثلة ذلـك الجمود أن المنكرين عليه أكفروه في مسألة الحـائط التي مثلت به النبـوة لرسـول الله (ص) في منامه .

روى البخـاري في باب ختم النبيين أن رسـول الله (ص) قـال : «مثلي ومثـل الأنبياء من قبلي كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها ، إلاَّ مـوضع لبنـة ، فجعل النـاس يدخلونها ، ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنـة !! فأنـا اللبنة » . ويقـول الشيخ الأكبـر في هذا الحـديث : إنـه (ص) أشـار بهـذا إلى أنـه ختمت بـه النبـوة ، وأن كمالها كان به ، حيث تم الحـائط المذكـور بجنانـه الشريف ، حيث كـان عبارة عن تلك اللبنة التي كان كمـال الحائط بهـا . . . ثم قال : إن كـل من له الختميـة لا بد وأن يـرىٰ هذه الـرؤيا في عـالم المثال ، وذكـر أن من لـه الختميـة ثـلاثـة : محمـد (ص) ، فإنه خاتم الأنبياء ، وعيسىٰ لأنـه خاتم الـولاية مـطلقاً ، فـلا ولي بعده[1] .

(١) هـذا لا يعني أن رسول الله (ص) ليس وليـاً مع نبـوتـه ورسـالتـه . فكـل نبي ولي ولا عكس . فالولاية ثابتـة لسيدنـا محمد (ص) بحكم نبـوته ، والـولاية عـامة وخـاصة ، فعيسىٰ (ع) خـاتم =

فبقي الثالث وهو خاتم الولاية المحمدية وهو العارف محي الدين . وقد قال في ذلك شعراً :

فلكل عصر واحد يسمو به وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

وحيث أن الختمين[1] لا بد وأن يريا هذه الرؤيا ، فإن رأياها رأياً الحائط ناقصاً عن موضع غضهما من حيث أنهما يأخذان عن الله تعالى ، وهي لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، حيث أنهما يأخذان عن الله تعالى بواسطة سيدنا محمد (ص) ، فالفضة له (ص) ، والذهب لهما . قال السعد (رحمه الله) : أنظر إلى هذا الرجل كيف فضل نفسه على سيد الخلق ، ولم يرض بالمساواة حيث جعل لبنة نفسه الذهبية ، ولبنة سيدنا محمد (ص) الفضية ، وقد خالف في هذا الإجماع . وأوسعه سباً وشتماً لا يليق في مجال البحث العلمي .

وقد أجاب حفيد الشيخ الأكبر في : «البرهان الأزهر» على هذا فقال ليس المراد من ذكر الذهب والفضة التغالي في الثمن ، حتى يلزم ما يلزم من النقص عند إرادة الفضة ، وإنما المراد شدة الصفاء ، ومراعاة موطن التجلي الإلهي على قلوب العارفين ، وذلك أنه لا بد للتجلي الإلهي من صورة حاملة له ؛ وتلك الصورة الحاملة هي حقيقة المتجلي له ، فإذا صفت وخلصت من الشوائب الكونية كان التجلي بها أكمل وأعلى حتى يقرب من كونه ذاتياً .

ومن المعلوم أنه لا حقيقة أعلى من حقيقته (ص) ولا أصفى منها ، فكانت بالفضة الصافية أشبه ، حيث كان الذهب بالصبغ . ومن هنا قال الله تعالى : ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة﴾ ولم يقل : من ذهب . حيث كان الموطن يقتضي ظهور لون الماء ، وهو بالفضة يظهر لا بالذهب فإن الماء ربما أكتسب منه لون الصفرة غير المرغوبة في الماء .

وحيث لم يكن لحقيقة من حقائق الكمل هذا الصفاء ، وكانت حقائقهم ليست كحقائق غيرهم ممن هو دونهم في المعرفة ، ناسب تشبيه حقائقهم بالذهب

= الولاية العامة ورسول الله (ص) خاتم الولاية الخاصة وابن عربي (رضي الله عنه) خاتم الولاية المحمدية ، ومن هذا البيان الموجز لا أفضلية لعيسى على محمد (ص)

(١) أي ختم الولاية العامة وختم الولاية المحمدية وقد أشار الشيخ في الفتوحات المكية إلى أن عيسى خاتم وهو خاتم .

الخالص المشوب بنوع من الكدورة التي هي الحجب الكونية ، حيث لم تخلص خلاص المصطفى (ص) ؛ ولو شبهت حقائقهم بغير الذهب لفاتت المناسبة في المعدنية ، ولأدى ذلك إلى نقص في معرفة الشيخ الأكبر في العلم الإلهي ومراعاة المناسبة والتشبيه .

إن الشيخ الأكبر هو المحقق الأوحد بين المحققين الذين تتبعوا دقائق الفضل والكمال للنبي (ص) حتى في أبسط الأشياء، حيث تكون تلك البسائط دلالات كبرى على عظمة خارقة ليس لها نظير في الكون . فلقد استرعى نظره أن الرسول (ص) ولد يوم الاثنين ، ونبىء يوم الأثنين ، وتوفي يوم الأثنين ، فاستنبط من ذلك وجهاً من التفسير لقوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال : «إن اسم الأحد لله ، واسم الواحد كذلك ، وليس بعد الواحد إلَّا الاثنين زماناً وعداً ، وإن الاثنين لمحمد (ص) خاتم المرسلين ، وإمام المتقين ، وسيد العالمين ، من نبيء وآدم بين الماء والطين» فهل رأيت يا قارئي العزيز أطهر عقيدة ، ولا أنقى ديناً ، ولا أروح سراً ، ولا أحرص على حب الرسول الكريم من هذا الإمام الجليل ؟ !! .

هذا مثال واحد يقاس عليه كل ما ورد من اعتراضات على الشيخ الأكبر أما استقصاء جميع المسائل التي أثارها أقزام المعرفة ضده فلا تستطيع الإلمام بها في تلك العجالة السريعة فليرجع إليها من أرادها في أحد الكتب السابقة التي تخصصت في الدفاع عنه .

وهناك أئمة كبار عارضوه بادىء الرأي ، ثم كانوا منصفين فعادوا ورجعوا عن أفكارهم ، وأنزلوه منزله الرفيع الذي يستحقه . وهم : سراج الدين البلقيني ، وتقي الدين السبكي ، وعز الدين عبد السلام .

أما الشيخ تقي الدين السبكي فعاد يقول بعد إنكاره : «كان الشيخ محي الدين آية من آيات الله ، وإن الفضل في زمانه رمي بمقاليده إليه ، ولا أعرف إلَّا إياه» .

وأما الشيخ سراج الدين البلقيني فعاد يقول : «إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محي الدين ، فإنه (رحمه الله تعالىٰ) ، لما خاض في بحار المعرفة ، وتحقيق الحقائق ، عبر في أواخر عمره في «الفصوص» و «الفتوحات» و «التنزلات» بما لا يخفي على من هو في درجته من أهل الإشارة ، ثم جاء من بعده قوم عمي

عن طريقه ، فغلطوه في ذلك ، بل وكفروه بتلك العبارات ، ولم يكن عندهم معرفة بإصطلاحه ، ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه ؛ وذلك أن كلام الشيخ (رضي الله عنه) تحته رموز وروابط[1] ، وإشارات وضوابط ، وحذف مضافات ، هي في علمه وعلم أمثاله معلومة ، وعند غيرهم من الجهال مجهولة . فلو أنهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها ، وعرفوا نتائجها ومقدماتها ، لنالوا الثمرات المرادة ، ولم يباين اعتقادهم اعتقاده ، وكذب والله وافترىٰ من نسبه إلى الحلول والإتحاد ، ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها ، وأكثر من النظر في أسرار كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو الحق ، ووافقت الجم الغفير من المعتقدين له من الخلق ، وحمدت الله عزّ وجلّ إذ لم أكتب من الغافلين عن مقامه ، الجاحدين لكراماته وأحواله» .

وأما سلطان العلماء العز بن عبد السلام فقد ترجم الشيخ الأكبر بالولاية والعرفان حينما سمع الشيخ أبا الحسن الشاذلي وسلك طريقه ، وفهم الإشارات ، وذاق المشاهد .

وإذا كان مدار الإنكار عند المنكرين هو المصطلح الصوفي ، والتعبيرات الإشارية الخاصة ، وكان عامة المنكرين من الحنابلة عامة ومن أتباع ابن تيمية خاصّة ، فإنا نحيل هؤلاء جميعاً على شيخ من شيوخهم ، وتلميذ من تلاميذ ابن تيمية هو الشيخ «ابن مفلح المقدسي الحنبلي» فقد قال : «يخطر بقلوب العلماء نوع يقظة ، فإذا نطقوا بها وبحكمها نفرت منها قلوب غيرهم ولو من العلماء ، ولا أقول العوام . مثل قول أبي بكر (رضي الله عنه) : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً . وإن رجلاً لو صحا فقال كلمة ظاهرها يوجب عند العوام الكفر فقال : لست أجد للرقيب والعتيد حشمة ولا هيبة . فلو استفتىٰ عليه جماعة من الفقهاء لقالوا : كافر . فظاهر هذا أنه ليس مصدقاً بهما ، وهو يهون بحفظة الله تعالىٰ على خلقه وملائكته . . . وكشف السر عن ذلك أنه قال : غلبت علي هيبة ربي ، وحشمة من يشهدني ، فسقط من عيني حشمة من يشهد علي ، وكنت أجد الحشمة لهما لغفلة أعقبها صحو ، وموجب اليقظة والصحو وزوال الغفلة السمع «أو لم يكف بربك» «ونحن أقرب إليه منكم» فإن من شهد الحق كان كمن شهد

---

(١) إنما أخفى الصوفية مواجيدهم تحت الرموز والمصطلح لئلا يعبث العامة بمعانيهم السامية فيقعوا في الانحراف والخطأ .

الملك ومعه أصحاب أخباره فلا يبقىٰ لأصحابه حكم في قلب من شهد الملك ، وإلّا لكان وهناً في معرفته بحكم الملك وسلطانه . فاحذر من الإقدام على الطعن على العلماء مع عدم بلوغك إلى مقامهم واختلاف أحوالهم ، حتى أنهم في حال كشخص ، وفي حال آخر كشخص آخر ، فإن للعبد عند كشف الحق محواً عن نفسه ، والعالم يتلاشىٰ في عينه ، ولهذا قالت المتصوفة للصغار : يسلم للمشايخ الكبار حالهم ، وكلامهم سم قاتل لهم أولاً ، ثم لمن لا يفهم كلامهم . . . وأما القائل فقال بحكم حال كشفت له خاصة ، وحجب عنها السامع . . . فمن علم أن الخلق لا يستوون في المقال ، ولا في الأحوال ، لا يعقد الظنون ببادرة الواقع ، فيقع ناقصاً»(١) .

وإذا لم يقنع أتباع ابن تيمية من المنكرين على الصوفية عامة وعلى الشيخ الأكبر خاصة بشهادة ابن مفلح المقدسي فلعلهم يجدون في الرسالة الشهيرة التي وجهها الذهبي إلى شيخه القديم ابن تيمية مقنعاً وملاذاً من الخطأ(٢) .

وإذا بحثنا الدوافع التي تدفع إنساناً ما إلى الزندقة والإلحاد وجدناها تنحصر في اختلال العقل ، والطموح السياسي . وغلبة الهوىٰ . فأين مكان الشيخ الأكبر من هذه الدوافع ؟ ! .

أما الاختلال العقلي ، فلم يقل به قائل من أعدائه على الإطلاق ، والرجل الذي وجه عصره كله ، وقاد العقول في ميادين الحكمة ، وصار رائد الأرواح في عوالم المجهول ، مع شهادات كبار العقلاء من العلماء له بالاستقامة الفطرية والعقلية . لا يمكن أن يتطرق الشك إلى موازين عقله بأي حال من الأحوال . لا سيما إذا أخذنا في اعتبارنا حرصه الشديد على إيضاح العقيدة والدفاع عنها وتقويم إنحراف المنحرفين فيها . والسمو الفريد في تقريرها .

وأما الطموح السياسي فلا دليل عليه هو الآخر . وقد كان في مقدور هذا العقل الجبار أن يصعد على سلم السياسة حينما كان موقعاً في قصور الحكم بالأندلس ولكنه هجر هذا المجد إلى مجد العلم والمعرفة . وكان بمقدوره كذلك أن يصعد سلم السياسة وهو في الشام حيث استتب له مجده لدى الحكام وعظماء

(١) الآداب الشرعية ١ ـ ٣١٤ .
(٢) مقدمة سير أعلام النبلاء للذهبي .

الدولة . حتى لقد أنفق كل ما وصل إلى يده من مال على الفقراء والمحتاجين ، وتصدق بدار أهداها إليه أحد عظماء الشام لأنه لم يكن يملك غيرها .

وأما غلبة الهوى ، فلم يقل به أحد إلاَّ بعض السطحيين من الباحثين حينما وقعوا على ديوان «ترجمان الأشواق» ولما ثارت عليه ثائرة الفقهاء شرحه بنفسه لينبه على هدفه من هذا الغزل الذي يبدو لأول وهلة غزلاً مادياً مثل غزل خاصة الشعراء ، وقد أشار إلى غرضه من هذا الغزل حيث يقول فيه :

كل ما أذكره مما جرى	ذكره أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت	أو علت جاء بها رب السما
لفؤادي أو فؤادي من له	مثل مالي من شروط العلما
صفة قدسية علوية	أعلمت أن لصدقي قدما
فاصدف الخاطر عن ظاهرها	واطلب الباطن حتى تفهما

لقد كان الشيخ يرسم في هذا الديوان قلبه ، ويترجم روحه ، ويوضح رقته البالغة ، حتى أنه حاول أن يرسم صورة مصغرة للوحدة ، حتى في الوجد ولواعج الشوق حيث يقول :

ناحت مطوقة فحن حزين	وشجاه ترجيع لها وحنين
جرت الدموع من العيون تفجعا	لحنينها فكأنهن عيون
طارحتها ثكلا بفقد وحيدها	والثكل من فقد الحبيب يكون
بي لاعج من حب رملة عالج	حيث الخيام بها وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة	أجفانها لظبي اللحاظ جفون

قضية الاقتباس :

أثار جمع من الباحثين المعاصرين قضية الاقتباس ضد كل العقليات العربية الناهضة ، وجعلوها أساساً لإظهار البراعة العلمية ، ومقياساً تقاس به المواهب والرجال .

ولا أدري لحساب من يجرد الباحثون المحدّثون علماء العرب من كل المواهب والملكات ؟ !! ويحلو لهم أن يضيفوا كل مجد عربي إلى أصل غير عربي ؟ !!! .

وهل علم هؤلاء أن من الملكات الإنسانية ملكات تتحد نتائجها كما يتحد الإحساس بها ؟ وان هناك ملكات تختلف فيها النتائج بعض الاختلاف أو أكثر الاختلاف ؟ .

وهل علموا أن ملكة الروح الصوفية الجائلة الصاعدة المولعة بالتحليق في المجهول يتحد الإحساس بها في كثير من الحالات ، ولا تختلف نتائجها إلاّ في شيء واحد ، هو الوصول إلى كل الحقيقة .

ومن المقرر الثابت بين العامة وأهل النظر إن سلامة أي جهاز ميكانيكي أو إنساني يعطي من نتائج العمل كلها ولا يمكن الاعتراض عليه ، وإن اختلال جزء من أجزاء تلك الأجهزة يعطي بعضاً لا يمكن الاعتراض عليه أحياناً ، ويمكن الاعتراض عليه في أحيان أخرى ، ومن الثابت كذلك إن سلامة الأجهزة الروحية الإنسانية لا تكون إلاّ في عقيدة قويمة ، وباطن حر ، وظاهر مقيد بما تعارف عليه العقلاء من قيود الآداب والأخلاق ، أو قيود المثالية الإنسانية الرفيعة .

وإذا تقرر كل ذلك ، فكيف ننسب إلى المسلمين اقتباسهم من الأوروبيين في هذه الناحية من نواحي الإدراك ، ولا نقول بإتفاق أحاسيس المتوجهين واختلاف نتائج تلك الأحاسيس تبعاً للإيمان أو الإلحاد . أو التخليط أو التدرج على سلم المثالية ، أو سلامة المدارك أو فسادها بالاستقامة أو الإنحراف ؟ !! .

لقد فطن الشيخ الأكبر إلى تلك القضية فقال : ولا يحجبك أيها الناظر في هذا الصنف من العلوم ، الذي هو العلم النبوي الموروث عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ، إذا وقعت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم ، أو صاحب نظر في أي علم كان . فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق : إن فيلسوفاً قال بهذا ولا دين له . فلا تفعل يا أخي . فهذا قول من لا تحصيل له . إن الفيلسوف ليس كل علمه باطلاً ، فقد تكون تلك المسألة مما عنده من الحق ، ولا سيما إن وجدنا النبي (ص) قد قالها ، ولا سيما فيما وصفوه من الحكم والتبرؤ من الشهوات ومكائد النفوس . وما تنطوي عليه من سوء الضمائر ، فإن كنا لا نعرف الحقائق فينبغي أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة ، وإنها حق ، فإن رسول الله (ص) قد قالها ، أو الصاحب أو مالكاً أو الشافعي أو سفيان الثوري ، وأما قولك ـ إن قلت ـ سمعها من فيلسوف ، أو طالعها في كتبهم . فإنك تقع في الكذب والجهل . وأما الكذب فقولك : سمعها

أو طالعها ، وأنت لم تشاهد ذلك منه . وأما الجهل فكونك لم تفرق بين الحق في تلك المسألة والباطل . وأما قولك : إن الفيلسوف لا دين له ، فلا يدل كونه لا دين له على أن كل ما عنده باطل . وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل ، فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين ، وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف .

وأنت ترى في هذا النقل مدى تحرر الشيخ الأكبر من كل قيد إلاّ قيد الشريعة ، فهو يبيح لك أن تسمع أقوال المخالفين ، وألا تكون متعصباً ، بل يجب أن تحكم بالحق على الحق مهما اختلفت المشارب والأديان .

مصادر معرفته :

تلقى الشيخ الأكبر القراءات السبعة عن أبي بكر بن خلف ، أحد أكابر علماء أشبيلية ، وقد تلقى كتاب محمد بن شريح في القراءات السبع عن الشيخ أبي بكر ، وعن أبي القاسم الشراط القرطبي ، بالرواية عن ابن المؤلف ، أبي الحسن شريح ، وسمع كتاب النشر في القراءات العشر ، من الشيخ أبي بكر محمد بن أبي حمزة بالرواية عن أبيه المؤلف ، العلامة أبي حمزة الداني .

وتلقى علوم النقل والعقل عن أبي الفرج بن عساكر . وابن الجوزي ، وابن سكينة ، وابن علوان ، وجابر بن أيوب ، وابن زرقون ، والشيخ أبي محمد عبد الحق الأشبيلي الأزدي ، والحافظ ابن أبي الجد ، وأبي الوليد الحضرمي .

وتلقى كتباً في الحديث حدث بها ، كالمهتدي ، والأحكام الكبرى . والأحكام الوسطى ، والأحكام الصغرى . وكتاب التهجد ، وكتاب العاقبة ، ويروى عن الإمام أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح كتب الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم ، وسمع من كبار المحدثين في عصره كالإمام أبي القاسم الخوزستاني ، وسمع صحيح مسلم عام ست وستمائة من الشيخ أبي الحسن بن أبي نصر ، وروى الحديث عن الإمام أبي طاهر السلفي بالإجازة العامة . وأخذ طريق التصوف عن الشيخ أبي مدين المغربي ، والعارف جمال الدين يونس بن يحيى القصار ، والعارف أبي عبد الله التميمي الفاسي ، والعارف أبي الحسن بن جامع ، وغيرهم واستمد الطريق وعلومها بالتوجه من الغوث الشهير مولانا الشيخ

عبد القادر الجيلي ، وأما اجتماعه بالخضر وصحبته له ، وأخذه الخرقة عنه ، فنحن نسلم به حيث يضر الإنكار وينفع التسليم ، والتحجير على فضل الله تحكم لا تسيغه العقول .

وقد أجمع أهل الصلاح والعلم على أن مذهبه في العبادات والمعاملات كان طبق الآداب الشرعية الظاهرة ، وعلى أن مطمح نظره في الاعتقادات الباطنة كان التوجه نحو حقائق الكائنات ، وأن أفكاره لم تزل غائصة في تيار العبادات ، لاستخراج أبكار الإشارات .

ولقد أوضح الشيخ الأكبر وسيلة الوصول إلى تلك الحقائق بقوله : «ينبغي للعبد السالك أن يكون في حال نومه على حضور ، وأن يصرف همته لتصرف عقله في خياله حال منامه ، كتصرفه فيه حال اليقظة . فإذا حصل العبد على هذا الحضور ، وصار له طبيعة وخلقاً ، وجد ثمرته في عالم البرزخ . واستفاد منه كثيراً . فعلى السالك طريق الحقيقة والآخرة أن يبذل وسعه في تحصيل هذا الحال . فإنه عظيم الفائدة» .

وهذه مرحلة من مراحل ، السلوك العلمي ليس للمبتدئين فيها نصيب . وإن كان لهم منها نظير . ولكنه أقل صعوبة وأسهل مراساً .

فالمريد المبتدىء يتسلط بهمته على عقله عند نومه . ويصرفه في ذكر الله تعالى كما كان في حال يقظته . وينام على هذا الحال . فإن روحه تسبح مع ذلك في عوالم الملكوت ، وتصفو من كل كدر ومرض : أما الحال الذي أوضحه الشيخ فهو مرحلة تتبع تلك المرحلة بعد أن يتقن السالك طريقه . ويبدأ في استفاضة العلم المكنون في بواطن نفسه وأعماق روحه . وليس بعد ذلك براعة في التربية القويمة والتعليم العلوي ، يستحق من أجلها الشيخ الأكبر كل باقات الثناء التي لم يخل منها كتاب تحدث عنه . والتي ألممنا ببعضها فيما سبق .

وقد كان من نتائج هذا العقل الجبار أربعمائة كتاب وصلت إلى الرواة تركها لنا هذا العملاق الأكبر في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والأدب والتصوف ومنها : الفتوحات المكية ، والفتوحات المدنية ، والفتوحات المصرية والفتوحات الموصلية ، والديوان الكبير ، وفصوص الحكم ، والميزان في حقيقة الإنسان ، والتدبيرات الإلهية ، وعقلة المستوفز ، وإنشاء الدوائر ، والجلال والجمال ،

والمصباح في الجمع بين الصحاح ، وسنن الأبرار في الحديث ، والجمع والتفصيل أسرار معاني التنزيل ، ومشكاة الأنوار في الحديث القدسي ، وفروع الشافعية ، والفطرة والاجتهاد ، وجامع الأحكام في الحلال والحرام ، والمنتخب في مآثر العرب ، ومحاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار .

ولا غريب بعد ذلك في مصادر معرفته إلاّ ما استكشفه في أغوار روحه الكبيرة من فرائد استعصت على قوى العقل في العصر الحديث فظنوها ثمرة اطلاع واقتباس .

وحـــدة الوجـــود :

«إن علماء الكلام إنما وضعوا علومهم رداً على المنكرين ، لا تثبيتاً للمؤمنين» «اتخذوا دلائل إيمانكم من القرآن . فالله تعالى يقول : ﴿قل هو الله﴾ فأثبت الوجود ﴿أحد﴾ ونفى العدد وأثبت الوحدانية ﴿الله الصمد﴾[1] نفي للجسمية ﴿لم يلد ولم يُولد﴾ونفي الوالد والولد ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ نفي الصاحبة والشريك . . . فياليت شعري : هذا الذي يطلب ويعرف الله من جهة الدليل . ويكفر من لا ينظر . كيف كانت حاله قبل النظر ؟ !!! .

تلك شذرة من أكداس تركها الشيخ الأكبر دفاعاً عن العقيدة القويمة وتقويماً للعقول المنحرفة . فهل دقق الباحثون الشكليون حينما وضعوا الشيخ الأكبر بين قوائم القائلين بالوحدة المطلقة النابعة من فلسفة العقل .

إن الخداع النفسي حقيقة لا يستطيع إنكارها أي مشتغل بالنقول العلمية والنظر الفلسفي الصحيح . إننا نفعل الشيء في سن معينة من عمرنا . فإن رمانا أحد بالخطأ حقدنا عليه وازدريناه ، فإن تقدمت بنا السن قليلاً ألفينا بخطأ ما كنا نفعل آنذاك . وصححنا سلوكنا واعتقدنا إن هذا هو الصواب الذي لا يجوز الاعتراض عليه . فإذا ما اعترضنا الشيوخ عاد لنا الشعور بالحقد عليهم . ورميهم بالعظائم مرة أخرى . وهكذا نقع دائماً في الخطأ والخداع النفسي ، الذي ينصب لنا من أخطائنا هياكل نستمسك بها ونستعصم ، ما دمنا نسبح في بحار الوعي

---

(١) في تفسير قوله تعالى : ﴿الله الصمد﴾ رأى للشبلي . قال : هي خمسة أحرف . والألف أحديته واللام إلهيته وظهورهما في الكتابة دون النطق دليل على أن إلهيته وأحديته مستورتان عن مدارك البشر : [علم القلوب لأبي طالب المكي ، باب التوحيد والتجريد والتفريد] .

العقلي ، كارهين أن يكون وراء العقل موهبة مدركة ، لأن طريق الوصول إليها بالغ الوعورة والقسوة . والأمثلة في الدوائر العلمية على صحة دعوانا هذه أكثر من أن تحصى[1] إن هؤلاء المنكرين لمذهب الوحدة الصوفي يقرأون في زهو وإعجاب قول «أفلو طين» : إن المطلق لا يمكن أن يكون وحيداً ، ولذلك فإنه يفيض من ذاته أنفساً . وقول رجال المسيحية الرسمية إن التضحية هي التي دفعت الواحد لأن يتعدد .

وبمثل هذه الأفكار البهلوانية يتيه طلابنا وبعض أساتذتهم ، وهم في الوقت نفسه يربطون بين هذه الوحدة العقلية ، ووحدة الوجود الصوفية الروحية ، ويخدعون أنفسهم ويقيمون حولها سوراً من مجازات الإيمان ، وينسبون صفات الحي الفاني إلى الحي الأبدي الأزلي ، سمة والله ألفها الصوفية في سلوكهم ، وتعلموا منها ومن مئات أخرى من أمثالها علم النفس الواقعي ، لا علم النفس المنقول المسطور . علم النفس المسطور في أعماق النفس يشهدونه ويلمسونه بأرواحهم وعقولهم . فلا مماراة بعد الشهود إن جازت المماراة في علم السطور والاستنتاج .

لقد فطن قدماء الصوفية إلى مدى البعد بينهم وبين غيرهم في المشاهد العلمية ، فقال الإمام أبو بكر الشبلي واصفاً علوم القوم : «ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة» . وبمثل هذه الدقة تربى هؤلاء ، فلم يقولوا بالوحدة كما قال فلاسفة العقل الواقعين تحت سيطرة الخداع النفسي . إن الوحدة الصوفية تقوم على أن حقيقة الوجود لا تكون إلاّ للذات الإلهية ، ولا وجود على الحقيقة إلاّ للواحد الأحد الحق ، لأن الوجود الحق هو ما لم يكن مستعاراً من غيره ، بل كان فياضاً من حقيقة الموجود ، وليس ذلك لأي موجود في عالم الخلق ، فكل وجود غير الوجود الإلهي إنما هو وهمي مجازي ، والوجود الذي نحسه إنما هو بمقدار فيض عين الوجود على أي موجود . وليس هناك شيء على وجه الأرض أو جائل في الصدور من صور المعلومات إلاّ وهو فيض من الحضرات الإلهية . فلو رد كل شيء إلى أصله ، وكل مسبب إلى سببه القريب ، وهكذا حتى نصل إلى المسبب الأول جل جلاله لما بقي في الوجود غيره ، فالمنكرون للوحدة الصوفية يعيشون في عالم التفرقة ، والقائلون بها ينظرون إلى عالم الجمع ، الصوفي يعيش في

---

(١) راجع ما يختص بالعلماء في هذا الباب في [النصائح للمحاسبي] .

تجريد التوحيد ، وغيره يعيش في متشابه التوحيد .

إننا لا ننكر بأي حال من الأحوال إن النار هي السبب المباشر للإحراق ، ولكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نعتقد أنها فاعلة بنفسها مستمدة صفة الإحراق من ذاتها وإلا لأنكرنا نصاً من القرآن يؤكد إنها كانت برداً وسلاماً على إبراهيم ، فإذا كان الباحث من المتحررين من سلطان الدين فهل ينكر إن هناك من الدهون والعقاقير ما إذا غلف به جسم ما فإن النار لا تستطيع أن تسير في مجراها ، بل تتوقف عنده ، وتعجز عن إحراقه ، وفي المجتمع المصري دليل يراه الناس كلهم بلا إستثناء وهو اللاعب بالنار الذي يرتاد المقاهي في جميع الأحياء لعرض ألعابه النارية ، ويدخل الشعلة فمه بتأن يتأتى معه إحراق فمه وشفتيه على الأقل ، ولكن المشاهدة لا تحقق للنار عملها . أليس في ذلك كله دليل على إن الإحراق ليس من ذات النار بل مستمد من قوة أخرى وهي من القوة بحيث تخترق الحدود التي هي عند البشر في عامتهم ليس وراءها حدود ولو لفترات قصيرة من الزمن . وخوارق العادة دليل واضح على ما نقول .

وإذا ما فكر السائر في طريق المعرفة في العلة الأولى للإحراق فإنه في هذه الحالة يغرق في حيرة موئسة . وهذه الحيرة ناقوس العلم الذي ينبه السالك إلى أنه على أبواب فتح يشاهد بالقلب والروح ولا ينطق به اللسان ، لا لشيء إلاّ لأنه مشهد يستولى عليك فيوقفك في مقام الحيرة ، فإذا استسلمت لها واتجهت إلى الغيب فقد بدأت في مرحلة الاستمداد والفيض ، فإذا شهد لك سلوكك بالطهارة الظاهرة والباطنة ، والعمل على إحياء شعائر الإسلام في لذة واسترواح كان كلامك حقاً ، ولن تنطق إلاّ حقاً .

هل عرف الإنسان سر الإحراق في النار إلى الآن ؟ لم يتحقق ذلك مع تلك النهضة العلمية الجبارة . وما دمنا نجهل ذلك فلم إقحام العقل في تلك الأمور ؟ إن العقل الذي تسيطر عليه الروح يؤمن بالحق المطلق عن الاطلاق ولا يقول إن الحق مبرأ من العيوب ، لأن العيب لا طريق له إليه حتى يبرأ منه ، ولكنهم في لذة من الحبور بتلك الوقفة الصوفية الرائعة التي تدفع الروح في حركة هادئة نحو المعرفة الحقة بينما تجد السعادة كل السعادة في التزام الأمر والنهي . فالصوفي إذا نطق أو كتب فإنما يكتب من هذه المنطقة من الإدراك ، ويؤمن بأن النزول عنها تعبير نازل لا صاعد ، فتبدو أقواله متفاوتة الغرابة عند بعض الباحثين ، وكلما

أوغل العارف في العمق تناولته الألسنة أو استغرقت في فهمه عن طريق الذوق لا عن طريق العقل ، وهو أمر مقرر في أصول النقد الأدبي .

والشيخ الأكبر كان أعمق العارفين صعوداً بالإجماع . ولكنه حاول أن يترجم مشاهدة في منطقة انقطاع جميع الأسباب ، والحيرة والعجز عن تصوير الذات الأقدس بأي صورة من الصور . فكل ما خطر ببالكم فهو هالك والله بخلاف ذلك ، هذه عقيدة الصوفية وقمة إيمانهم الذي يمكن تصويره ، ولم يقم دليل على أن الشيخ الأكبر كان منحرفاً عن هذه العقيدة بأي حال من الأحوال .

وأي كلام يترجم به الصوفي الأصيل معارفه فإنما هو ترجمه لخواطره المفاضة من حضرة الغيب على ما دونها من الحضرات النسبية ، وإذ جاز معرفة هذه الحضرات فهي معرفة إحساس مفصل بأسرار الكون وبارىء الكون الأعظم . أما إذا استشرف العارف على المشهد الذاتي من بعيد فإنه يعجز حتى تنعدم كل قواه المدركة إلّا خيطاً وهمياً من الحياة يشهد بها القيوم على الحياة . وقد عبر الصوفية عن هذا المشهد بالاحتراق ، وشهود الهوية والإصطلام والبهت ، ووحدة الشهود ووحدة الوجود ، وكل نظر إلى الوحدة من غير هذا الطريق لا يعول عليه عندهم ، بل هي تعبيرات فنية اصطلحوا عليها للتعبير عن لذة لا تعدلها لذة في هذا المشهد الأقدس . إنها تعبير عن إحساسهم وليست تعبيراً عن حقيقة الذات الأقدسية ، إنها نظر بالقلب إلى أصل الوجود الفعال لما يريد ، الشهيد غير المشهود ، فلا خطر في أن يتكلم أي باحث من هذه المنطقة بشرط أن يكون حديث الروح المدربة ، لا حديث العقل .

إن العقليين أقحموا أنفسهم في هذا المجال فصوروه بالعقل ، فضلوا وأضلوا وهاجمتهم الزندقة من كل جانب . والصوفي نفسه إذا رقى إلى هذا المقام وفيه بقية من نفسه وأهوائها فإنه يضل ويشقىٰ ما في ذلك من جدل . ولا عار في استعمال العقل وحده ، إذ كان عقلاً غير واقع تحت سيطرة الهوىٰ والفردية ، ولكن العار في استعمال العقل المشوب بالهوى والفردية ، لأنه يتجاوز حدود العرف واللياقة في سبيل تحقيق هواه وفرديته .

ومن الناقدين عقلي مستقيم الخطة والطبع ، مؤمن بكل مواهبه وراء العقل ، ذكي الطبع يميز الزائف من الجيد . ولا خلاف بين هؤلاء والصوفية في مختلف المجالات . ومن هذا الباب ينضوي تحت رواق الصوفية آلاف المثقفين في كل

فرع من فروع العلم، لأنها جامعة الروح التي لا تفرق بين ثقافة وثقافة، فهي تشهد الكون من نقطة واحدة لا تفرقة فيها ، وهي أنهم كلهم صدروا عن علم الذات الأقدس ، ولا مشهد لهم في الكون كله من هذه النقطة إلاّ هذا المشهد ، الذي لا خطأ فيه ولا عوج ، وهو أساس الوحدة الصوفية التي تختلف في منهجها وغاياتها من كل مذهب من مذاهب الوحدة العقلية .

والصوفيون لا يغفلون الواقع ، ولا ينكرون التفاعل الظاهر في الكون ولكنهم يمدون عيونهم ـ وهم يفسرون تلك المظاهر ـ إلى مشهدهم المحبوب فيسيرون مع الأسباب سبباً سبباً حتى يصلوا إلى نفس النقطة التي نزلوا منها . وهكذا يترددون في رحلاتهم الروحية الهادئة الطاهرة ، ويترجمون مشاعرهم في كل خطوة .

هذا الكتاب :

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا أحد الكتب التي ترجم فيها الشيخ الأكبر مشاهدة في منطقة الوحدة على النحو الذي أوضحناه ، ومشاهده في منطقة الأسباب القريبة المسماة عند الصوفية «بعالم الفرق الثاني» .

والكشوفات العلمية الحديثة كلها تشكل المادة وتستنبط منها وتتحكم فيها ، وتطلقها في درجات مختلفة من القوة ، ولكن العلماء حينما أرادوا أن يفقهوا أسرارها بعقولهم أفلتت من أيديهم ، ولم يبق منها إلاّ معادلة حسابية ولا شيء غير ذلك . والطاقة هي الأخرى ـ وهي الإسم الذي اصطلحوا على إطلاقه على اسم المادة بعد إفلاتها من أيديهم لم يستطيعوا لها فهماً ـ تلك الطاقة هي الأخرى توشك أن تفلت من بين أيديهم ، ولذلك نجد الإتجاه المعملي للعلم يتجه إلى الروحانية في سباق مع الصوفية إذ أيد العلماء كثيراً من نظرياتهم عن طريق المعامل(١) .

وتلك القفزة قفزها الصوفية في خلواتهم لا في معامل الكيمياء . في محاريبهم لا في مجال الجهد والأخطار ، في غمرة طهارة قلوبهم ، لا في حومة الحقد والبغضاء ، في نور الإخلاص والخير لا في لهب الغش والشر ، قصروا على أنفسهم الطريق لأنهم بدأوا معارفهم من عالم الوعي الروحي ، وبدأوا

(١) راجع عقائد المفكرين في القرن العشرين للمرحوم الأستاذ عباس العقاد .

سلوكهم وطهارتهم من عالم الوعي العقلي ، فلا عجب إن وجدنا العلماء المعمليين والفلاسفة في القرن العشرين يقولون : «إن من لم يقف إزاء هذا الكون وقفة صوفية فهو حي حكمه حكم الميت»[1] .

بقي نوع من الدارسين ليس له معمل يهيديه بمعادلاته ، ولا فلسفة يحاول الاستهداء بمنطقها ، بل يعيشون في دائرة ضيقة لا يريدون أن يتزحزحوا عنها . فإذا ما حاولوا الإنطلاق أوحى إليهم الهوى فتعقبوا الخير في البشرية هدماً وتخريباً ، وجردوا تراثهم الإسلامي من كل سمات الإنطلاق . لا لشيء إلاّ للدعوة لمبدأ الفردية . والقضاء على مبدأ الشخصية .

﴿أفرأيت من اتخذوا إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلا سبيلاً﴾ .

وقد جمد هؤلاء على دائرة يبدأون من أي نقطة منها وينتهون إليها . ويحكمون السير على خط هذه الدائرة لا يتعدونها . وتلك سمة الإنطلاق عندهم . فإذا ما انطلق غيرهم وحلق على أبعاد سحيقة من عالمهم اتهموا بالحمق والزندقة والإلحاد .

إن تفسير الظواهر الدينية والكونية بغاياتها القريبة بؤرة الخداع النفسي المقيتة ، لأن نفوسنا في هذه الحالة توثقنا إلى تلك الغايات القريبة وتدفعنا بعيداً عن أصل الوجود وباريء الكون . تربطنا إلى النفعية وتبعدنا عن مبدأ الخير للبشر ، تربطنا إلى المادة التي أفلتت من أيدي العلماء وأجهزة المعامل ، وتزيحنا عما تبوأه غيرنا من مكانات كانت لنا بالأمس . وتلك أخطر الأدواء على تراثنا مهما كره الكارهون . إن كتاب العبادلة لون من هذا الانطلاق المائج الجياش أقدمه إلى القراء راجياً من الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه . وأن يجنبنا الزلل بمنه وفضله . وأن يسير بنا على السنن الحميد ، إنه سميع مجيب .

---

(١) اينشتين (عقائد المفكرين في القرن العشرين للأستاذ العقاد) .

سلوك الشيخ الأكبر

في هذا الكتاب يتحدث الشيخ الأكبر عن نوع السلوك يكون الفتح فيه أسبق من المجاهدة ، وبين خطورة هذا المسلك ودقته ، وحاجة السالك إلى أزر شديد معين من العناية وقوة الموهبة . ثم قال في نهاية حديثه : «وكذلك كنا» .

ولتوضيح مكان الشيخ الأكبر من السلوك نقول إن سالكي الطريق الصوفي نوعان :

نوع يسبق فيه السلوك على الفتح ، بمعنى أن يبدأ المريد رياضة نفسه ومجاهدتها ، وتطهيرها من أرجاسها على يد شيخ خبير بدسائس النفس ، وكيد الشيطان ، وعقبات الطريق ، وسر الوقت ، وكلما قطع المريد عقبة انكشف عن بصيرته حجاب ، وفتح عليه بما وراء هذا الحجاب من مدركات وعلوم . وهكذا حتى يتم انكشاف الحجب كلها ، وتندرج النفس في الروح ، ويصبح المريد روحاً كله بصيرة وعزم ونور ولألىء تنعكس عليه أسرار الكون المغيبة عن كثير من خلق الله . وهنا يكون السلوك قد سبق الفتح ، ويكون الفتح بعد السلوك درجة بعد درجة فلا خوف على المريد ، ولا عبء على الشيخ من هذا النوع من الطلاب .

ونوع يسبق فتحه على سلوكه ، بعكس النوع السابق ، إذ تنكشف حجبه دون سلوك ، أو يقطع بالقليل من العمل ، في القليل من الزمن ما يقطعه النوع الأول بأشق المجاهدات في طويل الزمان . أو يولد بفطرة نقية من الحجب ، محروسة بالعناية من ران القلب ، فيشهد المغيب من المعارف والعلوم ومنازل

المقامات ، ويطوي الطريق طياً سريعاً . ثم يعود بعد ذلك فيؤدّي حقها من الأعمال والعبادات ، دون شعور بالمكابدة ، ولا إحساس بوطأة المجاهدة ، بعكس الأول تماماً .

وهذا النوع من السالكين قد ينحرف ـ إذا لم تحطه العناية ـ إلى الهاوية ، ومن هؤلاء المنحرفين عن هذا اللون من السلوك الكثيرون من أهل الأهواء الذين تزعموا فرقاً امتازت بذكاء عقلي نادر ولكنه منحرف ومن أظهر هؤلاء «الحسن الصباح» شيخ الحشاشين والذي استطاع بذكائه أن يستولي على قلوب الناس حتى اعتقدوا فيه نوعاً من الألوهية ، ومنهم «بهاء الله» الذي استطاع هو الآخر أن يقنع الكثيرين بأنه نبي موحى إليه وشريعة من السماء .

وممن استقام على هذا النهج ، وحفظته العناية من الإنحراف ، وآزرته سابقة الحسنىٰ بالاستقامة شيخنا الأكبر الذي يعتبر بحق قمة شامخة من قمم الإنسانية يندر أن يجود الزمان بمثلها .

والواقع أن الشيخ كان منذ صغره روحياً يتمتع بضمير روحي عريق الأصالة يضرب بجذوره إلى أعماق البيئة التي نشأ فيها .

فجده الأعلىٰ حاتم الطائي ، وله في الكرم أساطير تكشف عن وعي الروح العجيب الذي كان ينبض بالإشفاق على المعوزين ، وبالسرور لسرور الناس ، حتى سرت الدنيا بأحداث كرمه الخارقة .

وجده الذي يليه عدي بن حاتم الطائي «الجواد بن الجواد» الذي وفد في قومه مسلماً سنة سبع من الهجرة ، وعاش مجاهداً في سبيل الإسلام حتى بعد أن جاوز المائة من العمر .

وأبوه كان رجلاً صالحاً كان يدمن قراءة سورة «يس» ويؤمن بأنها لما قرئت له ، وكان هو الآخر يتمتع بقوة من الروح استطاع بها أن يلقي في روع ابنه الفتىٰ محي الدين نفوذ سورة يس ، إذ يروي لنا الشيخ الأكبر إنه كان مريضاً مغشياً عليه ، فرأى أشباحاً كريهة تحيط به ، ثم رأى شبحاً جميلاً مهيباً يدفع عنه ، وفتح عينيه ، فرأى أباه إلى جنبه يقرأ سورة يس فلما قص عليه ما رأى قال له أبوه : يا ولدي هذه سورة يس .

وبمثل هذا الإيمان واليقين استطاع أن يؤثر في ابنه الذي حباه الله استعداداً

طبيعياً ، فكان أخصب أرض لأكرم بذر يلقيه أب مؤمن وقور حسن الظن بالله .

لم يكن أبوه سالكاً ، ولكنه كان مؤمناً حسن النية ، يريد لإبنه النبوغ ، وكان صديقاً لابن رشد الفيلسوف ، وأراد أن يسلكه في مجلسه ، أما مواهب الفتى محي الدين لم تكن مستعدة للفلسفة النظرية ، بل كانت مستعدة لشيء أعلى قدراً ، وأغلى منالاً هو فلسفة الروح وأعماقها وأغوارها التي عاش فيها منذ صغره حتى أصاب ابن رشد بخيبة أمل ، وحيرة قاتلة ، وهز إيمانه بفلسفته هزاً عميقاً وهو شاب لم يطر شاربه كما يقول .

وأمه كانت (رحمها الله) لا ككل النساء تغار على إبنها من كل من يتعلق به من الرجال والنساء على حد سواء ، ولكنها كانت سيدة فاضلة رأت ابنها الشاب النابه يلزم خدمة سيدة من العارفات ذوات القدم العالي في المعرفة والسلوك ، هي فاطمة بنت المثنى القرطبي ، ويطرق سمعها أنها تقول لابنها محي الدين الفتى «نور ـ وهي أم الشيخ الأكبر ـ أمك الترابية ، وأنا أمك الروحية» ومع ذلك لا تأكل الغيرة قلبها، بل تدفع ولدها إلى خدمتها رجاء بركتها ، وأملاً في أن يبلغ ما تريد له من مجد وعز حققه الله لها مجيداً رفياً .

البيئة إذن بيئة تنبض بوعي الروح ، ولا يستطيع منطق العقل أن يغلب منطق الروح في هذا الدم الرفيع الذي تدفق إلى الشيخ الأكبر منذ حاتم الطائي إلى الشيخ الطيب «علي» والسيدة الفاضلة نور والدي الشيخ الأكبر ، فلو كان منطق العقل يزن شيئاً إلى جوار وعي الروح في أصول الشيخ الأكبر ، لكان الإبقاء على بعض المال أو جله هو المنطق الذي لا ينكره إنسان ، ولا يعارضه عقل يؤمن بالمحاسبات التجارية اليومية . ولكن حاتماً وولده عدياً لم يخضعا لهذا المنطق الرقمي في قليل ولا في كثير . وما أشبه صنيع حاتم ـ لولا أنه من أهل الجاهلية ـ بصنيع الكبار من أهل مقام التوكل والتفويض الذين لا يعتقدون صدق ملكيتهم لشيء في الوجود . وذلك نبع أصيل دون شك ماج في دم الشيخ الأكبر ، وحباه بوعي من الروح يوهب فينطلق لا تحده الحدود ، ولا تعجزه العقبات . ويكتسب فيخضع للعقبات ، ويتوقف أحياناً أمام منطق الحساب .

وأقرب مثال للتعرف إلى فوارق الخصائص بين من يسبق فتحهم على سلوكهم ومن يسبق سلوكهم على فتحهم جوادان أصيلان ، أحدهما جلد عنيف قوي لا يعبأ بالحدود ولا السدود ، موفق في اجتياز الحواجز والعقبات ، لا يخونه

حافره ، ولا تهن قوته ، فيقهر راكبه عن الحذر والخوف والفزع من ركضه السريع ، ويشغله بنفسه ، وبمحاملة المحافظة على توازنه . والمجود الأصيل الذي يخضع لمشيئة راكبه ، لأنه في أغوار مشاعره يخشى العقبات ، وكبوة الطريق ، ولم يجرب الإندفاع بين الصخور والرمال. فاختار ما يختار له سائسه،ولم يقحم نفسه في مجاهل الدروب . فالنوع الأول يشبه من سبق فتحه على سلوكه تماماً ، لأن شيخه يحذره ، وقد يفلت من بين يديه كما يفلت الجواد إذا استغرقه جمال الركض ولحن الغيب العازف في آذانه من صفق الريح ، وقد يعترض شيخه ويقف محاوراً إياه ، كما يقهر الجواد راكبه على الطريق الذي يريد إذا استولىٰ عليه سكر النجاح في قهر الحدود والسدود .

هكذا كان الشيخ الأكبر ، يريد شيوخه أن يتحدثوا معه من الألف ، فيجدوه قد انتهىٰ إلى الياء وهذا هو السر في أنه قد تلقىٰ طريق التصوف عن نحو من خمسين شيخاً ، ولم يخضع لقانون السلوك الذي يلزم المريد بالتلقي عن شيخ واحد ، وعدم التلقي عن غيره إلاّ بإذنه ، ومع ذلك فقد أهاب بالضعاف ـ ممن يسبق سلوكهم على فتحهم ـ أن يأخذوا بهذا القانون خشية البلبلة والاضطرابات وتفريق الجمعية .

ومع هذا النزوع والطموح فهو بحكم التوفيق خاضع للحق لائذ بميزان الشرع من مغبة الإنحراف وضلال الطريق ، وقد كرر هذا المعنى كثيراً في كتاب العبادلة وفي غيره من الكتب ، وألح على ضرورة القبض على ميزان الشرع ، والعض عليه بالنواجذ في كل حال . فزيادة على ما في العبادلة من ذلك يروي عنه ابن العماد قوله : رأيت في واقعة وأنا ببغداد سنة ثمان وستمائة أن السماء قد فتحت ، ونزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام ، وسمعت ملكاً يقول : ماذا نزل إليه من المكر ؟ فاستيقظت مرعوباً ، ونظرت في السلامة من ذلك فلم أجدها إلاّ في العلم بالميزان المشروع . فمن أراد الله به خيراً وعصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده .

ويحقق خضوعه لهذا الميزان مع نزوعه وسبق روحه إلى آفاق العلا . ما نقله عنه الشعراني في اليواقيت ، نقلاً عن الفتوحات المكية ٢٤٦ حيث يقول : «إياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي ، بل بادر إلى العمل بكل ما حكم وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر

الحكم بـه فـلا تعـول عليـه ، فـإنـه مكـر إلهي بصـورة علم إلهي من حيث لا تشعـر . . . واعلم أن تقـديم الكشف على النص ليس بشيء عنـدنـا لكثـرة اللبس على أهله ، وإلاّ فـالكشف الصحيح لا يـأتي قط إلاّ موافقـاً لظاهـر الشريعـة ، فمن قـدم كشفـه على النص فقـد خـرج عن الانتـظام في سلك أهـل الله ، ولحـق بالأخسرين أعمالاً» .

هـذا عقل الـروح ، لا وعي الروح المجـرد عن عقلها ، والـذي يسـود طبقـة المجـاذيب الشـاطحين الـذين يحملون اللفظ مـا لا يحمله من معنىً ، فيغـرقـون ويغـرقون من يتصـدى لإنقاذهم . الشيـخ الأكبر يعقـل بروحـه ما يعقله بعقـل نفسه تمـاماً ، ولـذلك فهـو كمرتـاد المجاهـل الذي يحمـل معه من الآلات والمختـرعات التي يمكن أن يهتـدي بهـا المغـامـر إلى طـريق العـودة إلى العمـران ، ومـع ذلـك يحمـل معه العلم بـالزمن والـطريق على هدى الأفـلاك وزوايا الـظلال خوفـاً من أن تخونه الآلات التي يحملها في ضغوط الأجواء التي يرتـادها ولـم يـرتدهـا أحد قبله . وأولاً وأخيراً يخضع الآلات لموازين العلم المشروع ليهتـدي به علمـاؤه في ظلمات البر والبحر .

استمـع إليه في مشهـد انطلقت إليـه روحه إنـطلاق السهم لا تعبأ بـالأخطار ، وكيف عـاد منه بميـزان على هدى ميـزان العلم ، وكيف دل على خصـائص سلوكـه دلالـة واضحـة المعـالم حيث يقـول في الفتـوحـات ٣٦٧/ : «اجتمعت روحي بهارون (ع) في بعض الوقـائع فقلت لـه : يا نبي الله ، كيف قلت : فـلا تشمت بي الأعداء ؟ ومن هم الأعداء حتى تشهدهم ؟ ، والواحد فينا يصـل إلى مقام لا يشهـد فيه إلاّ الله . فقال لي السيـد هارون (عليـه الصلاة والسـلام) : صحيح مـا قلت في مشهدكم ، ولكن إذا لم يشهد أحدكم إلاّ الله ، فهل زال العلم في نفس الأمر كما هـو ما تجلىٰ لقلوبكم ؟ فقلت : العـالم باق في نفس الأمـر لم يزل . وإنمـا حجبنا نحن عن شهـوده . فقال : قـد نقص علمكم بالله في ذلـك المشهد بقـدر مـا نقص من شهود العالم ، فإنه كله آيات الله فأفـادني (عليه الصـلاة والسلام) علمـاً لم يكن عندي .

أما كيف كان يتصل بأرواح الأنبياء والأولياء فـذلك أمـر ميسور للمـوهوبين في وعي الـروح وعقلها ، وللسـالكين بوجـه عام على شيء من الصناعة يمكن تجربتهـا في كل صفاء يسيـطر على الإنسان . وقـد فصل صـدر الدين القـونوي طـرائق تلك

المحادثات عند الشيخ الأكبر فقال كما نقل عنه ابن العماد ٥/١٩٦ : «إن شاء استنزل روحانيته في هذا العالم ، وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا ، وإن شاء أحضره في نومه ، وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به» .

أما إذا أطلت قرون المنطق العاجز هنا ، فإنا نهيب بهذا المنطق أن يحل لنا إشكالاً أكثر حيرة من هذا وهو كيف فكر الشيخ الأكبر وكتب هذا العدد الضخم من الكتب في عمره هذا مع رحلاته الطويلة ومشاغله الحيوية ، رغم أن عبقري الزمان ممن نراهم قد يعمل في مؤلف واحد خمس سنين ولا يصل إلى نهايته إلاّ متهافتاً قد أعياه البحث ، وأضناه الفكر ، وخبط في مهاوي الحدس .

إنه إعجاز الخلق الإلهي في الإنسان . فقد جعل الله من الإنسان نبياً طاهراً مجيداً ، وولياً مقرباً حبيباً ، وشيطاناً ضالاً مضلاً مريداً ، وسبحان الله القاهر فوق عباده في كل حال .

وعلى أي حال فهذا البيت الذي ترعرع ابن عربي من أرضه العجيبة خليق بكل عجيبة ، لأن كان مصدراً للغرائب التي لا يسيغها منطق العقل النفسي حتى أمام وقائع التاريخ الدافعة فقد كان يحيى بن يغان خال الشيخ الأكبر ملكاً ، وكان يسير وسط جمع من حواشيه ، فمر بشيخ من أرباب الحال والمقام . فوقف وتوجه إلى الشيخ سائلاً : هل تجوز لي الصلاة في هذه الثياب ؟ وكان يلبس لباساً رقيقاً رفيعاً . فقال الشيخ : مثلك مثل الكلب إذا أراد أن يبول رفع رجله لئلا يصيبه من بوله شيء ، وهو غارق في أكل الجيف .

كلمة لو سمعها أي مترف لأغرق في الضحك والسخرية ، ولكن الملك خلع لباسه في الحال وترك الملك وتزهد ، ولبس الغليظ وأكل اليابس ، وصحب الشيخ وأصبح حجة زمانه ، حتى لقد كان شيخه يحيل إليه الفتاوى ، ويستشيره في معضلات السلوك .

فهذا بيت موهوب تبلورت مواهبه هذه في الشيخ الأكبر ، فلا عجب إذا استنزل الأرواح ، أو صعد إليها أو استحضرها مناماً ، وتعلم منها ، ما دام المحترفون من دارسي علوم الروح في عصرنا ـ على ما بهم من ضلال المسلك ـ استطاعوا أن ينخلعوا عن أجسادهم بأرواحهم ، ويتصلوا بملأ غير ملأ العالم المنظور ، وما دامت وقائع التاريخ تحدثنا عن أزمة حدثت حينما وفد إلى مصر ،

لأنه اجتمع بقوم من الصالحين في زقاق القناديل بالقاهرة في مجلس من مجالس الذكور ، فانبعث نور من سائر جسده اضاء الحجرة ، وأساء العامة فهم مصدره .

فهو الرجل الذي أتى بمعجزات الروح ، ومعجزات الفكر ، ومعجزات السلوك والمعرفة على النحو الذي نراه في كتبه الآن .

تاريخ تأليف العبادلة

من عادة الشيخ الأكبر غالباً أن يسجل الأحداث والمشاهد الغريبة التي نازلها مقرونة بالبلد الذي شهدها فيه ، ومن هنا سهل علينا أن نعرف متى ألف كتاب العبادلة .

ففي أثنائه حث الناس على النظر إلى مساوىء الدنيا ومحاسن الناس ، وأشاد بالفوائد الجمة التي يحصل عليها من يعيش في هذا المشهد من الراحة والسكون الذي يشبه السكر الحلال .

ثم قال في نهاية كلامه : «ولما ذقت هذا المشهد بدمشق ، أشهد لقد بقيت في لذتها كالسكر أياماً طويلة .

ومن المعلوم لنا أنه استقر بدمشق للإقامة فيها عام (٦٢٢) هـ ، فإذا كان مولده في عام (٥٦٠) فإنه يكون قد كتب كتابه هذا وهو ابن ٥٥ من عمره تقريباً أي بعد الستمائة من الهجرة ، وبعد أن نضجت مواهبه ، واستقرت به المعرفة في واد كريم رفيع . ولذلك نجد هذا الكتاب ميزاناً شرعياً عادلاً لكل من نزعت به روحه إلى آفاق المعرفة العليا ، حيث تنعدم الموازين لدى الكثيرين من الجامحين الشاطحين .

ظاهرة سعيدة

وأخيراً أراد الله للشيخ الأكبر أن يدرس ويفهم على ضوء العصر دراسة منظمة واعية إن شاء الله . فوجه أستاذنا الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم إلى تنظيم سلسلة من الدراسات الحية لتراث الشيخ الأكبر .

والدكتور محمود قاسم أستاذنا منذ عام ١٩٤٦ ، وأعرف فيه الجدية والمثابرة والإصرار والتركيز ومجالدة الصعاب حتى يصل إلى هدف واضح ، ولذلك ألحقنا بالعبادلة «مرآة المعاني» و «التجليات» . رجاء الوفاء بحق أستاذيته الكريمة

والإسهام في تسهيل المهمة التي أرادها ، وكلنا قلوب ترعى مسعاه الحميد وترجو من الله أن يوفقه إلى مجد خالد في هذه الدراسة ، وأن يوفق طلابه إلى الإنصاف ، إنه سميع الدعاء .

القاهرة ـ عبد القادر أحمد عطا



رمـوز التحقيق

الأصل : نسخة خاصة .

د : نسخة دار الكتب المصرية .

هـ : نسخة المكتبة الأزهرية .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً)[١]

الحمد لله بحمد الحمد[٢] فإنه أوفى ، وله المقام الأخلص الأصفى ، وصلّىٰ الله على محمد الحفي بما أقوله الأحفىٰ ، وسلّم تسليماً كثيراً من مقام السر الأخفى[٣] .

أما بعد[٤] : فهذا كتاب ذكرنا فيه ما نطقت[٥] به ألسنة العبادلة عند تحققهم بما حققهم به الحق في سرائر هم . وما ترجمته لقلوب العارفين المقربين من السنة الفهوانية[٦] الناطقة عن كلمة الحضرة . قبل تخلصه إلى ضمائرهم ، فأفصحوا عما هو الأمر عليه غيباً وشهادة ، وعلماً وعبادة .

والمترجم في هذا الكتاب ابن جامع عن أب مقيد . فالأمر بين أبوة وبنوة ، عام لحال ولاية ورسالة ونبوة .

ولما كان عبد الله اسماً جامعاً لمراتب العلا ، لذلك جعلناه ترجماناً . إذ

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

(٢) في هـ : بحمده الحمد .

(٣) في هـ : من مقام السر وأخفى .

(٤) ساقط من : د .

(٥) في هـ : فإني ذاكر في هذا الكتاب . .

(٦) الفهوانية : حال تعتري المتوجه إلى الله تضعه بين النوم واليقظة مع نشاط في الوعي الروحي .

[كان][1] الترجمان جامع السنة . ثم أضفناه إلى مقام عبد حصلت له مرتبة ما من مراتب الاسم الإلهي . وأضفناه إلى شخص كامل من بني وولي .

فأوضحنا المبهم ، وفصلنا المتشابه من المحكم ، وفصلنا المجمل ، وفتحنا المقفل ، ورفعنا المسدل ، فظهرت الأسرة ومن عليها عند رفع الحجال ، وظهر ما في الخزائن عند فتح الأقفال ، وتبينت المراتب مع ذهاب الإجمال[2] ، والله تعالىٰ يملي على مواقع الإلهام ما تسطره[3] في الصحف والدفاتر الأنامل والأقلام .

ولا غلط ولا تصحيف . ولا تحريف ، ومهما ظهر من ذلك من شيء فهو راجع إلى عين الفهم لا إلى عين العلم . فالعلم المحفوظ المعصوم . والفهم المرجوم وقتاً المحروم .

والله يلحقنا دار العناية . ويحفظنا بعين الرعاية والكلاءة .

فأولهم (رضي الله عنهم) .

---

(١) ساقطة من : د .

(٢) في د : مع نصاب الإجمال .

(٣) في هـ : ما استظهره .

القسم الأول
من كلام العبادلة ، في الحقائق

بألسنة الأسماء
وهو خمسة أجزاء

الجــزء الأول
من كلام العبادلة في الحقائق

بألسنة الأسماء

في هذا الجــزء

عبد الله بن عبد الله
وابن عبد البر
وابن عبد الحق
وابن عبد الرحمن
وابن عبد الباري
وابن عبد المهيمن
وابن عبد الخالق
وابن عبد ربه
وابن عبد الرحيم
وابن عبد الكافي

عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

قال عبد الله بن عبد الله : أول ما ظهر من الحضرة الإلهية الإسم[1] ، وأول ما ظهر من الحروف الباء[2] ، وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر ، وأول ما انصبغ به النور[3] . وأول عرض ظهر الحركة ، وأول نعت أشهد بعد الوجود الجلال ، وأول نطق ظهر (منه)[4] أنا ، وأول صفة قبل منه الحياء ، وأول حال طرأ عليه الذوبان ، وأول علم قبل علمه العلم بالله ، فرآى نفسه في ذلك العلم .

وقال : العالم مأخوذ من العلامة ، فكل حقيقة منه علامة تدل على حقيقة إلهية ، إلى تلك الحقيقة مستندها إيجاداً ، وإليها مردها (ومرجعها)[5] عند إنفصالها .

فإذا ذكر الله (تعالى)[6] العالم فانظر إلى أي اسم أضافه ، فتعرف من ذلك أي عالم أراد (من العوالم)[7] .

وقال : إذا كنى الحق (سبحانه وتعالى)[8] عن نفسه بالإفراد ، وكنى عنك

(١) هو اسم آدم ، والأسماء التي علمه الله إياها .
(٢) من حيث هي أول البسملة . ولذلك فهي أول حرف ينطقه الطفل تقريباً .
(٣) في د : انطبع .
(٤) ساقطة من : هـ .
(٥) ساقطة من : هـ .
(٦) ساقطة من : د .
(٧) ساقطة من : هـ .
(٨) ساقة من : د .

بالجمع فلوحدانيته[1] ، وكثرتك ، من حيث عدم إستغنائك ، ووجود افتقارك .

وإذا كنى عن نفسه بالجمع مثل : «إنا ، ونحن» فلحقائق الأسماء الإلهية ، وإذا أفردك فإنما خاطب منك معنى ما ، لأكلك ، فأعرف من خاطب منك ، وافتح سمعك[2] إلى خطابه .

وقال : كثرة الطرق من أجل تعدد الحقائق[3] ، والمستقيم منها ما شرع ، ومصيرها كلها إليه .

وقال : في طلب العون إثبات دعوى الكون[4] ، فيقولها العارف من حيث أنه مأمور بالقول ، وهو يعرف من هو القائل ، ومن هو العارف بمن هو القائل .

وقال : الجزاء على قدر الأعمال للعامة ، من عين الملك ، فهي أعواض ، وللعارفين من عين المنة[5] .

وقال : إذا ثبت أمر بين إسمين إلهيين فله وجهان ، لكل اسم وجه يخالف الوجه الآخر . فإنه يطلب الاسم الذي قبله من حيث أنه ظهر من وجه ما[6] فذلك مقام حق ، ومقعد صدق . ومرتبة عظمىٰ لما تقدّمها وتأخرها من الأسماء ، فهي محفوظة عن الطوارق الحجابية .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الرحمن بن إلياس

قال ابن عبد الرحمن : من اتقى الله كوشف بحقائق البيان ، فلا يقع له في الأشياء شك ولا ريب .

وقال : من علم أمراً ما فهو مصدق بأن ذلك مقر الأمر على ما علم على ما هو عليه في عينه ، وليس بمؤمن شرعاً حتى يقربه لقول المخبر لا لدليله ،

(١) في هـ . فلأحديته خطأ ، لأن الأحدية لا تتبين فيها الوحدانية ولا الإفراد .
(٢) في هـ : وافتح سمعه .
(٣) في هـ : كثرة الحقائق .
(٤) أي دعوى الكون بالوجود في قوله ﴿إياك نستعين﴾ مثلاً .
(٥) في د : من غير الملك ، من غير المنة .
(٦) في هـ . من حيث أن عنه ظهر ذلك الاسم من وجه ما .

(ويقول ذلك على طريق القربة إلى الله سبحانه)[1] ، وذلك التصديق هو الإيمان[2] (فمـــا زاد عليه إلاَّ قوله بطريق القربة)[3] .

وقال إقامة كل أمر حياة ذلك الأمر ، وهو قيامك بواجب حقه ، وأعلى حقوقه رؤية الحق فيه ، وإذا رأيت الحق فيه سقط عنك الوجوب والحق ، فكان إظهار الأمر إظهار موجود في العين من غير حكم ، فهكذا هي أعمال المقربين ، وقد وقفت على كلام بعضهم وقد قال : «إلزم الفرض واترك السنن» .

ثم شرح فقال قولاً هذا معناه : رؤية الحق هي الفرض . ورؤية الكون بالحق هي السنن . فإذا رأيته به فلا فرض ولا سنن[4] .

وقال ابن عبد الرحمن : المواهب كلها توهب . ولا سبيل إلى إمساكها . إلاَّ أنه لكل وهب أهل . فلا يتعدى بالواهب أهله . فمن هنا كان الوهب أمانة . ووضعها في غير أهل خيانة .

وما لا يوهب فذلك من خصائص الحق . وقد يكون الوهب بالعبارة ، وقد

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

(٢) النوع الأول آمن بعلمه على مقتضى الدليل والتجربة ، والثاني هو الإيمان الشرعي بقول المخبر وهو الله ورسوله إيماناً غيبياً دون طلب دليل كإيمان أبي بكر خاصة . أما طلب الخليل (ع) تجربة على إحياء الموتى فإنما كان لتقوية الإيمان لا لبناء أساسه . ﴿ليطمئن قلبي﴾ والإيمان بالغيب يحتمل المغيب عن الإدراك ، ويحتمل ما نحن بصدده الآن .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

(٤) هذا تحقيق لأعمال المقربين حاول بعض المفكرين أن يفهمه على غير وجهه ، فإنهم المحققين بالقول بسقوط التكاليف . وهم بعيدون عن هذا الزعم ، إنما يقولون بسقوط الكلفة والمشقة والمكابدة لا غير . فإذا رأينا رجلاً يدمن الصوم ويسعد به . فهل من اللائق أن نقول له : فرض عليك الصوم في رمضان ؟ ليس هذا سوى عبث صريح ، لأنه في غير حاجة إلى هذا التنبيه ، وإنما يُقال هذا لرجل أفطر فيه ، أو شعر بالكلفة في صومه ولا يُقال لمتعشق العبادة : وجبت عليك العبادة . وهكذا فأعلى الأعمال شهود الحق فيها ، وإنه مسير العابد وفاعلها ومجريها عليه . فإذا دام العابد على هذا الذوق صارت جميع الأعمال العبادية ملكة تصدر عنه دون شعور بكلفة . فمن ثم تسقط عنه كلفة الأعمال . ولا يصح أن يُقال بالوجوب في حضرة شهود الحق كما أوضحنا ، لأن العمل صادر من حضرة التقريب ، لا من حضرة الأحكام ، وفي حضرة التقريب تؤدّي الأعمال وإن لم تجب ، ومنها الورع . ولزوم السنن والمندوبات . وأما العابد على غير هذا الذوق فهو يتعثر في أداء الفروض . ومن ثم يخاطب بالوجوب والفرضية .

يكون الوهب بإيضاح الطريق إذا كان لا ينقال .

فإذا علمت علم ذلك حصل لك ذوقاً ذلك الأمر ، فهو وهب بالتبعية .

وقال : علمك باليقظة بعد النوم ، علمك بالبعث بعد الموت . والبرزخ واحد . غير أن للجسم بالروح تعلقاً لا يكون بالموت . وتستيقظ على ما نمت عليه . كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر .

وقال : العيان يشد الإيمان ولا يقابله . كما قال بعضهم . فإن بعض الناس جعل الإيمان لا يكون إلاّ لمن ليس من أهل العيان ، نعم ، إذا وقع العيان على ما لم يسبق به الإيمان ، فما ثم إيمان لا يرى له عيان .

وقال : القفل يكون عليه الختم والطبع ، والطبع علامة في الختم . والختم هو الذي يرد عليه الفتح ، وقفل كل شيء بحسب خزائنه ، وكذلك الختم والطبع مشاكلان لذلك ، ولكل ختم مفتاح على شكله ، وعلى عدد الوجوه تتعدد الأقفال . والخواتم والأطباع منها حسية ، ومنها معنوية ، أي غير محسوسة .

وقال : من نعتك بشيء فقد قام به ذلك النعت ، فهو أحق به . وقد تكون أنت على ذلك وقد لا تكون .

وكذلك من سئل عن شيء فعنده ذلك الشيء[1] . وهو من أهله ولا بد ، فتعين الجواب . ولذلك قال : ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ . وصية لك وتنبيهاً على ذلك في . وقت : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ .

فلا تقل للسائل : لست من أهل ما سألت عنه ، فإن ذلك غلط[2] ، والذي عليك أن تنظر مسألته ، وللمسؤول عنه وجوه كثيرة ، فتجيبه منها بالوجه (الذي يليق به)[3] ، فذلك الوجه هو الذي دعاه إلى أن يسألك من حيث لا يعلم ، ويعلم صحة ذلك[4] بقبول الجواب .

ومتى ما لم يقبله فأنت القاصر في معرفة ما له من الجواب في المسألة ،

---

(١) في هـ : فقد تصور ذلك الشيء .

(٢) في د : فإنه غلط .

(٣) في د : بالوجه اللائق .

(٤) في هـ : ويعلم صحة ما قلناه .

فلا تلمه ولم نفسك[1] .

وقال : الشعور ينبىء عن الإجمال ، والعلم ينبىء عن التفصيل ، والسؤال أبداً يكون من حيث الشعور والإجمال ، والجواب يكون من حيث العلم والتفصيل .

فمن شعر سأل ، ومن علم أجاب ، ومتى سأل العالم فليس سائلاً ، بل هو مختبر ، (والخبرة تكون للعالم ولغيره)[2] .

وقال : العارف ينصبغ في كل لون ، لأنه المتمكن في التلوين ، ولكل مرآة وجه ، ووجوه العارف غير متناهية .

وقال : ينعقد البيع على المحرم ، إلَّا أن صفقته خاسرة ، ومهر البغي حرام وسماه مهراً ، وانعقاده من جهة المشتري ، لا من جهة البائع[3] ، وهو من باب إضاعة المال ، فإنه ما يصل بيدي المشتري ما ينتفع به في الكونين[4] .

ولذلك قلنا : مهر البغي حرام على البغي ، فهو حرام على غيرها ، فإذا بلغ الشيء محله كان حلالاً لمن كان حرم عليه (تصدق على بريرة فأطعمت منه رسول الله (ص) ، فأكل منه على علم ، والصدقة عليه حرام ، فهو على بريرة صدقة ، ومن بريرة هدية للنبي (ص))[5] .

وقال : اشتاقت الجنة إلى سلمان وعلي وعمار وبلال . هكذا ورد في الخبر النبوي ، لمناسبة بينهم وبين الجنة لا تعلم إلَّا من الجنة التي هي صاحبة الصفة الشوقية[6] ، لا كما زعم بعضهم أن ذلك راجع إلى معاني أسمائهم ، لا إلى أشخاصهم .

ولا نشك أن ذلك راجع إلى أمرين :

---

(١) وتلك هي الحكمة ، ووضع الشيء في مكانه ، «أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .
(٣) جاءت كلمة البائع بدلاً من المشتري وبالعكس في : د .
(٤) في هـ : في الحال .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .
(٦) في هـ : لأنها صاحبة الصفة الشوقية .

الأمر الواحد : لأن حقائق أعمالهم تطلبها . فإذا أجابتهم لم تجد من يقبلها لغيبتهم عن ذلك بشهود مجرى تلك الأعمال ومنشئها ، والغائب المحبوب يشتاق إليه .

والأمر الآخر :لا يمكن التعريف به حتى يقع لك التعريف به من جانب الحق سبحانه[1] .

وقال : معرفة الحروف والأسماء من خصائص علوم الأنبياء (عليهم السلام) ، من كونهم أولياء ، ولهذا تقع المشاركة في العلم بهاتين للأولياء والأنبياء .

وقال : الملأ الأعلىٰ والروحانيات العلا ليسوا بأنبياء ولا أولياء ، ولذلك ما عرفوا الأسماء وإن كانوا مقربين ، وتقربهم أداهم إلى الاعتراض ، (فهو اعتراض إدلال)[2] ، بما أعطاهم الكشف الصحيح .

وكذلك كان ، وما أرادوا بذلك فساداً حكمياً . وإنما رأوا وقوع الفساد والسفك من غير تعلق الحكم بالحمد والذم ، فنطقوا بالكائن ، والذي لم يعلموا به [هو] وجه الحكم .

وكانت النشأة عند اعتراضهم ممتزجة من نور الروح ، وظلمة الجسم الطبيعي[3] ، ولم يكن فيها من نور العلم شيء ، فلما علمه الأسماء بعد ذلك - والاعتراض قد حصل بقوله : ﴿**أعلم ما لا تعلمون**﴾ - خلق فيه من علم الأسماء بما أجمل فيه من علم الإنسان ، فلما علمهم الإنسان كانت الأسماء أولياءه وهو ولي الله في هذا المقام خاصة[4] .

---

(١) يمكن تعليل هذا الوجه باستغراقهم الذاتي الذي جعل الأعيان والأسباب تنعكس معانيها في نفوس فسعدوا بما شقي به الناس ، وتلذذوا بما تألم منه الناس . فاشتاق إليهم النعيم الحق ، لأنهم باينوا النعيم الدنيوي بأرواحهم .

(٢) ما بين الحاصرتين من : د .

(٣) في هـ : من نور الكون وظلمته من روح وجسم .

الملائكة أنوار عابدة ، غير مستعدة لأن تعمل فيها الأسماء ، بل هي التي تعمل بالأسماء . ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ . فليس لهم حكم النظر ، بل يجري عليهم حكم التسليم المطلق . ولذلك لم تكن فيهم نبوة ولا ولاية . لعدم مجانستهم لآفاق الولاية والنبوة من حيث إنهما تظهران في مرتبة الجهاد بين ضد وضده . ولا جهاد في عالم=

وقـال : سجـدة المـلائكـة لمـوضـع الـلام في قـولـه : ﴿اسجـدوا لآدم﴾ ، (فأسرعوا بالسجـود)[١] . ومن أجل مـوضـع الـلام وقع التقـرير على إبليس في ﴿مـا منعـك أن تسجـد لمـا خلقت بيـدي﴾ ، لأن إبليس قـال : ﴿أأسجـد لمن خلقت طيناً﴾ .

فمـا ذكر آدم في السجـود تصـريحـاً ولا كنـايـة إلاَّ والـلام معـه ، فعلمت الملائكة ما جهل إبليس .

وقـال : المحبـوب لا يخـاصم ولا يعـارض ، والمحب لا يكـون محبـوبـاً إلاَّ بـالقيام بشـروط دعواه[٢] ، وإبليس في هـذه المسألـة عار من الصفتين ، وقـد شهد على نفسـه ، وبالـذي منعه ، فهـو أعلم بنفسه وبـالذي منعـه من الـذي احتـج عنـه وأقام عذره . ثم شهد عليه الله تعالى بالاستكبار والكفران .

وقـال : إذا كان الحق سبحـانه كـل يـوم هـو في شـأن فمحـال على الأكـوان الإقـامة على نعت واحـد زمانين ، فـالتلوين مـع الأنفـاس ، والبينـة على ذلـك﴿لن نصبر على طعام واحد﴾ .

وقـال : الله قبلة من لا يتقيـد بـالجهـة من حيث حقيقتـه ، وقبلة الحـائـر وإن كـان ذا جهة ، وإنمـا شرع التـوجه إلى الجهـة ليكون العبـد بحكم الإضـطرار ، لا بحكم الاختيار ، إذ هي حقيقة العبد ، (ولاجتماع الهم على أمر واحد)[٣] .

وقال : في الرجوع إلى الله صلاة وهدى ورحمة ، فالصلاة معـرفة ، والهـدى مكاشفة ، والرحمة لطف متعدد .

وقـال : طلوع الشمس من المغرب آية على ترك الأعمـال ، ولا يعلم بذلـك إلاَّ الرجال ، فذلك أول وقت من أوقات الآخرة .

فـإذا طلعت الشمس للعـارفين من مغـاربهم ، وأشـرقت على بصـائـرهم ،

= النـور المحض . وحينما وقـع الاعتراض سلب عنهم حكم النـور حتى ينـظروا . وفي اللحـظة التي أنبأهم فيها آدم بالأسماء كان مرتبـة متوسـطة بين الجمع والفـرق . يحكم في عالم الفـرق ويحكم عليه عالم الجمع .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

(٢) في هـ : لا يكون محجوباً لقيامه بشروط دعواه .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

فأبصرت الأعين من هو العامل بهم[١] . فذهبت الأعمال من حيث هم ، لا من حيث هي ، فهم عمال الأعمار : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

ومنهم (رضي الله عنه) .

* * *

عبد الله بن عبد ربه بن إبراهيم

قال ابن عبد ربه : المحكم ما يخلص لك أوله ، والمتشابه ممتزج . فنسب الزيغ لمن تبع المتشابه ، وهو الميل إلى الوجه الذي فيه التشابه . والفتنة الإخبار[٢] ، فهو إنباء عن حقيقة ، ولا يعرف علم المتشابه إلاّ من العين ومن الحق .

وقال : شهادة المرء على نفسه إذا كان عدلاً مقبولاً عند الحاكم إذا كان عالماً . وإنما لم تقبل في ظاهر الشرع من حيث أن الحاكم ليس بعالم (بصدق الشاهد)[٣] .

ويقرب من هذا في الشرع في بعض المذاهب شهادة المرء لولده إذا كان عدلاً ، ولا بد من شاهد آخر ، أو يمين يقوم مقام الشاهد .

وقال : كل شهادة لفظية دعوى ، فتحتاج إلى شهادة ، فلذلك أقل الشهود اثنان أو يمين ، ولما كان اليمين يقطع به الحق الحالف لنفسه لذلك صحت شهادة العدل لنفسه .

وقال : العلماء ورثة الأنبياء في العلم والإبتلاء ، فعلماء الرسوم ورثوهم فيما نقل عنهم ، وعلماء الحقيقة ورثوهم في الأمر بالمعروف ، فابتلوا كما ابتليت الأنبياء ، وهو قوله : ﴿ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ .

وقال له قائل : أين حجر الحق الفكر في ذاته ؟ فقال : في قوله : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ .

---

(١) في د : فأبصرت الأعين إلاّ لعامل ليس هم .

(٢) في هـ : الاختبار .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

(٤) في هـ : ولذلك قلنا بقبول . . .

(٥) في هـ : ولا يعلم هذا من العارفين إلاّ قليل .

وقال : إذا استحسن الإنسان أمراً ، وتعلقت الهمة بتحصيل مثله من جانب الحق فإن الحق سبحانه وتعالىٰ يعطيه ذلك على أخص أوصاف ذلك الأمر وأعلاها ، وإن لم يكن مقصوداً للسائل ، وما يعرف هذا إلاّ قليل من العالمين .

وقال : إنتهاء محيط الدائرة إلى نقطة ابتدائها ، فالخواتم أعيان السوابق وإن كان بينهما أمر فلا أثر له[1] .

وقال : كل سالك على طريق فهو مائل عن غيره من الطرق ، فالطرق كلها ميل ، فلو كانت طريقاً واحدة لم يكن ميل .

وقال : العلماء كون العظمة الإلهية ، والعرش كون الإستواء الرحماني ، والسماء كون النزول الرباني ، والقلب سعة الإلهية .

ومنهم (رضي الله عنهم) .

* * *

عبد الله بن عبد البر بن يونس

قال ابن عبد البر : ما دام العبد بين السماء والأرض ينبغي له أن يستعيذ من عذاب جهنم .

وقال : لما كانت الرحمة سجية من الرحمن صح النسب الإلهي بينه وبين الرحماء .

وقال : إذا وقع الإطلاع عند إلتحام الزوجين كان النتاج ولا بد[2] .

وقال : صدور الكثرة عن الواحد من كون الواحد له وجوه كثيرة .

وقال : إنما كان للرجل سهمان وللمرأة سهم واحد لما له من التحقق بالقيومية . ألا ترى المجاهد ؟ للفارس سهمان ، من أجل قيامه بالفرس ، فذلك

---

(١) في هـ : وإن كان بينهما أمور فلا أثر لها . ويقول الصوفية : البدايات علامات النهايات فبداية العلم الإلهي هي نهايته ، فقد أثبت العلم لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الجنة وانتهى إليها عمر وكان فيما بين البدء والنهاية يحارب دعوة الله ويئد البنات ويسجد للوثن ، وبالعكس في إبليس . وهكذا .

(٢) وقد أوضحنا سر ذلك في «عبد الله بن يوحنا» في الجزء الرابع من هذا القسم .

سهم الفرس لا سهمه ، وللراجل سهم ، وإن كان أكثر مشقة ، وأقرب إلى التهلكة .

وقال : إذا تحقق العبد في سره ملكه لله سبحانه حالاً وجناناً فالعقوبة ساقطة عنه (في الدار الأخرة)[1] وعلى قدر ما يتحقق به من الحرية تزول عنه الحماية الإلهية .

وقال : النكاح أفضل من الصبر عنه ، والصبر أفضل من نكاح الأمة .

وقال : الدين الحنيفي هو المائل ، والحاكم العادل هو المائل ، والعدل والحنف : الميل . والميل مرض . وليس في الدين مرض .

والجائر : المائل . والجور : الميل . ولا شك أن هنا مرضاً .﴿وأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾[2] . وكل طريق فالحق غايته . والباطل عدم . والعدم لا شيء . فلا يمال منهم ولا إليه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الباري بن عيسى

قال ابن عبد الباري : لا إله إلاّ الله ، نفي وإثبات . والمنفي لا عين له . فعلى من وقع النفي ؟ والمثبت موجود . فعلى من وقع الإثبات ؟ والمنفي عين المثبت عين المثبت . والمثبت عين النافي عين المنفي .

فهذه ست ، وهي عين واحدة ، فمن قالها حكماً فما عرف ، ومن قالها بقوله الله فقد قالها وهو مؤمن[3] .

وقال : إبراهيم وسليمان سألا رب العزة أن يلحقهما بما شهد به لابني

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

(٢) لا يراد أن السير على الجور من الطرق الموصلة إلى الله ، بل المراد أن كل طريق من أي نوع كان فهو يكشف عن الحكمة الإلهية ، وينبيء عن سر التدبير .

(٣) حقيقة الذكر التي يوجهنا إليها الشيخ الأكبر : أن نردد كلمة التوحيد وكأننا نسمعها تلقينا من الله دون أن نعمل بها فكراً منطقياً على الصورة التي فسرها وفرعها ، بل نستشعر التوحيد المطلق والعظمة القائمة حتى يقع لنا التعريف الإلهي الذي يعتبر ذوقاً لا يخضع لتفسيرات العقل .

الخالة عيسى ويحيى .

وقال : إنما كان الكامل أسود الوجه في الدنيا والآخرة لأنه دائم المشاهدة فيرى ظلمة الكون في نور مرآة الحق .

ومن دونه من السعداء بالعكس . فإنه أبيض الوجه في الدنيا والآخرة لأنه مرآة الحق . فتنتفي ظلمته بنور حقيقته . وهو قوله «كنت سمعه وبصره» . وهو قرب النوافل . والأول قرب الفرائض[1] .

وقال : من كان مشهده الذات جهل في الدنيا والأخرة . فلم ينفع ولم يشفع . فهو في راحة الأبد .

وقال : الكامل من أعطى التصريف فتركه لمن أعطاه إياه . كأبي السعود وابن الشبل ببغداد .

وقال : المحمدي لا مقام له ، ومن عين لنفسه مقاماً كان له «يا أهل يثرب لا مقام لكم» (ومنهم رضي الله عنهم) .

* * *

عبد الله بن عبد الرحيم بن موسى

قال : ابن عبد الرحيم : الصمداني من يستغني ولا يستغنى عنه .

وقال : الرباني لا يستغني عنه ولا يستغنى[2] .

وقال : الفرق بين الحق وحكمه : إن الحق في جميع الأطراف . وحكم الحق في طرف واحد . ولهذا المجتهد مصيب ومخطىء ينظر إلى عبد الحكيم .

---

(١) المراد بالأول الكامل الذي هو أسود الوجه في الدنيا والآخرة والمراد بقرب الفرائض شهود الله تعالى والمراد بقرب النوافل شهود الأكوان بالحق ، والمراد بسواد الوجه ظلمة النور الناشئة من أمواجه المتراكمة ، وارتداد النور إلى الباطن متوهجاً . والكامل أعلى لأنه لا يشهد إلاّ الحق ، فإذا نظر إلى الكون رأى الظلمة . والثاني يرى امتداد النور إلى الآفاق . ولذلك قالوا إذا ظهرت الوضاءة على وجه ولي فهو أقل شأناً ممن لا تظهر عليه الوضاءة .

(٢) لأن الرباني في مقام الربوبية ، والربوبية لا تتحقق إلاّ بمربوب . أما الصمدانية فلا تطلب شيئاً وهي مقصود كالربوبية .

وقال : التنزين لك . والتشبيه له . من بحر العلماء الذي بينك وبينه[١] .

وقال : العلم نور ، والنور حجاب ، والحجاب عمى[٢] ، والعمى حيرة ، والحيرة وقفة ، والوقفة هلاك .

وقال : الرجل متحرك ما لم يفتح عليه ، فإذا فتح عليه سكن . وقد وقع التنبيه على ذلك بقوله (ص) : «لا هجرة بعد الفتح» .

وقال : الوقوت شرط في صحة أداة الصلاة المفروضة ، فإذا ذهب الوقت ذهب لذهابه الفرض ، وتعلن الإثم[٣] .

وقال : تكمل الفرائض من التطوع بما فيه من الفرض ، سجود لسجود ، وركوع لركوع ، وقنوت لقنوت .

وقال : نائب الحق في العالم إذا خلعت عليه العظمة لم يرد له قول ، وإذا لم يعط ذلك خوصم ورد قوله مواجهة .

وقال : تلاوة القرآن وسرد الحديث ليس من قول التالي ولا السارد ، وكذلك كل حاك ، فإن الله يقول : ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ . أي مناجاة بعضهم لبعض «إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» .

ونحن نعلم أنه من تلا فقد أوتي خيراً كثيراً ، ولكن ليس قوله[٤] .

---

(١) المراد أن العبد ليس مطالباً إلّا بتنزيه الحق عن المثل والنظير . أما التشبيه الوارد في بعض الأيات فهو لله وهو أعلم به ، ولا يجوز للعبد الخوض فيه لأن بينه وبين الحق بحراً من العماء والعظمة لا إدراك فيه ولا رؤية .

(٢) التجارب السلكوية في التصوف تعطي أن كل شيء سوى الله عمى بما في ذلك العلم ، لأن العلم يطلب معلوماً والمعلوم محدود ولا حدود للحق ، وكل محدود حجاب ، والحجاب عمي ، وليس ذلك صداً عن العلم كما فهم من فسروا الفلسفة الصوفية على ضوء الفلسفة العقلية . بل إن هذا الشهود مرتبة من مراتب المعرفة ، ويجب إحياء العلم ودراسته ومقارنته بنتائج التجارب السلوكية للوصول إلى هذه النتيجة الذوقية ، فالصوفي يسعد بما هو أعلىٰ من العلم . . . أي بنبع العلم وفيضه الأول في أعلى مراتبه .

(٣) تبيّن إلي وجوب التعرض للنفحات الإلهية ومراقبة الوقت ، والتحذير من فوات أيام الرحمات في الدهر .

(٤) أي من نظر إلى صوته وحروفه ولحنه عن التلاوة فلا خير في تلاوته ، وإنما يؤتى التالي الخير إذا شهد أن التالي عليه هو الله بقلبه ذوقاً لا تشبيهاً .

وقال : المؤمن مأمور بالإيمان .

ومنهم (رضي الله عنهم) .

* * *

عبد الله بن عبد الحق

قـال : رؤية المنـافق للجنة ، ولـذته بـرؤيتها ، وطمعـه في دخولهـا ، وتخيله إنهـا جزاء لعمله ، بخـلاف الكافـر ، ولذلـك أيضـاً ليس لـه في الـدرك الأعلىٰ من النار نصيب ، وله في الدرك الأسفل ، والكافر معذب في الأعلىٰ والأسفل .

وقال : جنات الأعمـال يتفاضـل فيها العمـال بحسب ملازمـة أعمالهم ، ومن جهة المكان والزمان ، والقول والحضور ، واستيفاء الأركان . ومن هـذا الباب قـول النبي (ص) : «بم سبقتني إلى الجنة»[1] ؟ .

وقال : جنات الاختصاص من عين الجود والمنة[2] .

وقـال : القصاص وإن كـان سيئه من حيث إنـه يسوء ، لا من حيث الحكم ، قولاً كان أو فعلاً .

وقال : الأجساد من عالم الخيال والتمثل ، وأكثر مـا يظهـر لأهل هـذا الطريق له مدخل في باب المكر الإلهي .

وقال : إذا كان الحق شاهداً فمن الحاكم ؟ انظر[3] .

وقال : كلمات الله موجوداته ، ولذلك تنفد البحـار قبل نفـادها بـالكتبة ، فمـا وقـع الشـرف لعيسى على المـوجـودات من حيث أنــه كلمـة ، لكن من حيث أنـه

---

(١) تكملة الحديث قال بلال : يا رسول الله ، إني ما أحدثت إلاّ توضأت ، ولا توضأت إلاّ صلّيت ركعتين .

(٢) بـل من باب الحب الإلهي ، وليس في الحب اعتبـار جـود ولا منّـة ، ﴿لهم مـا يشـاءون عند ربهم﴾ ولم يقـل «من ربهم» . فالحب والاختصـاص في مقام العنـدية . وفي بـاب الجـود والمنة يقول تعالىٰ : ﴿جزاء من ربك عطاء حساباً﴾ وحينمايكون الجود من مقام العندية يقول : ﴿آتينـاه رحمة من عنـدنا﴾ . أمّـا مراد الشيـخ الأكبر فتصـوير عـظمة العطاء على قدر الجـود الإلهي .

(٣) الحق الذي يشهد هو الحق الباطن في الخلق ، والحق الـذي يحكم هو الحق الـذي بطن فيـه الخلق .

ألقاها إلى مريم ، وأنت ألقاك أبوك .

وقال : كون عيسى روحاً من حيث نسبته إلى من تمثل إلى أمه بشراً سوياً .

وقال : المقرب من البشر رجل اتبعه الرسول ليتعلم مما عنده[1] ، وهو الذي يتولى الحق تعليمه .

وقال : العمال مستأجرون ، فجميع الأعمال لها أعواض هي الأجرة ، والعبادة ليست من الأعمال ، فالعبادة لله ، والعمل للعوض ولذلك قالت العارفة : «بئس العبيد أنتم عبيد الأجر ، إنما أنا أعبده له» .

فنطقت بالحقيقة حين جهلها من يزعم أنه من الرجال .

وقال : لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن : إفعل كذا ، وافعل كذا ، وقد توجد المكارم ولا إيمان .

وقال : للمكارم آثار ترجع على صاحبها ، في أي دار كان .

وقال : الإحسان والتقوى أخوان شقيقان لأم وأب .

وقال : الحق من الخلق بحسب أحوالهم ، فهو مع الأحوال ، لا معهم من ذواتهم ، وفي مواطن هو مع الخلق من حيث صفته ، لكن الاسم لا يفارق المسمى . وهنا علم شريف لمن يعرفه[2] .

وقال : المحبوب مكرم منعم ، وهو أفضل عند المحب من المحب له ،

---

(١) كالخضر اتبعه موسى لتيعلم منه رشداً .

(٢) الحال هو ما يفتح من العلم أو العمل من الأحاسيس المتغيرة على خلاف بين الصوفية فإذا استقرت سميت مقاماً . فالحق مع هذه الأحوال ومن أراد شهوده ذوقاً فليشهده عند هذه الأحوال ، فمن اتجه إليه بالافتقار وجده معه من حيث افتقاره ، وهكذا ، لا يكون الحق مع الذات الإنسانية حلولاً أو إتحاداً .

وفي بعض المواطن يكون الحق مع الخلق من حيث صفته هو سبحانه ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ، ﴿وما رميت إذ رميت . . .﴾ وفي صفة النبي (ص) ﴿رءوف رحيم﴾ أما الأسماء فلا تفارق الذات ولا سبيل إلى كونه تعالى بها مع الخلق ، ولعل العلم الشريف هنا هو في إطلاق الصفات الإلهية على النبي (ص) وجعلها من أسمائه والإسم لا يفارق المسمى ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ . الشطر الأول للحقيقة المحمدية والثاني للذات النبوية المحمدية .

فكرامة المحب للمحب بالمحبوب ، لإيثاره وحبه وميله إليه دون غيره . وليس هذا المقام مثل ذلك في الرتبة بكل وجه[1] .

وقال : المتقي صاحب دعوى ، ولذلك يقبل منه عمله . والعارف صاحب تجريد ، والأعمال تجري منه وهو عنها بمعزل ، فليس له نسبة إلاّ أنه محل لجريانها وظهور أعيانها .

فما زالت الأعمال عن عاملها ، فلا توصف بالقبول ولا بالرد . ألا ترى المتقي يحشر إلى الرحمن ، والعارف في الحضرة ما زال[2] .

وقال : الذاكر جليس الذكر . لا جليس المذكور .

وقال : كل من نسب إلى الحق أمراً فذلك الأمر عائد عليه . وهو أحق به .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد المهيمن بن إسماعيل

قال : القرآن مهيمن على غيره من الكتب والصحف .

وقال : وإنما صحت الغيرية في الكتب المنزلة من حيث المحل . فهي واحدة العين ، كثيرة في الكون .

وقال : المهدي لا يكون ظالماً لنفسه ولا لغيره .

---

(١) قال الله تعالىٰ : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ والشطر الأول من القول خاص بالشطر الأول من الآية ، والثاني بالثاني . والقاعدة التي يريدها الشيخ الأكبر هي أن المحبوب بذاته أفضل عند المحب من الشيء الذي أحبه من أجله ، فالعبد المحبوب أفضل من أعماله التي استوجبت الحب . والله تعالىٰ المحبوب من عبده لذاته من النعيم والكرامة التي يحب الله لأجلها أهل الأجور . فتكريم المحبوب لا سبب له إلاّ الميل إليه دون غيره . وهذا يصدق من جميع الوجوه في حب العبد لله . ولا ينطبق من كل الوجوه في محبة الله للعبد . فلا يجوز في حق الله أن يميل إلى عبد دون غيره ، بل إنه تعالىٰ يحب كل من على شاكلة هذا العارف ، فإيثاره للجنس كله .

(٢) هذا يتبع القول السابق في عمل الأجور وعمل المعرفة ، فالعارف لا يدعي العمل ، لأنه في حضرة شهود الحق في العمل ، ولا دعوىٰ في الحضرة والشهود . فأعماله تجري عليه من حضرة التقريب ، وهي حضرة تعلو على القول بالقبول والرد ، فهو في الحضرة يموت ويحشر على ما مات عليه .

وقال : الفرق في النصرة بين الفتح والأمر : إن الفتح به ، والأمر منه .

وقال : عز المؤمن في ذل الكافر ، وعز الكافر في ذل ظاهر المؤمن ، والعارف ذله في عز ربه وعزه في ذل الكون بعز ربه .

وقال : الواقف مع الكون محجوب عن العين .

وقال : إنما وقع الحسد والبغي في الجنس بين المثلين ، لأن المثلين ضدان والضدان متنافران .

وقال : المحقق صيد الحق منه ، والعالم صيد الحق من نفسه . والعارف صيد الحق من الجنة . والمقرب صيد الحق من الكونين . والزاهد صيد الحق من الدنيا .

وقال : حرم الله قلبك لأنه وسعه ، وحلاله سائر ذاتك . وسرك المخاطب بالحرمة ، فصيد الحلال على الحلال حلالان . وصيد الحرام على الحرام حرامان ، وصيد الحلال على الحرام حرام . وصيد الحرام على الحلال حرام . فالحرمة في ثلاثة مواطن . والحلال موطن واحد .

وقال : الأحكام على الأسماء والأحوال . لا على الأعيان . فمن لا اسم له ولا حال فلا حكم عليه .

وقال : الإقبال على أمر الله يوجب الصلاح . والإعراض عنه يوجب الفساد ، وكل يجازي بشاكلة فعله .

وقال : الإدارة متعلقها العدم . فلا يريد الله أحد .

وقال : الجود على صنوفه من الكرم والسخاء والإيثار لا يصح عند المحق . لأنه مؤدّي إلى أمانة .

وقال : له تنزيه، ولك تشبيه، ولك تنزيه ، وله تشبيه ، والتنزيه تشبيه ، فرد ماله ، وخذ مالك ، فالكل له . وضرب الكل في الكل ضرب الشيء كضرب الواحد في نفسه والنتيجة الكل . وهو عين المضروب .

وقال : وقع التنزل من الحق للأولياء إتباعاً لما بقي فيهم من بشرية الطبع . ووقع العروج للأنبياء ، لتخلصهم من ذلك . فهم أصفى ، فهم أوصل .

وقال : الملائكة أفضل أصلاً في النشأة من الإنسان ، والإنسان الذي هو آدم خاصة أفضل . فما توجه من المنشىء عليه فضله على الملك .

وقال : قال بعضهم : البينونة التي بين الحق والكون قدر السوط . وهي إشارة إلى صدورهم وإن كان من عين الجود ، فخروجهم بالقهر ، لأنهم في حال وجودهم له أتم عندهم من وجودهم لهم .

وقال له قائل : إن تاء البينونة قدر الأنملة ، ولهذا ترجع إلى الإقتدار .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الكافي

قال ابن عبد الكافي : إن من أولياء الآ من سترهم عن أعين الخلق في الدنيا والاخرة ، فهم في قباب النور خلف حجاب الأنس ، فلا يعرفون ولا يعرفون .

وقال : إذا زال الولي ولم يرجع من ساعته عوقب ، وعقوبته بأن يحبب إليه إظهار الكرامات فيظهرها ، والأولياء مأمورون بستر الكرامات على أنفسهم ، إلا إذا اقترن بها إقتضاء حق إلهي[1] ، ومع هذا فلا بد من الإذن .

وقال : تحدث الأولياء بما حققهم به الحق من الكرامات والمنازل والمخاطبات والأسرار . من باب التحدث بنعم الله[2] والتشويق إلى الآية ، وهو شكرها ، لا من باب تزكيتهم ، ولا تعريف بقدرهم ، فهم أعف من أن يلجوا هذا الباب .

---

(١) وفي هذه الحالة تصبح الكرامة خادمة للمعجزة النبوية ومؤيدة لها ، فكرامة الولي تابعة لمعجزة الرسول .

(٢) بشرط أن يكون من أهله ولأهله ، وإلا انعكست هذه الحقائق في عقول غير أهلها ، فأساءت إلى فيض الله أبلغ الإساءة ، أما أهلها فيمكن تمييزهم من المدعين المشرثرين بإحدى علامتين :

١ ـ ردهم وعدم الاعتراف بأهليتهم لهذه المقامات ، فمن غضب فهو مدع كذاب .

٢ ـ عند المال ، فإن كان به شحيحاً ، ولم يكن مؤثراً على نفسه فهو كذاب .

وقـال : الطاعـة للعبد ، والمسـارعـة إليهـا للمحب ، والتلذذ بهـا للعـارف ، والفناء عنها للمحقق .

وقـال : إن لله عباداً يتحكمـون عليه فيمـا يخـطر لهم ، فيجيبهم إلى ذلـك ، وذلك لمعرفتهم بـه حين خطر لهم ذلـك ، فهو كـالمتحكم غيباً ، وهـم المتحكمـون عيناً .

وقـال : الأنبياء والأوليـاء خارجـون عمـا تقتضيـه عقـولهم ، بمـا يقتضيـه لهم ربهم ، فعقـولهم معقـولـة عن التعـرف ، عقلهـا مـطالعـة عين القضـاء فيهـا ، فهم قائمون بجريان الحكم لا بهم .

وقال : الأحوال نتائج أذكار القلوب ، والآثار نتائج الهمم .

وقال : في ذهاب الرسوم يتحقق المطلوب .

وقال : لولا الأسباب لظهرت الآثار من موجدها .

وقـال : كل غيب لا يكـون عدمـاً فهـو غيب مقيـد ، وليس في الكـون اليـوم غيب إلاَّ وهو عدم من حيث عينه ، لا من حيث اسمه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد الخالق

قـال : عالم الأمـر الوجـه الذي يلي الحق في جميـع المـوجـودات ، ومـا لم يخلق عنـد سبب في بعض الموجـودات ، وعالم الخلق مـا وجـد عنـد الـوسـائط ، ولذلك ينسب إليها .

وقـال : كمال الإنسـان في معرفتـه بنفسه بـربه ، وبـربـه بـربـه ، فيعـرف مم وجد ، وفيم وجد ، وما غايته ، وما يراد منه في كل وقت ، قبل وقوع المراد .

وقال : السلوك منه وإليـه وفيه . فـالسلوك لا يزال دنيـاً وأُخرى ، ولـو كان ثم قرار لصح الوصول ، ولذلك قال من قال : إن فلاناً يـزعم أنه وصـل . فقال : لكن إلى سقر .

وقال : لكل همة متعلق ، فمن ظفر بـه فقد وصـل . وأشـرف أهـل الهمم من تعلقت بالله تعالى همته ، وليس وراء ذلك مرقى .

وقـال : من ادعىٰ أنـه خـارج عن الأسمـاء . وأنـه قـد رمـاهـا فمـا عـرف مـا يقول ، فإنـه ما رمـاها إلاّ بهـا ، فهو تحت حيـطتها ، وهي تصـرفه . والحجـة عليه في دعواه ذلك ، فإنه ما أدعى ذلك إلاّ بقوة اسم حكم عليه .

وقال : لو صـح أن يخرج عن الأسمـاء والصفات لكـان في درجة فـوق درجة موجده وهذا محال .

وقال : إذا سمع الولي يقـول بالخـروج عن الأسماء والصفـات فإنمـا يعني به أن مشربه في ذلك مشاهدة ذات لا تتعدد بأحكامهـا . وقد فني عن نفسـه بها ، فلم يبق عنـده من يحكم عليـه اسم ولا نعت ولا صفـة ، من حيث إنـه فـإن . لا من حيث عينه[1] .

وقـال : خرج الحق عن الأسمـاء ، ولذلـك وقع التنـزيه والتعـظيم والإجـلال لها ، لأنه لا يعرف منه إلاّ هي .

وإذا كـان الحق بهذه المثـابة من حكـم الأسمـاء فهذا الـذي يدعي أنـه خـرج عنهـا وعنها وجـد ، وبها أوجـد ، وهـو فقيـر على الـدوام لأنـه مخلوق على الـدوام كيف تصح دعواه على غير الوجه الذي شرحناه . هذا قد لبس عليه الأمر .

انتهى الجزء الأول
ويتلوه الجزء الثاني

أوله : ومنهم عبد الله بن إدريس بن عبد الملك .

---

(١) الخروج عن الأسماء يعني الخروج عن حيطتها . فإذا سمع الولي يقول ذلك فهو يريد أنه بـالله شهـد الأحدية التي لا تتعدد فيها أسمـاء ولا صفـات . فقـولـه هـذا من حيث شهـوده اللذات الأحدية . ولما شهد الأحدية فني عن نفسـه فلم يدرك اسمـاً ولا صفة ، فمن حيث فنـائه هـذا نطق بأنه خرج عن الأسماء . ولكنه عارف أن خروجه هذا بقـوة اسم إلهي دفعة إلى هـذا الأفق من المعـرفة . وقـد يـدعي هـذا القـول من لا خـلاق لهم ويمكن تمييـزهم من سلوكهم الـذي ينكشف للناظر لأول وهلة .

الجـزء الثاني

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الملك	وابن عبد الواحد	وابن عبد الصمد
وابن عبد السميع	وابن عبد العليم	وابن عبد البصير
وابن عبد النور	وابن عبد الطيب	وابن عبد الرازق
	وابن عبد الشكور	

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد الله بن إدريس بن عبد الملك

قال : رؤية الأمهات من عين المنة توحيد ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ .

وقال : نوافل الأعمال ما كان لها أصل في الفرائض ، وما عدا ذلك فعمل بر ليس بنافلة[1] .

وقال : العالم يخشى الله ، والملك يخاف الرب من فوقه ، فبين الإنسان والملك ما بين الخشية والخوف ، وما بين الألوهية والربوبية .

وقال : خصائص الحق وصنائعه همهم في الستر ، لغيبتهم عنهم في الحق ، وغيرهم همهم في الإفشاء ، لحضورهم بالحق مع الخلق ، فيدعوهم إليه من حيث لا يشعرون .

وقال : العلم بالله تجل لا إلقاء ، ونظر لا خبر .

وقال : النور حجاب ، والظلمة حجاب ، وبالضياء يقع الكشف ، وبالظل تقع الراحة .

---

(١) هنا تأثر الشيخ الأكبر بالحارث بن أسد المحاسبي . [أنظر باب النوافل من كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي] نشر عالم الكتب بالقاهرة .

وقال : لا يتمكن ما سوى الله من ملك وجن وإنس وحيوان أن يتحرك أو يسكن لا لعلة قائمة به في الدنيا أو الآخرة إلَّا أن تكون حركته بغيره ، فتكون العلة بالغير لا به .

وقال : لولا الحدود المشروعة لكانت الكائنات بعد الحركات تخلص من قيد الطبع .

وقال : لا تخلص حركة أبداً من قيد الطبع ما دامت الأرواح مدبرة لأجسام .

وقال : أصل الكون معلوم ، فالمرض يلزمه أبداً . ولا دواء يبرئه من علته .

وقال : الذكر لا يصح أن يكون ذكراً مقرباً إلَّا أن يكون مشروعاً فالجزاء يلزمه نويت ذلك أم لم تنوه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الواحد

قال : قوله : «كنت سمعه وبصره» إشارة إلى أنه لم يزل كذلك . لأنه قيده بالماضي فالمتجدد وقع في عرفانك لا في الأمر ، وكان هنا ناقصة غير تامة .

وقال : إن شاهد الحق به ، يرى الرأي سوى ربه .

وقال : إلزم النعوت والأسماء يقو تشبهك . ولا تكن من رجال الصفات فإنهم إناث العارفين[1] .

وقال : حقيقة المعنى له لا لك .

(١) النعوت في عرف التصوف بالنسبة لله تعالى كل ما انفرد به جل جلاله دون غيره ، كالجبروت ، والأحدية وأشباهها ، ويكون بروزها معنوياً ، والصفات يكون بروزها في عالم المادة غالباً كالمعطي والمانع . أما كون رجال الصفات إناث العارفين ، فلأنهم في حاجة دائمة إلى تجلي الصفة كما تكون الأنثى في حاجة إلى النفقة وغيرها ، فهم غالباً في ملاحظة الأسباب ، بخلاف رجل النعت فإنه في ملاحظة الذات . ورجل النعت مفيض مما تجلى عليه ، ورجل الصفة قابل للفيض غير مفيض إلَّا بقدر محدود .

وقال : من رأى نفسه برؤية ربه إياه[1] . إذا لأوجبت لـه [تلك الرؤيـة] نعوت العلا ، فلا يلام . ولا يرام .

وقـال : لا تعرف وحـدانية الحق إلاَّ من وحـدانيتك . فـلا تـرى إلاَّ واحـداً . ولا تراه إلاَّ به . فيكـون الواحـد يرى نفسـه ، وما أنت ثم ، ولا [أنت] هـو . فبهذه النسبة يثبت التوحيد الصحيح ، وعزيز واجده[2] .

وقـال : كل مشهـد بقيمك الحق فيـه ، وبينـك وبينـه ذكـر الأغيـار ، أو ذكـر نفسـك ، وتزعـم أن ذلـك قرب فليس ذلـك بقـرب ، لكنـك مجـاور غيـر كـائن في المقـام . فـإن القـرب الإلهي يـذهب الأكـوان والأعيـان إذا كنت فيـه كـائنـاً قيـل لبعضهم : اذكـرني في خلوتك بـربك . قـال : إذا ذكرتـك فلست معـه في خلوة ، فإذاً الذكر كون .

وقال : بعض الناس اعتـذر عن إبليس . فإن الـلام ما أبقت لـه حجة لـو كان مسـارعـاً إلى مـرضـاة ربـه[3] . وبعض النـاس خـاصم آدم فحـوجـج ، فحـج آدم موسى ، فليته خاصم إبليس[4] .

---

(١) أي بما أفاض الله عليه من معرفته ، لا بالدليل والنظر والفكر ، فلا يحاول التصنع ولا التأمل إلاَّ في الغيب دون فرق .

(٢) الإنسان متكثر من أعضاء ومدارك مختلفة ، ولكنه في مجموعه واحـد ، فلا يمكن إطـلاق اسم الإنسان على اليد أو الرجل ، وكذلك في إدارك التوحيد المفاض لا المصنـوع بـالفكر ، فـلا تمييز ، ولا حلول ، ولا اتحاد لا فيه تعالىٰ منك ، ولا فيك منـه تعالىٰ ، لأن حقيقـة المعنىٰ له لا لك .

(٣) فاللام تشير إلى أن المراد السجود وهو للإبداع والخلق في آدم ، لا لشخص آدم .

(٤) قال موسىٰ لآدم : أنت الذي أخرجتك خطيئتـك من الجنة . فقـال له آدم : أنت مـوسى الذي اصطفاك الله بـرسالتـه وبكلامـه ، ثم تلومني على أمر قـد قدر علي قبـل أن أخلق . فحـج آدم موسىٰ .

وهذا عتاب من موسىٰ لآدم على مخالفة الأمر ، واعتذار من آدم بالحقيقة ونفوذ الحكم ، فلم لا يقبل من المشركين في قولهم ﴿ولو شاء الله ما أشركنا﴾ ولا من البخـلاء في قولهم ﴿أنـطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ فإن هذا أيضاً احتجاج بالحقيقة ونفاذ الحكم ؟ .

والجواب : إن الاحتجاج بالحكم مع الإصـرار على المعصية غيـر مقبول فـإذا دعي العاصي إلى الطاعة ، والكافر إلى الإيمان فلم يقبل وقال : لا حيلة لي إلاَّ بمشيئة الله ، واستمر على ما هـو عليه ، لم يقبـل منه . فقـول المشركين السـابق حق أريد بـه باطـلاً ، فلم يقولـوه توحيـداً وتسليماً ، وإنما قالوه رداً لـلأمر ، وإصـرار على المخالفـة وآدم كان تـائباً راجعـاً نادمـاً ، فقبل احتجاجه .

و[قد] اعتذر الله تعالىٰ عن آدم فقال : ﴿ولم نجد له عزماً﴾ على انتهاك الحرمة . بل وقع بمطالعة قدراً سابقاً ، أنساه ما توجه على التركيب [الآدمي] من خطاب الحجة .

وقال : من وقف في معرفة الحق موقف العجز . فلم يشاهد في معرفته سوى نفسه . فلا عين المنة شاهد ، ولا عين الحق أشهد(1) .

وقال : من تجرد عن وجوده . كان في وجود الحق عين الهو .

وقال : من طلب الله وحده .

وقال : من طلب نفسه وجد الله «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ووجد الله عنده»(2) ومن طلب الله وجد نفسه(3) ، فكل مطلوب حاصل . غيرك وغير الحق .

وقال : شاهد الحق أفناني بالحكم ، وأفناني عني بالحقيقة .

وقال : من شهد بقاءه بحضوره مع من بقي فهو باق ، والبقاء والفناء خلتان لا يحصل معهما توحيد ولا تجريد ولا تفريد ، إلاَّ من فني عن فنائه وبقائه .

فالبقاء في السلوك أعلىٰ ، والفناء في الوصول أعلىٰ ، ولكل حالة مقام معلوم ، وشرح مفهوم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يحيى بن عبد الصمد

قال : لو كان ثم طريق يوصل إلى الله لظفر به الواصل ، ولا ينال بالسلوك والسعايات ، ونيله بالسعاية محال ففرض الطريق إليه محال .

---

(1) وإنما العجز الذي يعتبر معرفة هو الحيرة في المعرفة المفاضة ، لا العجز النابع من النفس الطينية .

(2) لأن طالب معرفة نفسه طالب لمعرفة ربه بالتبعية ، ولا يرى إلاَّ أوهاماً من نفسه يعرف أن الحق هو الله عند تحقق فنائها .

(3) لأن طالب الله لا يجد إلاَّ النفس الطالبة .

ولما وقف بعض العارفين على هذا المقام قال : الطريق مسدود ، والسالك مردود ، يعزي هذا القول إلى أبي يزيد البسطامي .

وقال : الكذب وصف للمخبر ، يحدث بتوهم السامع ، حيث يجعل المخبر به في غير الموضع الذي رآه فيه للمخبر أو سمعه ، فما كذب مخبر قط فيما أخبر به من جهة الحقيقة[1] .

وقال : إذا توجه القلب إلى شيء فلا يسعه غير ما توجه إليه ، وإذا كان الأمر على هذا فلا كلفة في دفع ما سوى الله عن القلب وقد قرب الطريق .

فاجعل شاهد القلب الحق ، يذهب ما سوى الحق .

وقال : إن الله في كل شيء كما هو ، في السموات والأرض من غير تكييف ولا تحديد ، بل كما ينبغي لجلاله **﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾** **﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾** .

وقال : الحس يدرك بالحس ، والخيال بالخيال ، والغيب بالغيب ، ودع عنك ما يطرأ من الوهم في إدراك الغيب بالحس إذا كان غيباً .

وقال : الرؤية علم ، فكل معلوم مرئي ، فالعدم مرئي ، وهو وقوع الرؤية على لا شيء ، فالعالم مرئي لله تعالى وهو معدوم ، ومسموع له وهو معدوم .

وقال : رؤية القلب غيباً بغيب ، ورؤية العين حساً بحس ، والمشاهدة رؤية لا مشاهدة ، والمشاهدة في الدنيا كأنك تراه ، لا أنك تراه . فالمشاهدة بين الحس والغيب .

وقال : الرؤية والكلام لا يجتمعان ، فإذا أسمعك لم تشهد ، وإذا أشهدك لم تسمع .

وقال : الذي منع الخلق من رؤية الحق كونهم في قبضته ، فهم في ظلمة القبض لا يبصرون ، وإذا بسط يده رأوه .

---

(١) مثال ذلك المتنبيء الكاذب ، ليس كاذباً في الحقيقة من حيث أن هناك نبوة وأنبياء ، فلما قال كذباً : أنا نبي . فقد حول النبوة عن مكانها الصادق إليه كذباً وهكذا الكافر يقول : الوثن ربي . فإسناد الربوبية إلى الوثن كذب لأنه تحويل لها عن حقيقتها . والربوبية صدق . هكذا .

فيده على الأشقياء مقبوضة ، فالعمى والحجاب لهم دائم . قال (ع) في حديث آدم واليدين حين قيل له : اختر أيتها شئت . فقال : «أخترت يمين ربي ، وكلتا يدي ربي يمين مباركة» . فإذا آدم وذريته .

فآدم في اليد مقبوض عليه حين اختار اليمين ، وليس في اليد ، وآدم الذي اختار ، والذي ليس في اليد هو عين آدم المقبوض عليه .

وهكذا كل موجود ، فيظهر الشيء وإن كان له عين واحدة في مواطن كثيرة[1] ، فيتخيل أنه تعدد ، وما تعددنا ، [فالعجب] لمن يدري معرفة الله بعقله ويقول : هذا محال وهذا جائز . أين عقلك في هذه المسألة وأنت تقول : الشيء الواحد لا يكون في مكانين .

وقال : تكثر الظلال من الذات الواحدة بتكثر الأنوار ، ولكل نور ظل ، ومن هذه العين تكثر الصورة في المرائي الكثيرة ، وهي صورة وجود حسية ، وهي من صورة واحدة ، يتلى عليها مثالاً : يا أيتها الصور إنا خلقناكم من صورة واحدة[2] .

وقال : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ﴾ من آدم وحواء ، عيسىٰ من ذكر وأنثى ، وجميع بني آدم كذلك . تنبيهاً للغافلين ، وإيجازاً للعارفين .

ومنهم (رضي الله عنهم) .

* * *

عبد الله بن داود بن عبد السميع

قال : المعرفة معرفتان : معرفة تحصيل بالنظر والإستدلال ، وهي معرفة تعتور صاحبها الشبه ، ومعرفة هي حق المعرفة ، وهي معرفة تحصل عن الأحوال .

---

(١) تكون عين الإنسان في مكان ، ثم يجول بخاطره في مكان آخر ، ويستغرق حتى ينسىٰ عينه تماماً ولكن ليس وجوده عندما استغرق فيه وجوده في عينه .

(٢) يريد أن يقرر أن تكثر العوالم والمظاهر نشأ عن شدة الأنوار التي نشأ عنها تكثر الظلال فهي مع كثرتها راجعة إلى عين واحدة ، كما تتكثر الصورة في المرايا المتقابلة .

وعلى هذا تكون التجليات الإلهية المتعددة راجعة إلى أصل واحد هو الله وحده .

وعن هـذه المعرفـة تظهـر الآيات في خـرق العوائـد لأربابهـا ، فتخيـل بعض النـاس أن ذلك الأثـر عن الأحوال ، وإنمـا الأثر للمعـرفة التي تكـون عن الحـال . ولهـذا قد يكـون الحال ولا أثـر ، لكون الحـال لم يكتسب المعرفـة بـالله فقـول من قـال : الأحوال للكـرامات . [يعني] إذا كـانت عن المعـرفـة ، وهـو قـول صـاحب محاسن المجالس .

وقد نبهت النبوة على هذا الفصل من المعرفة في خبـر روى عنه (ص) : «لـو عرفتم الله حق المعرفة لمشيتم على البحور ، ولزلزلت بدعائكم الجبال» .

وقـال : لا يكون الجهـل علماً إلاَّ في علمـك بـالله ، فـإن العلم بـه جهـل ، ومن جهله كان عالماً به ، وكان صديقاً .

وقـال : إذا ارتفـع ستـر الغيب عن عين الإيمـان ، وانصـرف البصـر إلى القلب ، شاهد الحق بعين الحق .

وقـال : إن من عباد الله من لا يستـره حجـاب ، ولا يمنعـه الحجـاب ، ومـع هذا فلا يعرف ما في جيبه وربما تكلم على الخاطر ، وما هو مع الخاطر .

وقال : العلم بالله من حيث الكـون لا يصح ، فـإنه قـد كان والكـون لـم يكن في الكون للكون ، بل كان الكون في الكون للكون .

فهو تعلم به الأكوان ، ولا يعلم بالأكوان . قال : هو خارج البـاب فما يعـرف بـالكون من الحق ؟ قلنـا : الآثار تـدل على الأحكام والنسب ، وعليـه من حيث أنه موجود من غيـر علم ماهيتـه ولا كيفيته ، ولا هـويته ولا آنيتـه ، تعالى الله عن ذلـك علواً كبيراً[1] .

وقال : الشغل بغير الله عين الجهل بالله .

---

(١) يريد إن العلم بوجود الله غير العلم بالله . فالعلم بوجود الله يمكن معرفته بالأكوان .
أما العلم بالله فيستحيل أن يكون بالأكوان .
وقد أخطأ بعض دعاة التصوف في تفسيـر هذه القضيـة فهاجمـوا علم التوحيـد النظري السني وغيره . وأطلقوا القول بوجوب معرفة الكون بـالله لا العكس ، لا فرق بين علم بـالوجـود وعلم بالله . ولعل في قول الشيخ الأكبر . فعلم التوحيـد النظري الـذي يهاجم دعـاة التصوف بحسن نية لازم في إثبات وجود الله للمفكرين والملحدين . أما العلم بالله فمرحلة أعلى من المعرفة ، لازمة للمؤمنين .

وقـال : إن من عباد الله من كفـاه مؤنة المعـرفة ، فكشف لـه عنه فعـرفه ، ثم عـرف نفسه بنـور ربه ، لأنـه يستحيل أن يعـرف أحد نفسـه بـه ، إذ لا منـاسبـة ولا مشاركة .

وقال : إن من عباد الله من تقـودهم إليه المعـرفة بـه ، فيهبهم المعرفـة ابتداء وهم جـائلون في ميادين المخـالفـات ، ثم يهبهم التـوفيق ، فيسلكـون على بصيـرة وسلوك .

وهؤلاء أشرف سلوك السالكين ، إذ كـل سالـك غايتـه المعرفـة ، وهي بدايـة هذا السالك ، وهي كانت بدايتنا(١) .

وقال : من كانت بـدايته الخـوف فغايتـه الجمال ، ومن كـانت بدايتـه الرجـاء فغـايته الجـلال ، ومن كانت بـدايته المعـرفة فغـايته الكمـال والجهل ، ومن قـال : الله . فإنما قالها بنفس ، فإن الله لا يقال إلاّ بالله فهي حالة نفسه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد العليم بن سليمان

قـال : لا حياة إلاّ عن مـوت ، ولا موت إلاّ من رؤيـة حي ، فمن مـات غيـر هذا الموت فلا يحيا ، ومن حي غير هذه الحياة فهي حياة حيوانية(٢) .

وقـال : من عرف اسمـاً ربانيـاً من غيـر اسم عبـداني فمعـرفتـه لقيـطة ، وإن عرفه باسم عبداني فتلك(٣) المعرفة ، وهي معـرفة بـأنس وبسط ، ومن عرف اسمـاً عبـدانياً من اسم رباني فهي معرفة قهر وقبض(٤) .

---

(١) هذا النوع يعرف بمن سبق فتحه على سلوكه وهو مع جلالة قدره على قـدرها من الخـطورة إذا لم يحالفه التوفيق .

(٢) الحياة من غير مـوت نوازع النفس البشـرية حيـاة الحيوان بـل أضل سبيـلاً . ولا تموت نـوازع النفس إلاّ عند مشاهدة الحي بذاتـه سبحانـه . فإذا تم المـوت على هذه الصـورة كانت الحيـاة الأبدية دون شك .

(٣) المعرفة اللفظية مثل معرفة اسمه العزيز دون تحقيق بـالذل ، والـربوبيـة دون تحقق بالعبـودية . والعكس معرفة حقيقية .

(٤) مثال النوعين من المعرفة : من عرف العزة الإلهية من الذل البشري فتلك المعرفـة تنتهي بالأنس=

وقال : الأجل المسمى هو مسمى لانقطاع الأنفاس ، لأنها مناهل طريقه ، فمن لا نفس له فلا يضرب له أجل .

وقال : الكامل من عباد الله من كان طريقاً لجريان النعوت الإلهية ، وهو يعلم الفرقان بينها وبين العلم بها[1] .

وقال : العبد محق في حق .

وقال : من غيب عن اسمه ورسمه كان القائم عنه سواه .

وقال : من فتح عينه فلم تقع إلاّ على الله ، ومن أغمض عينيه فلا يغمضها إلاّ على الله .

فمن فرق بين الحالتين فقد وجده ، ومن لم يفرق بين الحالتين فقد وجد ، وليس عنده وجود بالأمر على ما هو عليه .

وقال : في الإشارة إلى الله إثباتك ، فلست بواجد ، لأن في وجوده محوك .

وقال : من أراد أن يعرف الله فليعرفه منه . وقد أخبر (ص) : إنه يتجلى غداً لهذه الأمة ومنا فقيهاً على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه وتعالىٰ في غير الصورة التي عرفوه بها ، فينكرونه ، فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه بها ، بالعلامة التي بينه وبين كل طائفة ، وهي ما عرفوه منه في الدنيا فيقرون به ، وهو عين ما أنكروا .

ولما وقف الجنيد على هذه المعرفة بالله تعالىٰ سئل عن المعرفة والعارف فقال : «لون الماء لون الإناء» فالإناء مثل مضروب لعقده ، والماء مثل مضروب لمعروفه .

وقد اختلف الناس في تأويل هذا من علماء الرسوم .

وقال : العالم بالله من حيث المشاهدة والكشف يرجع إليه ، فهو بين أدب

= والبسط ومن عرف الذل من العزة الإلهية انتهى إلى القهر والقبض . النوع الأول سلوك الطريقة الخلوتية . والثاني : سلوك الطريقة الشاذلية والنقشبندية .

(1) العلم بالشيء غير منازلته وذوقه ، فمن يعش في نعمة الله قائماً بشكرها ، غير من العلم بها فحسب .

وحقيقة ، فهو مركب من شرع وحقيقة ، يأكل بعضها بعضاً .

فإذا أحس بالألم لا يقدر أن ينطق ، فإنه إن نطق أهلك ، وإن سكت هلك ، فيشكو إلى الله ، ويستأذن في أن يؤذن له بالنفس . مثل النار لما أكل بعضها بعضاً ، فتنفست نفسين ، سعيراً وزمهريراً ، فأهلكت الخلق ما كانت تهلك به في نفسها .

كذلك العارف . إذا تنفس استراح في نفسه ، وأهلك الخلق بكلامه ، فإن رزق العصمة من الناس جهل ، وإن لم يرزق العصمة كفر وزندق ، وربما قتل ، وهلاك الخلق أولى من هلاك نفسك .

ألا ترى القاتل نفسه في النار ، والقاتل غيره في المشيئة ، والقاتل غيره له كفارة ، والقاتل نفسه لا كفارة له ؟ .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد البصير

قال : الرجل من عرف الفرقتين ، ولم يتميز في فرقة عنهم في وقت الوزن ، ثم ينظر إلى ضنائن الحق خلف ستر العزة مكتنفين بالنور الحجابي والنار تسطع من سبحات وجوههم ، في زوايا سرادقات كونهم ، فتحرق كل ما أدركه بصرهم منهم ، فيبقون مع الحق أعياناً قائمة بلا معنى ، فيكون الحق معناهم ، فهو نور في نور ، فيطمع هذا الرجل باللحوق بهم من عين التوحيد أو المنة .

فإن رفع له الميزان التحق بهم من عين توحيده ، وإن لم يرفع له ميزان التحق بهم من عين المنة ، وكان عند ذلك ممن كمل .

وقال : إن من عباد الله من يشهد لهم الحق ، وإن منهم من يشهد لنفسه بما شهد به الحق للآخر وليس هذا بأفضل من هذا . قال تعالى : ﴿وسلام عليه﴾ وقال : ﴿والسلام عليَّ﴾ .

وقال : الظلال محجوبة أبداعن موجدها ، وظهورها عند طلوع الأنوار على من تولدت عنه . وهي أبد تطلع من خلف حجاب أسبابها ، لترى موجدها فلا تراه أبداً . فهي في ظلمة كونها محبوسة لا تسرح أبداً .

وقال : من كان مع الله مثل ظله معه لا ينحجب عن ربه ، ولا يعترض عليه في فعله ، ولا يتحرك إلاّ بتحريكه إياه . وكان عبداً حقيقة ، ألا ترى الظل لا يزال تابعاً لمن ظهر عنه ؟ .

وقال : تطلب الظلال غير مطالع أنوارها ، وهو عين رجوع العبد إلى حقيقته وفراره عن مكانة ربه ، فلا يزال أبداً عبداً .

وقال : كل ما سوى الله ظل له . ولما كان السلطان مجمع الصفات الإلهية قال فيه (ص) : «السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم» .

وقال : ظل كل شخص على شكله ، فلذلك يصح أن ينسب إليه .

وقال : لا يقوم الظل أبداً من بساط الخضوع والعبودية إلاّ إذا قابل كوناً ، عند ذلك يظهر فيه بصورة موجده ، ألا تراه يؤثر فيه حاله ؟ هل رأيت قط ظلاً قائماً إلاّ إذا قابله جدار أو شبهه .

وقال : في كل شخص ظلان : ظل يخرج عنه متصلاً به من طرف ابتداء وجوده ، وظل في نفس الشخص يقابل ذلك الظل . فلا يرى من الظل الخارج من الشخص إلاّ الظل الذي يقابله وهو صورته .

فلا يرى أبداً إلاّ صورته ومثاله ، لا حقيقة الشخص الذي ظهر عنه .

وقال : تستتر الظلال بأشخاصها ، لئلا تتقدمها الأنوار ، فلا يكون لها وجود .

فلا يرى الحق أبداً إلاّ من خلف حجاب ، فإن سبحات الوجه لا تقف لها الأكوان .

وقال : إذا أحاطت الأنوار بالشخص اندرج ظله فيه ، وانقبض إليه ، كما قال سبحانه : ﴿قبضاً يسيراً﴾ حين جعل الشمس على مد الظل دليلاً .

وقال : ظلك لا يلحقك إن أدبرت عنه متوجهاً إلى الشمس ، وأنت لا تلحقه إن أقبلت عليه وأعرضت عن الشمس . والذي حصل لك منه في الإقبال هو الذي حصل لك منه في الإدبار ، وفي إعراضك عن الشمس الخسران المبين .

هذا مثل مضروب ضربه لك الحق في نفسك ، تقول لك الشمس : أنا ، فإني أنا النور ، والكون ظلك ، وما فيك منه ما قدر لك ، سواء أعرضت عن الكون أو أقبلت عليه ، فلا تخسر .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد النور

قال : العلم في العين حيرة ، والعين في الحق حيرة ، والحق في الحقيقة حيرة ، والحقيقة في العلم حيرة ، ترتيباً دورياً .

وقال : ليس في الوجود تكرار أصلاً للتوسع الإلهي ، ولو طرأ على الإنسان عدم لم يعدم عين وجوده الأول ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، والعين واحدة ، والحال المتنقل إليه وجود آخر ، منه بدأنا . وإليه نعود ، **﴿كما بدأكم تعودون﴾** منا .

وقال : يتنزل الأمر الحق من سدرة المنتهى على قلوب الخلق من جهة الرأس . ولما كان القلب قد وسع الحق تلقىٰ ذلك الأمر الحق الذي في القلب .

فصدرت الحركة إن كان أمر حركة عن الحق بلا واسطة ، فيخرج ذلك العمل من قدسيته ، فيعرج على معارج الأرواح ، بل عروجها على الطريق الذي نزل عليه الحق إلى قلبه من وسعه نزولاً منزهاً ، وعروجاً منزهاً .

ولا تعرفه الأرواح الملكية ، بل يرون نوراً لا يعرفون ما وراءه إلى العماء ، فيستقر هناك إلى يوم القيامة .

وإن لم يصادف الأمر النازل الحق في القلب ، وصادف الملك ، تلقاه فينفذ أمره في الجوارح ، فيخرج منه على صورة روحانية ملكين ، فيقع على معارج الأرواح طيراً حسناً ، له من الأجنحة والألوان على قدرها له من اللوازم ، فلا يستقر حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى ، وهناك مقره .

وإن صادف الأمر النازل في القلب الشيطان ، انقلب في صورة روحانية نارية شيطانية ، فيعرج على معارجهم طيراً أسود ، يحلق في الجو إلى أن ينتهي إلى

مقعد فلك القمر ، وهي كرة الأثير ، فلا يبرح فيها إلى يوم القيامة .

وتبدل صورته بأمر آخر ، إلى صورة أُخرىٰ ، فيشق الأفلاك إلى السدرة ، وهو الذي يقع فيه التبديل ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات .

وإن صادف الأمر النازل النفس ، ولم يصادف حقاً ولا ملكاً ولا شيطاناً ونفذ أمره في الجوارح ، خرج على صورة نفسية ، فلا يزال يعرج طيراً حسناً ، حتى ينتهي إلى الجنة ، فينتظر النعيم الذي لاءم مزاج تلك الصورة ، فينغمس فيه ، إلى أن يأتيه صاحبه .

وإن صادف الأمر النازل إلى القلب المحل مشتركاً بين النفس والشيطان أو النفس والملك ، ولم يحصل للشيطان استيلاء على النفس ولا الملك ، بل النفس في حال النظر إلى أحدهما والآخر على ذلك الحال من غير تمكن . نفذ الأمر في الجوارح ، فعرج على صورة نصفها ملكي ونصفها نفسي . وفيما هو ملك يقيم بالسدرة .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الطيب

قال : عالم الأنفاس حالة مشام الأرواح في التعارف ، فما وقع منها وجهاً لوجه كان كل واحد منهما في المعرفة بصاحبه والحب له على السواء ، والود ثابت لا يبرح .

وما وقع منها ظهراً لظهر فبالعكس مما ذكرنا .

وما وقع منها وجهاً لظهر ، فذو الوجه محب ، والآخر عنه غافل .

وقد سمعت قول بعض الصالحين وقد سلم عليه ذو النون فرد عليه وسماه ، وذو النون لا يعرفه ، فقال له ذو النون : من عرفك باسمي ؟ فقال له : عرفت روحي روحك بعيني في هذه الحضرة . ومسألة أويس القرني مع هرم بن حيان ولذلك لا يعرف كل شخص .

وقد تكون الرؤية في هذه الحضرة بين الأرواح على الجنب بالعين

الواحدة ، وقد يكون الواحد مقبلاً على جانب الآخر ، وقد يكون على جانب اليمين ، أو على جانب الشمال ، فيكون أبداً المقبل بوجهه عارفاً بالآخر ، ويكون أبداً صاحب العين الواحدة متحير معرفة ، غير قاطع بها ، ولا يعرف هذا إلاَّ بعد الكشف لهذه الحضرة .

وقال : العشق التفات الروحية ، والحب صفاء ذلك الإلتفات ، والود ثباته ودوامه ، والهوى أول سقوطه في القلب .

وقال : الذهاب صفة العارفين ، لكن ذهاب إلى غاية .

وقال : الحال الذي يملكه النبي غير الحال الذي يحكم على الولي . وللأنبياء حال يحكم على الأنبياء . الا تراهم عند نزول الوحي ترد عليهم حالة الفناء والبهت ، ويرغون مثل ما يرغو البعير ، وينصرف عنهم الوحي وجبينهم يتفصد عرقاً بحكم الحال عليهم .

وسبب ذلك أن للنبي وجهين : وجه للولاية ، فهو ولي بذلك الوجه ، ووجه للنبوة . فمن حيث ولايته يملكه الحال ، ومن حيث نبوته يملك الحال والولي ليس له وجه سوى وجه الولاية ، فيملكه الحال .

فالأولياء تصرفهم الأحوال ، والأنبياء يصرفون الأحوال .

ألا وإن الأولياء يصيرون من القوة بحيث لا تسترعيهم الأحوال في حالهم ، ولا يقفون مع شيء وقوف تعشق إلاَّ مع العين التي فيها ومنها تظهر الأحوال . فهي باقية ، والأحوال في كل آن فانية والعشق الفاني جهل وعذاب حاضر .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد الرازق

قال : من يستعمل العلم فهو العالم المحقق ، وهو فوقه ، ومن يستعمله العلم فهو مكلف متكلف ، حافظ نقل الحكم .

وقال : كل ما كان للعبد كسب فالحق هو القائم به لا العبد ، ولكن فيه ظلمة الكسب ، وكل ما لم يشاهد العبد فيه كسبه وأبقاه للحق ، لم ينظر إليه

الاسم القائم ، لأن القائم إنما ينظر لمن قام له في فعله كسب ، فإنه مقام لاسمه القائم ، فلذلك ينظر إليه الاسم القائم ، ليزيل قيام الكسب عنه .

وكان العقل نوراً محضاً فخلط من ظلمة الكسب .

وقال : المعرفة من كسب النفس ، فالحق قائم بها ، فالمعرفة نفسية ربانية جنانية .

وقال : بالباء عرفه العارفون ، وبزوالهم صح الدوام لهم في المعرفة .

وقال : من جلس مع الله من حيث هو رزاق فمع بطنه جلس ، وهو من المغترين .

وقال : إن من عباد الله من إذا رفع عنه حجاب المشاهدة ، ولم يحجبهم عن الذكر في هذه الحالة ، وأعطاهم الفهم في ذكرهم وأورادهم في الملكوت ، ونفوسهم تتقلب في أطوار النعيم واللذات ، بالحور الحسان ، والمشارب والمطاعم الشهية ، والمسموعات النغمية المستعذبة ، وكل ما أعطاه الحس لهم من الكشف في عالم دنياهم إن كانوا في الدنيا ، وأهل الآخرة إن كانوا في الآخرة ، وأسرارهم ناظرة إلى جمال رب العزة ، كل ذلك في وقت واحد ، وحالة واحدة ، لا يحجبهم شيء عن شيء ، فقد أعطاهم الغاية التي ما فوقها غاية ، وهي أعلا مرتبة ينالها أولياء الله وخاصته

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الشكور بن داود

قال : العبد بين نعمة وبلية قائم ، فالنعمة تطلبه بالشكر ، والبلية تطلبه بالصبر ، فهو الصبار الشكور كراكب البحر .

وقال : الرباني فخره في غناه ، والإلهي فخره في فقره .

وقال : الحركة تصحبها الدعوى بأنها موجود ، والسكون لا دعوى فيه لأنه عدم ، فله ما سكن في الليل والنهار خالصاً من الدعوى ، وله ما تحرك في غير عالم الليل والنهار . لا في عالم الليل والنهار .

فإذا خرج العبد من ليل نشأته ونهارها كان لله لا لنفسه . ولما كان السكون الثبوت كان له ، وكل ثابت فهو له ، وما ليس بثابت فهو لك ، وهو العدم .

فالعدم الثابت لك منك ، والوجود الثابت لك منه ، وما بينهما فحالة إضافية ونسب .

وقال : الكافر يعدل بربه إلى نفسه ، والمؤمن يعدل بنفسه إلى ربه ، والعارف يعدل بربه إلى ربه ، وبنفسه إلى نفسه .

الكافر يقع في الظلمة فيحجب ، والمؤمن يقع في النور فيكشف ، والعارف يشق حجاب الأنوار والظلم ، فيرى الحق بالحق ، ويرى الأشياء بالحق ، والمؤمن يراها بنور الحق ، لا بالحق .

وقال : الإعراض لا يمكن أن يكون عن الله ، فإنه مطلوب الكل ، وإنما يكون الإعراض عن الآيات والذكر فإن الآيات كون ، والذكر كون ، فإنه من عالم العبارة والخاطر ، والحق المطلوب بالوجه خارج عن الأكوان ، فلذلك أعرض من أعرض .

ولما رآه العارفون في الآيات والذكر لم يعرضوا عن الآيات والذكر ، فسعدوا حين شقي من أعرض عنهما .

وقال : لما كانت الآيات علامات لا على أنفسها أعرضوا عنها معرفة بارتفاع المناسبة فكانوا عارفين .

انتهى الجزء الثاني من كتاب العبادلة
ويتلوه الجزء الثالث

الجـزء الثالث

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحي — وابن عبد الوالي — وابن عبد الباقي
وابن عبد المغيث — وابن عبد المحسن — وابن عبد الكبير
وابن عبد العلي — وابن عبد القادر — وابن عبد العزيز
وابن عبد الجبار

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

وبه العون والعصمة

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد الله بن إلياس بن عبد الحي

قال : إن من عباد الله من قلوبهم من نور الملك ، ومن قلبه من نور الملكوت ، ومن قلبه نور الجبروت ، ومن قلبه من نور ملك الملك ، ومن قلبه من نور النور .

وقال : الحي من لا يموت ولا يجوز عليه الموت ، ومن يجوز عليه الموت فهو ميت وإن كان حياً .

وقال : من كانت حياته بالحي فهو حي دائم ، ومن كانت حياته بغير حي كحياة عالم التركيب الطبيعي فهو ميت ولو دام .

وقال : الموت عبارة عن مفارقة الوطن ، (ومن فارق عبوديته فقد فارق وطنه ، والدعوى في الربوبية غربة ، والغريب ذليل)[1] .

وهو سفر ، وفيه يفطر الصائمون ، وتقصر الصلاة الرباعية .

وقال : قطع العلائق موت الخلائق ، فإذا انقطعت العلاقة بين الروح والجسم صح الموت (واسم الميت)[2] على كل واحد منهما .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

وقال : الوجودية حياة أزلية ، تتلوها حياة وجودية روحانية ، تتلوها حياة عهدية ميثاقية ، تتلوها حياة دنياوية .

وفيها حياة سبائية ، تتلوها حياة سؤالية ، تتلوها حياة برزخية ، تتلوها حياة حشرية ، تتلوها حياة جنانية ، تتلوها حياة نظرية ، وهي عين الحياة الأزلية .

إلّا أن هذه تسمى حياة أبدية . وهي حياة لا موت فيها ، وكل حياة ذكرناها فعن موت .

وقال : من ركب فرس النار طار مع الملائكة(1) .

وقال : الجمال محبوب لذاته وإن اختلفت صفاته في أعين الناظرين .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن هارون بن عبد الوالي

قال : العلوم على خمسة أقسام : علم الأحوال ، وهو المشبه بالحمر . وعلم الأوهام ، وهو المشبه بالعسل . وعلم التوحيد ، وهو المشبه باللبن . (أعني علم التوحيد الذي جاءت به الشرائع)(2) . وعلم الرسوم ، وهو المشبه بالماء ، وهو على قسمين : ماء غيث ، وماء عيون .

فماء الغيث علم يتعلق بالأرواح ، وما في ضمنها ، وماء العيون وهو علم ما يتعلق بعالم التركيب ، وما في معناه وضمنه ، وقوله : ﴿غير آسن﴾ . أي غير متغير .

فإن العلوم على قسمين : علم يتغير معلومه ، وعلم لا يتغير معلومه . فإذا كان العلم واحداً لم يتغير ، والمشبه بماء العيون هو المتغير ، بخلاف ماء الغيث فإنه على صفة واحدة .

وقال : إن من عباد الله من تجري عليه أحكام العبادات على الكمال من غير نقص ، وأحكام العبادات من غير أن يكون ذلك متصوراً في قلوبهم .

---

(1) فرس النار كناية عن الشهوات . وركوبها التحكم فيها وإدخالها تحت حكم العقل والروح .

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

وربما يقول القائل : وبعض الأعمال لا بد فيها من النية ، (وهي أعمال القلب ، فكيف يتصور أن تكون هذه عبادة ؟ قلت : والنية)[1] من جملة العبادات التي تجري ، وماله قصد في القصد .

وقال : من تحقق بالحق لا يتصف بصدق ولا إخلاص ، ولا حال ولا مقام .

وقال : لا يقف الفتح على العبادات ، بل قد يفتح في غير العبادات بأعظم مما يفتح فيها ، فإن الفتح جود ومنة ، والأعمال للجزاء في الدار الآخرة .

وقال : لا تدخل الحضرة الإلهية أبداً وهناك أحد يجذبك من خلفك ، فمن زعم أنه فتح له فتح العناية الإلهية، والتقريب الاختصاصي ، وأن معرفته من هذا النمط ، ومشربه من هذه العين ، وعليه لمخلوق حق يطلبه به فقد كذب ، وبطل ما زعم ، فهذا شرط الفتح .

وأما العلم فقد يحصل له ، ولكن لا فائدة فيه في عين القرب .

وقال : ما ثم إلاّ موافقة ومخالفة ، فبالموافقة ينال القرب الإلهي ، وترفع الحجب ، وبالمخالفة يكون البعد الإلهي (وإرسال الحجب ، إذ هو القريب البعيد)[2] .

وقال : من العباد من لا تضرهم المعاصي والذنوب للعناية الإلهية التي سبقت لهم عند الله ، فيا أيها المتعدي حد ربه أنظر ما حصل عندك من الفتح في عين القرب ، هل يتغير عليك أم لا ؟ .

فإن تغير حالك فاعلم أن الله قد نبهك على أنك في عين البعد ، فإن وفقك للتوبة ، وألهمك إياها فأنت السعيد .

وإن لم يتغير عليك حالك فانظر في إبقاء ذلك عليك مع وجود المخالفة وانتهاك الحرمة ، هل هو من الاعتناء فلا تضرك المعاصي : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ . فقد سبقت المغفرة وجود الذنب ، فلم يبق له أثر في عين القرب ، أو هو من عين المكر بك حتى تفتر فتسلب ذلك في الوقت الذي

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : د .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

يضرك زواله .

فإن كان مكراً فاستدرك الرجوع إلى عين الموافقة ، ومعرفة ذلك بالإطلاع على كلمة الحضرة ، بلسان الفهوانية ، فيرتفع الريب والشك ، وما ثم إليه طريق إلاّ هذا ، فإن لم تجده فهو مكر .

وقال : لما أنتشر العلم[1] من جانب الحق على بساط الرحمة تسارعت إليه الأكوان ، فأخذته من طرق مختلفة ، فمهما عدلت عن الطريق الذي منه أخذته ردهاً إليه القائمون على موضع اجتماع تلك الطرق[2] ، فإن أجابوهم سعدوا ، فهم عالمون بعين الجمع من سواهم . فعين جمعهم أحدية طريقهم لا غير .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يعقوب بن عبد الباقي

قال : العلوم من الصدور إلى الطروس ، لا من الطروس[3] إلى الصدور .

الطروس أمكنة الحروف ، والألسنة أمكنة العبارة ، والحواس أمكنة الإشارة ، والعلم من وراء ذلك كله[4] فهو لا يتقيد بحرف ولا عبارة ولا إشارة فهو منه إليك ، فإن وقفت مع تلك البسائط[5] أتعبك في تحصيله ، وتكلفت مشقة عظيمة ، وقطعت شقة بعيدة ، وإن لم تقف أخذته من عين الرحمة واللطف .

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

---

(١) أول الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني قواعد النحو والصرف والفقه إلى طريق الله ، فجعل منها علم إلهياً ، وهكذا يمكن أن تصل جميع العلوم بالإنسان إلى الله .

(٢) لأنهم كما يقول الشيخ الأكبر يقفون على مجتمع الطرق ، حيث تتجمع كلها في طريق واحد ، هو الطريق القريب من عين الفيض . وهم يقفون بوجهين وجه سالك واحد في السمت والهدف ، ووجه ناظر إلى عالم الفرق لهداية الحيارى وجمعهم على طريق الله الواحد .

(٣) الطروس : الأوراق .

(٤) لتحقيق أن الحواس تكذب في إعطاء حقيقة العلم أنظر [المنقذ من الضلال . للإمام الغزالي] . وكذلك أنظر [العالم غير المتطور . للدكتور عبد الجليل راضي] . مع التحفظ في النظريات الروحية السائدة بين المشتغلين بالروح .

(٥) في د : الوسائل .

وقال : إذا كنت مع الحق أينما كان كنت من شأنه ، كما هو معك أينما كنت عنده ، فصح لك أن تكون أنت أنت .

وقال : لا يكون الحق ثواباً إلاَّ لمن لم يتحرك إلاَّ به ، ولا سكن إلاَّ به ، ولا عرف إلاَّ به ، ولا جهل إلاَّ به ، فلم يكن الحق في مقابلة شيء سوى نفسه ، فهو ثواب لنفسه .

ويحصل للعبد من ذلك كونه محلاً لهذا التصريف على الشهود ، فكما لم ير في الدنيا غير الله ، كذلك لا يرى في الآخرة إلاَّ الله مع شهود الأحكام الكونية[1] في الدنيا والآخرة .

فهو يأكل ويشرب وينكح ، ويسمع ويجيب ، وهو حق في حق ، بعين محق ، عن كل باطل وحق .

وقال : للمؤمنين الدرجات ، وللعارفين الفوائد ، الوجودية ، التي هي عين كينونته الحق لا أكوانه .

وقال : ما من ذوق ولا شرب ولا ري ولا وجود ولا تجل إلاَّ وله لسان ، لكن لا يفهم به ، ولا يفهم عنه ، ولا يقع بجهة الإيماء ، ولا يأخذه المثال ، فهو لسان خاص بينه وبين ربه ، لا يكلم بتلك اللغة غيره .

وقال : الغني للعارفين ، والفقر للمحققين الكمل من الرجال[2] .

وقال : الواله مبطل لوجوده ، فلا وجود له .

وقال : الزيادة مشعرة بالنقص في كل شيء ، إلاَّ الزيادة من الله تعالىٰ فإنها كمال في كمال . وهنا معنى دقيق لطيف[3] .

---

(١) في د : مع ظهور الأحكام الكونية .

(٢) المراد بالفقر الإضطرار الدائم إلى الله ، ولا يتقيد هذا الإضطرار بجهة في الكون . بل هو كلي حتى يصير ملكة للمحقق . أما العارف فقانع بما عنده ولو كان قليلاً ، فهو غني في هذه الحالة لا يريد من ربه غير ما هو فيه .

(٣) لعله فقدان الرغبة في الأشياء ، لأن العارف الذي يزداد من الله يزداد ثقة وعرفاناً بحقائق الأشياء على ما هي عليه في الأصل فلا يشعر نحو مظاهرها برغبة ، ويعيش قريباً من حقائقها في عين العلم ، فأصبح ما كان محظوراً في مظهره نعيماً في حقيقته .

وقال : العلم والمعلوم والعالم ثلاثة عينهم واحد[1] .

وقال : اجتمع عارف ومحب ، فادعى كل واحد منهما إنه محيط بصاحبه ، فسألوني عن ذلك فقلت لهما : أحدكما به ، والآخر له .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد المغيث بن ذي النون

وقال المحب مبتلى ، والحبيب معافى ، والشخص واحد .

وقــال :

تـصـرفـنـا وتـسـألـنـا فـهـل لـي إلى تعـريف أمـرك من سبيـل[2]

وقــال :

إن الـرسـالـة لـلنبـوة جـامـعـة وكـذا النبـوة لـلرسـالـة دافعـة

(كما قال الصاحب (رضي الله عنه) [3] : ورسولك الذي أرسلت ، قال رسول الله (ص) : لا ، قل : ونبيك الذي أرسلت .

وقــال :

إن المقـاديـر تجـري غيـر قـاصـرة وتـنتـهـي بـي إلـى حـد ومـقـدار
فـلا وجـود لهـا إلاّ ويحصـرهـا ولا وجـود لـنـا إلاّ بـأقـدار

وقــال :

إذا كانت أعمالي إلى خالقي تعزي وإني مجزي بها عندما أجزى
(وقـد ورثتني حـال مجـد وسـؤدد وإن لنـا منهـا المكـانـة والعـزا
وكـانت لنا بـالحـال حفـظاً وعصمـة وكـانت لنا في كـل نازلـة حـرزا)[4]

---

(١) في هـ : كلهم واحد .
(٢) في هـ : يصرفني ويسألني فهل لي . إلى تحصيل أمرك من سبيل .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

وقـــال :

لـلّه فـي خـلقـه طـلائـع | أرواحـهـا كـلـهـا طوالـع[1]
إن أنـجـدت طـالـبـات عـلـو | دارت بـأنـفـاسـهـا الـشـرائـع
أو اتـهـمـت طـالـبـات سـفـل | دارت بـأنـفـاسـهـا الـطـبـائـع
فـبـيـن شـرع وبـيـن طـبـع | قـام لـنـا مـالـك وشـافـع
فـمـالـك يقتـضـيـه طـبـعـي | وشـافـع فـي الـطـبـاع شـارع

وقـــال :

بـطون فـي بـطون فـي بـطون | ظـهـور في ظـهـور في ظـهـور
وجـود فـي خمـود فـي وجـود | خـمـود في وجـود فيْ خمـود[2]

وقال : الكامل من الرجال يكنى «أبا العيون» (لأنه ينظر إلى كل شيء بعين ذلك الشيء ، فيعطي كل ذي حق حقه ، لأن الله أعطىٰ كل شيء خلقه)[3] . فتحقق بمولاه في قوله : ﴿تجري بأعيننا﴾ . فجمع وما أفرد .

فالعين التي يرى بها ربه ، غير العين التي يرى بها نفسه ، وعين يرى بها فعله ، وعين يرى بها ذنبه ، وعين يرى بها قربه ، ولكل حال عين .

وقال : المعاذير تهمة وتزكية ، ومن لحق برجال الله تعالىٰ لم يعتذر ، فالعذر علة قاطعة ، فاقبلها ممن جاءك بها ، ولا تكنها ، ولن يجيء إليك بها مثلك .

وقال : لو كان للوجود انتهاء ، ما كان لي عليك بقاء .

وقـــال :

في صورة الحسن أبدي لي محبته | فما رأيتك إلاّ كنت لي حسنا

---

(١) في الأصل : زوابع .

(٢) يعني كلما أشتد البطون والخفاء والغموض في أي مظهر من مظاهر الكون أو في كلياته كان هذا الخفاء والغموض من مبدأ الأشد أنواع الظهور . ولذلك شاهد من العلم الحديث . فالذرة أخفى الكائنات مشهداً وأغمضها معرفة ، ومنها يبدأ أشد أنواع الظهور في عالم الخير والشر على السواء .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

وقال : اختلفت كلمة الحضرة في عباد الله ، فقوم أخرستهم ، وقوم أنطقتهم بأنا ، وأنطقت آخرين بأنت ، وقوم أنطقتهم بهو ، والكل له وبه ومعه وإن اختلفوا .

وقال :

تـوالى البـرق لمحـاً بعـد لمـح فعـانيت المـلاحـة في التمـاحـه

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد المحسن

قال : تنوعت أحوال الملك في نفسه بين ملك ومشيئة ، وحكم وعلم ، وكلام ومعرفة ، فالتصريف للملك ، والنفوذ للمشيئة ، والتكليف للحكم والإحاطة للعلم ، والجود للكلام ، والوجود للمعرفة .

وقال :

النـار نـاران ، نـار غيـر محـرقـة وهي التي مـا لهـا سفـع ولا شـرر

وقال : الإقبال على الله إجابة لنداء الله تعالىٰ ، وسماعك إياه من حيث لا تشعر .

وقال : من رآى الله في الأشياء فقد استراح[1] (الخلق منه ، ومن رآى الأنوار بالله فقد استراح)[2] .

وقال : من أسماء الله تعالىٰ ما لا يدل على غير الله تعالىٰ ، ولا تعلق له بكون ، وهو من خصائص الذات .

وقال : إنما لم يكن في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ما ثم إلَّا رتبتان : الحق في الرتبة الأولىٰ . وهو القدم ، والعالم في الرتبة الثانية ، وهي الإمكان

---

(١) طبيعي ألا يرى ذات الله ، وإنما يرى آثار أسمائه في الأشياء ، فإذا نظر إلى مظهر من مظاهر الوجود اقتربت النظرة بالبحث عن الاسم الذي سيطر على هذا المظهر وحكم عليه ، وبهذا الاعتبار يتأمل مظاهر الوجود ، فإذا تدبر الاسم الحاكم عليها فقد رآى الله فيها مجازاً .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

والحدوث عن المرتبة الأولىٰ ، والعالم منصبغ بمرتبته ، ولو خلق ما خلق إلى ما لا يتناهى ، فلا يزال في المرتبة الثانية الإمكانية مصبوغاً بها .

ولا شك أن الحقائق هي في كل شخص بذاتها ، لا توصف بالقسمة ، ولا بالكلية ، ولا بالبعضية فالبياض في كل أبيض بحقيقة ، كذلك الإمكان في كل ما سوى الله ، وهو الممكن بحقيقة فافهم[1] .

وقال : نزول المعاني في عالم الأرواح تروحن ، وإلى عالم الأجساد تجسد ، وارتقاء أرواح الأجسام إلى عالم الخيال تجسد ، وإلى عالم الأرواح تروحن .

وقال : الاغترار بالله من حيث الكرم والجود ، لاعتقاده في جود الله وكرمه .

وقال : ما عصاه مؤمن قط إنتهاكاً لحرمة ، ولا قاطعاً بالعقوبة ، وإنما تقع المعاصي والمخالفات من المؤمنين من حسن ظنهم بربهم .

فإن الأسماء الإلهية واقفة على السواء ، وليس هذا الإسم المعين في ظهور أثره عليه بأولى من هذا الاسم المقابل ، وهو عند حسن ظن عبده به .

وقال : علق سبحانه النشر بالمشيئة من غير قوله (ثم إذا شاء أنشره) وأخبر بالخلق والتعريف والهداية والموت في هذه الصورة : وما قرن من ذلك شيئاً بالمشيئة فما ذلك إلاّ لحكمة .

وهي التنبيه على النشأة الأخروية وإنها تشبه هذه النشأة الدنياوية ، إلاّ من حيث الجسمية ، لا من حيث غيرها ، مع أنه ممكن أن تكون بعينها ، فهذا تنبيه صحيح (كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولىٰ**﴾ . أنه أنشأها على غير مثال سابق ﴿**فلولا تذكرون**﴾ إن الله تعالىٰ أخبر أن تلك النشأة بلا

---

(١) فالعلم قد يكون ممكناً بحقيقة إذا تنزل في العوالم إلى المستعد لقبوله وهو الإنسان ، وهو في هذه الحالة ممكن بحقيقته ، فإذا فني حامله صعد إلى المرتبة الأولىٰ التي هي أصله فيصير قديماً بحقيقة ما نسب إليه ، فظهر أن العلم في حقيقته قديم فإذا تنزل إلى الإنسان انصبغ بمرتبته وهي الإمكان ، فإذا فني المحل عاد إلى أصله وهو القدم ، والوجود الإلهي قديم ، فإذا تنزل إلى الكائنات انصبغ بها فصار ممكناً ، فإذا فني المحل عاد الوجود إلى أصله .

جوع ولا تبول ولا تمخط ولا تغوط ، منزهة عن المستقذرات كلها)[1] .

والأخبار قد وردت بصورة الخلق الأخراوي من اللطافة والصفاء في حق السعداء ، والكثافة والكدورة في حق الأشقياء ما لا يناسب هذه الصورة اليوم وقد قال : ﴿بدلناهم جلوداً غيرها﴾ ولم يقل : إنها بعينها .

وأما قوله : ﴿تشهد عليهم﴾ . وذكر الجلود والسمع والبصر والألسنة والأيدي والأرجل ، فليس هذا دليلاً على أنها أعيان هذه التي عندنا اليوم ولا بد ، مع جواز ذلك .

والمقصود حصول العلم عند الشهود ، وبأي طريق حصل العلم كانت الشهادة ، كشهادتنا على الأمم قبلنا وما رأيناهم .

ومن التنبيه أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿كما بدأكم تعودون﴾ . خطاب الأرواح أنها بدئت مدبرة لأجسادها ، فتعاد بعد المفاقة إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجب الذنب الباقي من هذه النشأة[2] ، وتعاد أيضاً كما بدئت من قوله ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ .

ولو كانت الإعادة مثل البدأة لكانت الإعادة في حق آدم تخميراً ، كما علمتم أن الله استوىٰ ، وإعادة حواء كذلك وإعادة عيسىٰ كذلك ، وإعادة بني آدم كذلك بنكاح وتناسل ، وتوالد نطفة وعلقة ومضغة وتربية .

وقد ذهب إلى هذا القول ابن قيس صاحب «الخلع» . وحمله على تحقيق المثلية . نعم ، والأمر جائز . ولكن ما يقع الأمر على هذا . وإنما المثلية في الذي ذكرنا .

وقال : نعوت الكمال تبعث النفوس إلى تعظيمها . وصفة النقص على النقيض من ذلك .

وقال : صفة الرب أبداً واجب على العبد تعظيمها . وصفة نفسه واجب

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) أي المثلية في إعادة الأرواح لا في إعادة الأجسام ، فالأرواح بعينها تعود إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجب الذنب الباقي من الجسم الأول .

عليه الإعراض عنها . إلاَّ أن يرد في ذلك أمر إلهي[1] .

وقال : صفات الربوبية معظمة ما لم تقم بالعبد . فإذا قامت بالعبد عين الحق لها مواطن تذم فيها ، ومواطن تحمد فيها .

وصفات الكون إذا اتصف بها الحق سبحانه عظمت مطلقاً . والتمس الناس لها وجوهاً في التنزيه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد الكبير

قال : كل تعظيم لأمر[2] فلعلة ما ، وإن كانت خيراً فصاحبها معاتب من الله تعالىٰ (جبراً لقلب ذلك الضعيف المستهضم)[3] .

وما أقبل (ص) على من أقبل عليه من زعماء الكفار إلاَّ استجلاباً لقلوبهم ، ليؤمنوا ، (لعلمه (ص) بأن القلوب مجبولة على حب الإحسان ، والنفوس مجبولة على حب التعظيم ، لا سيما إذا عظمها من شهد الله تعالىٰ بأنه عظيم)[4] . ومع ذلك كله عوتب .

وقال : إذا وقعت الحركة من العالم من غير أن يتحقق العلم بها ، يلام عليها من أجل مرتبته ، وعلو قدره ؛ بخلاف غير العالم ، فإنه مسامح في ذلك .

وقال : زينة الحياة الدنيا هي زينة الله تعالىٰ ، لأنها تختلف بالقصد ، وهي محبوبة بالطبع ، فإذا تحرك العبد إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا ، فتذم لذلك (وإن كانت غير محرمة شرعاً)[5] .

وإذا تحرك إليها بأمر ربه كانت زينة الله تعالىٰ ، وحمد بها[6] .

---

(١) كتعظيم بني آدم في قوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ، وتعظيم صفة التقوى والولاية وغيرها .

(٢) في هـ : كل معظم أمر . .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٦) كاللباس الجميل إذا تحرك إليه العارف إظهاراً لنعمة الله وتحدثاً بها لم يكن ذلك اللباس في =

وقال : لما كان أمر الله ، وكل ما يرجع إليه جداً كله ذمت الحياة الدنيا ، لأنها لعب ولهو وجهل ، فإن فخر الإنسان على مثله من جهله بحقيقته .

وقال : أعيان الذوات لا يتعلق بها من جانب الحق ذم ، وكذلك أعيان الصفات ، فإذا اتصف العبد بها تعلق بالعبد الذم والحمد ، فمحط عين الذم والحمد لا في العبد ، بل في عين التعلق ، فإن للمزاج حكماً لا يكون لكل واحد من المركبين قبل التركيب .

وقال : الكون كله مربوط بالأسماء ، والأسماء مربوطة به ، فإذا نظرت إلى ربط الكون بالأسماء نسبت إليه القدم ، وإذا نظرت إلى ربط الأسماء بالكون نسبت إليه الحدوث[1] .

وقال : كل اسم لله تعالى ليس له تعلق بالكون لا بسلب ولا بإثبات ، فهو اسم للذات ليس لله فإن أسماء الله تعالى مخالفة لأسماء الذات .

فأسماء الله تطلب الأكوان ، وأسماء الذات لا تطلب الأكوان ، فتعرف أسماء الله لهذا الإرتباط ، وتجهل أسماء الذات لعدمه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إلياس بن عبد العلي

قال : الاسم علامة للمسمى ، يعرف به عند الغيبة ، ولولا الغيبة ما احتيج إلى الأسماء ، فإن الإشارة إلى الأسماء .

فإن الإشارة في الحضرة تفني ، فليس للأسماء ظهور إلاّ في عالم الغيب

= هذه الحالة زينته النفس ، بل هو زينة الله التي أخرج لعباده ، وإذا تحرك إليه العبد بطبع نفسه وميلها كان زينة النفس .

(١) في هـ : فلحظ عين الذم والحمد لأنها في العبد عين التعلق .

(٢) لتقريب هذا القول : نأخذ صفة الخلق واسم الخالق . فإذا أرجعنا المخلوقات ورفعناها إلى أصلها «الخالق» كانت علماً قديماً ، وإذا نزلنا اسم الخالق ونظرنا إليه في المخلوقات كان خلقاً حادثاً . وليس المراد بنسبة الحدوث إليه نسبته إلى الذات ولا إلى الصفة بل نسبته إلى متعلق الاسم وحده . لأن الاسم قديم ، وذلك كله راجع إلى فكرة التنزيه والتشبيه ، ويوضحها القول الآتي بعده .

فإذا حضر غاب الإسم فمن عبد الاسم عبد غائباً ، والعبادة لا تكون أبداً إلاّ مع الغيبة .ولذلك قال : «اعبد الله كأنك تراه» .

وهو حال غائب ـ فإن إحضار المرئي من قوتك ما هو حضور .

ولذلك تبتغي الأعمال مع المشاهدة لقيام الحق ، وفنائه عن نفسه ، فلا يبقى ثم مخاطبة حتى يرد موجوده وهو الغيبة ، فيقوم العمل به .

وقال : الليل ذكر ، والنهار أنثى ، فلما تغشاه حمل فولدت . فظهرت الكائنات من غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان ، واستخراج النهار من الليل استخراج حواء من آدم ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ ، ثم قال : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ . كعيسى في مريم ، وحواء في آدم .

فإذا خاطب أبناء النهار قال : ﴿يولج النهار﴾ ، وإذا خاطب أبناء الليل قال : ﴿يولج الليل﴾ .

وقال : المفاضلة بين الخلق عند الله تعالى لنسبهم ، لا لنسبتهم ، فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاضلون : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ . «اليوم أضع نسبكم ، وأرفع نسبي أين المتقون» ؟ .

وقال : لو وقع التفاضل بين الخلق من حيث النسبة لوقع بين الحقائق الإلهية [نفس التفاضل] ، والتفاضل هناك لا ينبغي ، فكذلك هنا[1] .

وقال : لما كان الإرتباط في الأسماء الإلهية بينها وبين الأكوان لذلك وقع بينهما التمييز وصح التوقف بينهم بعضهم على بعض . فالكمال فهم بالجملة ، فالحي أشرف من العالم ، لأنه موقوف عليه ، والعالم مع المريد ، والمريد مع القادر ، وهكذا جميع الأسماء .

وإنما تعينت هذه المراتب في الأسماء بالأكوان ، ولولا مشاهدة مراتب الأكوان ما نسب إلى الأسماء شيء من ذلك .

---

(١) ولذلك كان من الخطأ في العقائد كراهية أو مخلوق لذاته ، لأن الكراهة حينئذ متوجهة إلى حقيقة إلهية وهو كفر صريح . وإنما يجب أن تقع الكراهة على نسبة المخلوق إلى فعل مكروه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن موسى بن عبد القادر

وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره ، لأنه في معرفة المقادير الإنصاف وأداء الحقوق .

وقال : لو كان الشرف للأشياء من حيث نشأتها[1] أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم في قوله : ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ .

ولما كان الشرف اختصاصاً إلهياً لا يعرف إلاّ من جانب الحق تعالىٰ جهل إبليس في مقالته تلك ، وصح الشرف لآدم والخيرية .

وقال : الحيرة أوضح لإقامة الحجة من العلم ، والعلم أشرف مكانة من الحيرة .

وقال : قدرة الله تعالىٰ نافذة في كل ما سوى الله ، وكل ما سوى الله ممكن والمحال عدم محضي ، فلا يصح عليه اسم ولا غير .

وقال : يعدم بالإرادة ، ويوجد بالقدرة .

وقال : المفاضلة إذا كانت بالأعمال فقد سبق التابع المتبوع .

وقال : إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق وحجاب . فإنها محل شهوات الأنفس ، فإذا أراد أن يريك ذاته حجبك عن شهوتك ، ورفع عن عينك سترها ، فغبت عن جنتك وأنت فيها ، فرأيت ربك فالحجاب عليك منك ، فأنت الغمامة على شمسك ، فاعرف حقيقة نفسك[2] .

وقال : الأسماء حجاب على المسمى ، كما هي دلائل عليه .

---

(١) في هـ : من حيث شأنها .

(٢) إذا أرادت النفس أن تقارف معصية صنعت ستراً على بصيرة العبد فغاب عن الهم الناشي ، من لوم النفس ، وانقلب غمه سروراً بالمعصية ، وتبعاً لكثافة الحجاب ورقته تكون قيمة الإيمان المشهود في قلوب المحجوب . ورد في القرآن أنواع الحجب كالعمى والصمم والختم والتغليف والضلال والران والغشاوة . وغيرها .

وقــال أيضـــاً :

أنت الجـواد بمـا تعــطيـه محســان	أنـــا الفقيـر الـــذي تـدعــوه إنسـان
بـالجـود أعـرف من بـالفقـر يعلمني	ولـــي عـــليـــه دلالات وبـــرهـــان
كـمـــا تقـــرر أن الـحق يـمنـحنـي	ولـي بـــــذاك زيـــادات ونقـصـــان
لي منــه بـــالفقــر أربـــاح مقـــررة	وبـــالغنى لي منـه اليـــون خســـران
عـــلـمي بـه لا بنفسي أنـه سنـدي	بـــرهـــانـنـــا فيــه إســـلام وإيـمـــان

وقــال : انـظروا قـولـه : ﴿**لهم من فـوقهم ظلل من النـار ومن تحتهم ظلل**﴾ ولم يقل : ظلل من النار[١] .

وقـال : يـأتيهم الله في ظلل من الغمـــام ، والغمـام من الغم ، فـإن الغمـام حجاب بينك وبين السمـاء التي هي عالم الإنفسـاح ، ولذلـك تنقبض النفوس عنـد تـراكم الغمـام ، لأنهـا تحـول بينهـا وبين عـالم انفســاحهـا ، ومســرح أبصـارهـا وانشراحها[٢] .

وقـال : ﴿**كلما أرادوا أن يخـرجوا منهـا من غم أعيـدوا فيهـا**﴾ إلى غم آخـر أيضاً ﴿**أبد الأبدين**﴾ فهذا المجيء الإلهي الـرباني ، مجيء قهـر وعظمـة ، وإظهار إقتـدار ، للقضـاء الفصـل بين العبـاد . فيـأخـذهم من تحتهم . وكـــان النبي (ص) يقول في تعوذه : «أعوذ بك أن أغتال من تحتي» .

ويتجلى للمؤمنين من فـوقهم ، وسبب ذلـك أن المؤمن علمـــه ، فنسب العلو إليـه ، فتجلىٰ له من فـوق ، يقول الله تعـالىٰ في الملائكـة : ﴿**يخـافـون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ .

والكافر جهله ، فنسب العلو لنفسه ، فأخذه الحق من تحته فلم يـره ، فذلـك

---

(١) الإستعلاء مقام إبليس ، فالظلل والحجب في حق هؤلاء إبليسية من ا لنار . أمـا الحجب التي من تحتهم فهي طينية من شهوات النفس في الأرض ، وهي من وسوسة الحجب النارية ولـوازم الإستعلاء ، وليست هو .

(٢) ولذلك أيضاً كان الله قريباً من المغمومين والمهمومين والمـرضى وأهل الفقـر والحاجـة ، فتلك من الحجب الطينية التي من تحتهم فكلمـا استطاع العبـد أن يقوم بحق تلك الحجب بنسيـانها والتوجه إلى الله فقد أفلح . ولذلك قالوا إن الاضطرار يقوم للعبد مقام الاسم الأعظم الـذي إذا دعي به أجاب ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ .

هو عين الحجاب : ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ . بالغمام الذي أخذهم فيه الحق من تحتهم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد العزيز بن يوسف

قال : لو كان الإيمان نافعاً لصاحبه من حيث هو إيمان فقط لنفع الإيمان عند رؤية البأس ، وفي الدار الآخرة ، وعند طلوع الشمس من المغرب ، وهو ليس بنافع مع وجوده في هذه المواطن ، ولا المواطن أعطت هذا . فإن قوم يونس قد نفعهم الإيمان في هذا الموطن ، وإن الله تعالىٰ استثناهم ، فلم يبق النافع إلاّ النافع جل جلاله .

والإيمان من حيث أنه ينفع مقترناً بحالة ما ، أو في موطن ما . حجاب عن الله ، فلا يحجبك إيمانك بالله عن الله ، ولا تتخذه سبباً ، بل اجعل نفسك سبباً له ، فإنه ليس له ظهور إلاّ بك[1] .

وقال : أعظم العبادات عند الله ما أيدها الخيال . «أعبد الله كأنك تراه» . وما أنت له تراه .

وقال : لولا الوهم ما ظهر للعلوم في الكون سلطان ، فإنه ما ثم قطع ، إذ لا يقطع على الله بشيء ، فإن المشيئة في الكون مجهولة ، فكما هو شديد العقاب ، فهو الغفور الرحيم .

وقال : بالتزيين ضل من ضل ، وبه اهتدى من اهتدى فالزينة هي الحاكمة على العبد بتعشق حاله ، ولذته بما هو فيه ، لأنه بالطبع يطلبها ، ولو عاين وجه الكراهة في حاله ، ولم يزين له ذلك ما أقدم على مكروه والله عليم حكيم .

يقول الله تعالىٰ : ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ . إلاّ أنه قال في موضع آخر : ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ . ثم قال في موضع آخر : ﴿زين لهم

---

(١)هذا تقرير لنظرية الاستمداد والإستفاضة من داخل الإنسان لا من خارجه ، فالمعرفة تستزل ، ولا يصعد إليها ، فإذا حاول العبد السامي بمداركه عن طريق الإيمان ليعرف الله فقد جعل بينه وبينه حجاباً . أما إذا استفاض المعرفة بظهور الإيمان على نفسه فقد أدرك المعرفة الحقة .

الشيطان أعمالهم﴾ . فأبهم الأمر علينا ، وما عرفنا الفرقان بين الزينتين .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن شموئل بن عبد الجبار

قال : دخول الجنة برحمة الله تعالى ، ولا يدخلون غالباً حتى يبتليهم الله تعالى . فالابتلاء من رحمة الله ، فبلاء الأجسام هنا ، وبلاء السرائر هناك فالظاهر من كل عالم هو المبتلي .

ولما كان الظهور هنا للأجسام ، والسرائر باطنة فيها وقع البلاء بالجسم ، ولما كان الظهور للسرائر هناك . والأجسام باطنة فيها ، وقع البلاء بها هناك ﴿يوم تبلى السرائر﴾ . ومن هنا تعرف أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا ، وإن كانت طبيعية .

وقال : نشأة السعداء طبيعية . ونشأة الأشقياء عنصرية . فاعتبر ما قلناه فإنه يغلب على ظني إنه ما طرق سمعك من غيري والله أعلم .

وقال : للعلم الإلهي توقف في التعلق ببعض الأكوان من حيث النسبة حتى تكون تلك النسبة ، فيكون التعلق بها على حسب ما تعطي .

وقال : لو آمن أهل الكتاب بما في كتابهم لآمنوا بك . فكان خيراً لهم . فمن كفر بمحمد فقد كفر بنبيه وما أنزل عليه . فإنه كذبه فيما أتى به من الإيمان بمحمد (ص) . وغير ذلك .

وقال : وجوه القلوب هي المسودة والمبيضة . ثم تلا : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ . لأنها الظاهرة هناك وهي التي كانت هناك مسودة بالكفر . مبيضة بالإيمان .

وقال : تحول الإنسان في الصورة التي في سوق الجنة دليل على ظهور روحانيته هناك على جسمانيته ، كما يتحول الإنسان هنا في باطنه في صور مختلفة مع الأنفاس ، والجسم على حالة واحدة .

وقال : المقصود والإشارة عند أهل الإعتبار من الدار الأخرة من كونها آخرة

تحـول النشأة فيهـا . فيرجـع الظاهـر باطنـاً . والباطن ظـاهراً . **﴿يكـور الليل على النهار ويكور النهـار على الليل﴾ ﴿ويحي الأرض بعـد موتها وكذلـك تخرجـون﴾** حياة كله . كشف وحقيقة .

تمّ الجزء الثالث . ويتلوه الجزء الرابع
والحمد لله وحده . وصلواته على نبيه محمد وآله

الجـــزء الرابـــع

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد العال
وابن عبد الرؤوف
وابن عبد الناصر
وابن عبد الغني
وابن عبد الحميد
وابن عبد القاهر
وابن عبد الواسع
وابن عبد العظيم
وابن عبد السلام
وابن عبد الوهاب

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

وصلّى اللّه على نبيه محمد وعلى آله

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد اللّه بن دانيال بن عبد العال

قال : إن من الأسرار ما ينال بالإشراف عليها ، فتكون علوماً ليس لها أحوال .

وقال : الكون وإن لم يكن له أثر فلا تظهر الآثار إلاَّ منه وبه . فهو الباطن سبحانه عن الإدراك في هذه الرؤية .

فابتداء الأشياء منه . وإليه مرجعها ، وهو القائم بها ، ما بين الرجوع والبدء . ولولا هذا الحفظ الإلهي ما استمر لها وجود .

وقال : عمى الناس عن تبديل الكون في أصله ، في كل زمان فرد بأسره ، ومع هذا فأنت عين الأول لا مثله ولا غيره ، فهو مكون على الدوام ، وأنت مكون على الدوام ، ولو لم يكن الأمر هكذا لاستغنيت حالة ما ، وكانت الصفات الافتقارية التي هي في مقابلة استغنائك تطلب حيث تظهر . ولست بمحل لها ، فتعود على من لا يقبلها ، وليس لها محل غيرك ، والاقتدار نافذ فيك .

وقال : الفطنة والفراسة والإلهام من علوم الأولياء ، وهي كلها صفات كمال لهم ، مع أنها تشير بذاتها إلى جهل وعجز وغفلة ، سوابق عليها . والإختصاص الإلهي يزيلها ، ويقيم هؤلاء بدلاً منها .

وقال : العبودية ميزان ، لا يعلم إلاّ من جانب الحق سبحانه تعالىٰ .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إسحاق بن عبد القاهر

قال : الوقت يسحقك ولا يمحقك .

وقال : لما كانت العلاقة أمر مشتركاً بين الجسم والروح لذلك صح اسم الميت لكل واحد منهما ، كما صح اسم المفارق لكل واحد من الزوجين لما وقعت الفرقة على عين الجمع بينهما ، فنبه الحق على رجوع العلاقة بين هذا الجسم بعينه وبين روحه بقوله : ﴿**فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**﴾ .

والجسم هو المشتبه بالأرض ، وهو الذي طرأ عليه الموت . ففرق بينه وبين روحه المدبر له ، فلو كان غير هذا الجسم لم يكن جسماً طرأ عليه موت ، فكانت الآية لا تصح ، غير أنه تختلف عليه الأعراض ، كما وردت به الشريعة من الله .

وقال : طاعتك الله فيها طاعة كل شيء لك .

وقال : إذا وقف سر العبد مع من لا تجوز عليه الحركة والانتقال لم تظهر عليه كرامة أصلاً ، وصار الأمر باطناً[1] ففي باطنه من العجائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وقال : لا يعطي أحد التصرف في العالم على الكمال ، وقد يعطي التصريف ، لكن قد يمكن من بعض العالم فيتصرف فيه ، وهو الذي يزهد فيه بعضهم[2] . زهد أدب ؛ إذ لم يقترن أمر به ؛ فإن اقترن به أمر لزمه اتباعه ولا بد .

---

(١) قد يكون سر العبد موجهاً نحو تأمل العجائب في الآفاق والأنفس ، وفقه السر يكون في هذه الحالة حجاباً عن السر الإلهي ، وفي هذه الحالة تظهر الخوارق على يد العابد . فإذا سكن السر مع الله تعالىٰ توجهاً وشهوداً لم تظهر على يد العابد خوارق مادية ، وماج باطنه بما لا يمكن التعبير عنه ، لأنه لا يرى ولا يسمع ولا يخطر على القلوب ، وقد يجمع الولي بين الحالين ، فتظهر عليه الخوارق ، ويموج باطنه بالأسرار ، وهو الكامل في عصره .

(٢) ليس التصرف ذاتياً في الولي ، وإنما هو تصرف مستمد من الله تعالىٰ وبإذنه سبحانه ، والكمل =

وقال : من أراد أن يعرف مـا عنده من معـرفة ربـه ؛ فلينتظر إلى مـا عنده من الوقوف عند رسومه . وزناً بوزن فإن استغرقت أنفاسه المعاملات ظاهـرة وباطنـة فقد أشرب المعرفة بالله شرباً .

ولقرض بالمقـاريض ، وإحراق بـالنيران أهـون على العارف من أن يمـر عليه نفس في غير طاعة الله ، ولو بشر بالغفـران . والتجاوز عن ذلـك النفس فإن أعمـال العـارفين ما قـامت على طلب الأعواض . وإنمـا قـامت على مـا يقتضيـه الأمـر في نفسه ؛ فشتان بين العبادتين[1] .

يقول العارف : الله فيحـرق بنفسه كـل ما سـوى الله . ولكن من حالـه لا من مقامه .

وقـال : إذا أدرك المحقق اللذة في علمه بـالله فمـا علمـه . فليحقق نـظره ، فإن العلم بالله في الـدنيا ليس فيـه لذة ، ولا في الآخـرة ، غير مـا يظهـر على صور الباطن في الدنيا من ذلك ، وعلى الظواهر في الآخرة .

وقـال : الرجـال على أقسام : رجـال يذكـرون الله تعالىٰ فيـذكرهم . ورجـال يذكرهم الله فيذكرونه . ورجال يذكرون الله فلا يذكرهم ، وإنما يـذكرهـم مـا تعلقت به الهمم عند الذكر . وهو الباعث . فيتحفهم به . فالأول ذكـر السالكين . والثـاني ذكر العارفين . والثالث ذكر العابدين .

(ورجال يذكرهم فيذكـرونه فيـذكرهم . وهـو ذكر المحقق) ، جعلنـا الله ممن له في كل قسم أوفر حظ . وأكمل نصيب .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

= يزهد في ذلك إلاّ إن أمر به إعلاء لكلمـة الله . والتصرف نـاشيء من التحقق بالأسمـاء الإلهية ذكراً وشهوداً .

(١) هذا ينفي عن الشيخ الأكبر ما نسبه إليه من لم يفهم مراميه ، فقد نسبوا إليه زوراً القول بإسقاط التكـاليف الشرعيـة بعد الـوصول إلى مـرتبة العـرفان . يقـول الشيـخ الأكبـر إن العـارف يقـوم بالحركات العبادية إمتثالاً للأمر فحسب ولو بشر بالغفران في مقابل تضييـع نفس واحد في غيـر طاعة . وفي هذا الحال تسقط عنه الكلفة والمكابدة ، لا التكليف كما فهم الناس خطأ .

عبد الله بن يوحنا بن عبد الرؤوف

قال : كل غاية بداية إلى غير نهاية . دنيا وبرزخاً وآخرة . فإن الترقي في البرزخ لبعضهم كما هو في الدنيا . وقد خالف في ذلك الأكثرون لعدم الكشف والثبوت في البرزخ .

والتعريف الإلهي ، والزيادة في هذا الطريق مقبولة ، لأنها كلمة من عدل شاهد ما لم ير غيره .

وقال : إذا ذهب الأنس والوحشة من قلب العبد كان حقاً محضاً .

وقال :

القلب لا يثبت بالله ... إلاّ إذا أشهد في الباه[1]
فذلك القلب الذي قد رأى ... الله بالله وباللاهي
طوبى له من ناظر صورة ... ما جازها كون سوى الله

وقال : عجباً . كيف يجيب من لم ينادي . ليت شعري ، من ناداه حتى أجاب نداه .

وقال : نداء الحق للخلق على قسمين : نداء كفاح ، وغير كفاح ، فتحصل الإجابة من الكل ، وتتبين الطريق في المكافحة ، وتسد عليه جميع المسالك فيسعد .

وقال : الزوائد تارة تكون للأولياء من الله تعالى ، وتارة تكون لهم من أنبيائهم . فإن الولي لو صعد ما صعد فلا بد أن يرى قدم نبيه أمامه .

---

(١) إذا شهد العبد لله في حال اتصاله بالأنثى على وجه شرعي فتلك الشهادة الثانية التي لا تتزعزع ، لأن القلب حينئذ ثبت بالله ، وما ثبت بالله لا يزول الثبوت بحال من الأحوال . لا سيما وقد اتخذ هذا العبد مما يتخذ الناس لهواً وسيلة للتحقيق . وقد أوضح الشيخ الأكبر في القص المحمدي من فصوص الحكم إن الإنسان بعد ظهوره إلى عالم المادة من خزائن العلم الغيبي أخذ يحن إلى أصله وبارئه ، وشهد سعادته في التوجه إليه . فلما خلقت حواء من ضلعه الأيسر كان ناقصاً فنقصت لذلك بنيته ، فلم يستطع التوجه الكامل إلاّ إذا كملت هيئته الجسمانية بعودة فرعه الذي هو حواء ولن يعود إليه الفرع في حال اتحاد تام إلاّ في حال الإتصال الجنسي ، فإذا تم هذا الإندماج تمت له مداركه في هذه اللحظة ، فاستطاع أن يسرع بالتوجه نحو الله ، وحينئذ شهد الله بالله وباللاهي الذي يلهو به الناس وهو الجنس .

وقال : تخرج الأرواح طاهرة من حضرة الرحمة ، فإذا توسطت الفضاء تنزلت عليها لطائف المنن أمانة ، فتنظر تحتها ، ثم تنظر إلى قلوب بني آدم ، فترسل اللطائف عليها إرسالاً متتالياً فيجد لذلك العارفون في قلوبهم برداً وانفساحاً فينطقون بالحكم نطقاً إلهياً لا عوج فيه ولا تعريف .

وقال : لا ينطق عارف قط إلَّا عن إذن إلهي ، ومن نطق من غير إذن إلهي يعرفه ويسمعه فليس بعارف . فلا ينبغي أن يرد كلام أهل الله تعالىٰ . فإنه علم لا منازعة فيه . كما قال (ع) : «عند نبي لا ينبغي تنازع» . وقال تعالىٰ : **﴿وما ينطق عن الهوىٰ﴾** .

وقال : المتقي مشهوده الرحمة في مآله .

وقال : الأحجار مواضع الأسرار ، ومنابع الحياة والأرواح فمن كتم سره منهم اتخذه الحق يميناً .

ودونهم في الكتمان النبات . ولكن لا يبلغ في حفظ السر مبلغ الجماد ألا ترىٰ الأزهار تنم بما فيها ؟ .

ودونهم في الكتمان الحيوان . ألا تراهم ينبهون بحركاتهم وأصواتهم على ما في نفوسهم ؟ وهؤلاء الأصناف كلهم أمناء الله على ما يؤول إليه أمر الخلق .

ودونهم في الكتمان الإنسان والملائكة وهم على صنف هذا النوع من الإنسان ما عدا الأنبياء . وعليهم يدور الأمر . وهم العرائس والضغائن . والمقصورات في الخيام . وهم الذين يُقال فيهم غداً : إن الله آمناً .

وقال : الرجل من أشبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله . قال الله تعالىٰ : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾** .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الواسع بن معروف

قال : جميع الأرواح بعد الموت محبوسة في البرزخ في صور أعمالها . تتنوع عليها الصور تنوع الأعمال من خير وشر ما لم تمت على توبة إلَّا أرواح الأنبياء . فإنها مسرحة تمشي حيث تشاء . إلَّا أن للأرواح إطلاعاً على أماكن

أجسادها من الأرض من مكانها حتى تعود إليها .

فكل ميت يرى في المنام فهو تمثل في خيال الرائي . يمثله الملك أو الشيطان أو النفس . إلاَّ الأنبياء فإن الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا في حال حياتهم معصومي البواطن من إلقائه . فانسحبت العصمة عليهم حياة وموتاً في المحل الذي كانوا معصومين فيه ، وهو باطنهم .

والرؤيا في النوم من عالم الباطن . لأنها تمثل معنى أرواح في قالب محسوس فهو روح ذلك النبي يدبر صورة جسدية يراها الرائي . والاختلاف الذي يقع في تلك الصور راجع إليها . لا إلى روحها . ويراه مائة ألف شخص في وقت واحد . على صورة مختلفة . والروح واحد هو هو .

ولكن الصورة ومثالها إلى الصور المتعددة كمثال الشمس إلى الأماكن فالنور المنبسط في مكان ما ليس هو النور المنبسط في غيره من الأماكن ، وهو الشمس ليس غيرها ، وتختلف تلك الأنوار باختلاف (ما أنبسطت عليه من)[1] الأماكن والصفاء وغير الصفاء ، وتسمى بتلك الأنوار شمساً ، والشمس في عينها لم تتغير بتغير الأماكن .

فذلك تغير الحق في ذلك الموضع . أو نفس الرائي . فانصبغت الصور بذلك .

وقال : الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب جسماني حسي . لكن نعيم أو عذاب معنوي فيما انتقلت إليه وهو شبيه بهذا الجسم الأول حتى تبعث أجسادها فترد إليها . فتتنعم عند ذلك في الدار الأخرة حساً ومعنى كما كانت في الدنيا .

ويؤيد ما ذكرناه عند أهل الطريق قول بعضهم : رأيت بشر الحافي (رحمه الله بعد موته . فقلت له) ما فعل الله بك ؟ .

قال : غفر لي . وأباح لي نصف الجنة . قال أبو مدين في هذه الحكاية : يعني أن روحه متنعمة بالجنة التي تليق بها ، والنصف الآخر هو الجنة التي

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

يدخلها ببدنه إذا حشر . فيكمل النعيم بالنصف الآخر .

والأكل الذي يراه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل بالصورة التي يراها النائم في النوم . والنعيم مثل النعيم سواء . فإن الحضرة واحدة . قال (ع) : «إني أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني» . وكذلك كل شخص في النوم .

غير أن الفرق بين النبي وغيره في هذه المسألة التي لأجلها قال (ع) : «لست كهيئتكم» . ليس لنفي الأكل والشرب في النوم في حق كل إنسان . وإنما هو راجع إلى من يعود من ثمرة الأكل التي هي الشبع وثمرة الشرب التي هي الري إلى هذا الجسم النائم في هذا الفراش ، يبيت جائعاً ، فيرىٰ إنه يأكل ، ويستيقظ لذلك وهو شبعان . وغير النبي يأكل في النوم ، ويستيقظ وهو جيعان .

(وقد اتفق لي مثل هذا . ولما استيقظت بقيت رائحة ذلك الطعام على نحو ثلاثة أيام . وكان كل من لقيني يقول لي : ما شممت رائحة طعام مثل هذا ، وكنت أسكت ولا أخبر به)[1] .

وإذا رآى الولي ذلك فلم يزل هذا الأثر من أحكام النبوة . (لا من أحكام غيرها . وقد وردت الأخبار النبوية في أمثال ذلك . وإن المبشرات جزءمن أجزاء النبوة . وإن كذا)[2] جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه .

وقد رأينا هذا بأنفسنا . أكلنا وأصبحنا وعلينا رائحة الطعام التي أكلناه وشبعنا ، وهذه وراثة نبوية ، فهي للنبوة أولىٰ ، قد علم كل أُناس مشربهم . ووقع الحكم من مشارع بحكم الغالب ، لا بحكم الجميع . أعني قوله : «ليست كهيئتكم» .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يحيى بن عبد الناصر

قال : الجسد الميت عندنا حي مثل حياة الأحجار ، فقد يطلع عليها بعض المكاشفين ، فيتخيل عند رؤية ذلك أن أرواحها لم تفارقها ، فيقول : إنه ليس

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

بميت ، فيكفر ؛ فإن الله تعالى قال فيه : إنه ميت في عموم قوله : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ .

لكن هذا المكاشف لو عرف أن الموت عبارة عن قطع العلاقة التي بين الروح التي كانت لهذا الجسم ونبيه لم يقل ذلك . ألا ترى إلى موسى (ع) يضرب الحجر الذي فر بثوبه وهو يناديه : ثوبي يا حجر . وقال (ص) : «وإن بالحجر لندياً ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر ولولا علمه بأن ذلك يؤثر في الحجر عقوبة لما فعل ما فعل من ذلك الضرب .

وخرق العادة في الحجر إنما هي الحركة بنفسه من غير هبوط ، فكذلك حياة الجسم التي هي فيه .

وقال : للذات والآلام أسباب تتوقف عليها ، لكن منها أسباب عادية ، وقد تكون اللذة عقيب سبب الألم والألم عقيب سبب اللذة[1] ويكون ذلك خرق عادة ، فيسمى سبب البلاء بلاء ، وسبب اللذة نعمة عرفاً . ويُقال : الشكر على البلاء ، والصبر على النعماء ، وليس بصحيح .

وكانت المعاملة تكون وفق الحق تعالى . وأجهل الناس من يجهل حاله وذوقه ، والذي هو فيه .

فصاحب هذا القول يجد اللذة عقيب سبب الألم . فلو وجد اللذة تنبعث النفس بالشكر ولوجود سبب الألم يتخيل إنه يشكر على البلاء . وهو لا يعرف الباعث للشكر . وكذلك الصبر أيضاً .

وقال : لو كوشف العبد بالأمر فذلك العلم . وإذا ثبت عليه من غير أن يتخيله عقله فذلك اليقين . وإذا حكم عليه فأثر فيه أثراً [بحيث] يتصرف اليقين على حكم ذلك الأثر فتلك الطمأنينة .

وقال : إذا كان المعلم الحق كان علماً لا تعتريه شبهة[2] . وإذا كان المعلم غير الحق اعترت صاحبه الشبهة فقدمت فيه .

---

(١) نظرية سلوكية من التصوف. هي أن من وجد اللذة عقب سبب الألم، ثم شكر على البلاء فقد أخطأ ، لأن الحق هو الشكر على نعمة اللذة لا على سببها ، وكذلك الحال في الصبر ، فلا يُقال الصبر على النعماء ، بل يكون الصبر على ما يتبع النعمة من جهاد للنفس في مقاومة الخضوع لسلطانها .

(٢) في هـ : لا تدخله شبهة .

وقال : المعجزة علامة ما هي نائبة مناب الخطاب . وليس بواجب على الأنبياء إظهارها . وإنما ذلك من بسط الحق للعالم . ونزوله إليهم . غير إنها بكل حال لا تعطي العلم عند الناظر . إذا كان نافذ البصيرة .

ثم الذي يفيده العلم من ذلك أن يقيده الإيمان .

وقال : الإعجاز من عالم القهر . وعروته العجز لا الإيمان ، فليست المعجزة إلاّ لإقامة الحجة ، لا لوجود الإيمان .

وقال : ما لم يعلم إلاّ بالدليل لا يقع على الإلهام به إلاّ بدليله[1] . غير إنه ليس صاحب نظر فيه قبلهم العلم بالدليل . والعلم بالمدلول . وكذا يجدونه ولا يعرفون الفرقان بينهما .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن شبيث بن عبد العظيم

قال : كما أن القطع بالمضمون من الرزق . والتحقيق به يؤدّي إلى عدم تعمل الحركة في تحصيله . لعلمه بأن الحركة غير مؤثر فيه فصارت كأنها عبث وعذاب حاضر . كذلك العالم . إذا حصل له العلم بنزول أحد الدارين . الجنة أو انار . وتحقق به . أداه إلى تعطيل حركة العبادات من الأعمال المشروعة .

ولهذا الواقع جنح العارفون من رؤية جزاء الأعمال حذراً من هذا الكسل . إلى رؤية ما تقتضيه الربوبية عند العبد من التعظيم . فيقومون با لأعمال العظيمة من حيث ما تستحقه وتقتضيه الربوبية علينا . لا من حيث ما عدت به . إيماناً بما وعدت به في ذلك . فلا يخلط الدارين . ولا يفرق بين المنزلتين وعلى هذا قامت عبادة خاصة الله وأهله . من نبي وولي . وهو مذهب رابعة العدوية (رضي الله عنها) وغيرها[2] صرحت بذلك فيما نقل عنها . ولقينا على ذلك جماعة من شيوخنا .

---

(١) أهل الإلهام لا يقع لهم الإنهام إلاّ بالمدلول مع دليله ، وليس العالم حينئذ صاحب نظر بل صاحب إلهام . وغيرهم قد يعلمون بالمدلول ، غيباً من غير دليل ، كإيمان العوام ، وقد يعلمون الدليل ولا يعلمون بالمدلول ، وذلك كالمتكلمين وأهل الأنظار من الحكماء ، وكلا العالمين ناقص .

(٢)وهذا دليل آخر على استقامة مذهب الشيخ الأكبر ، وتأكيده إن العبادات لا تسقط عن أحد حتى=

وقال : الحملة ثمانية : إسرافيل ، وآدم ، وجبريل ، ومحمد ، وميكائيل ، وإبراهيم ، ورضوان ، ومالك .

فإسرافيل وآدم للصور ، وجبريل ومحمد للأرواح ، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق ، ومالك ورضوان للوعد والوعيد ، واتسق الخلق ، وانتظم الأمر الحق .

وروينا هذا الكلام عن شيوخنا ، ذكروه عن ابن مسرة الجبلي الذي كان بقرطبة ، وفيه حضور الأمر كله .

وقال : آدم ومحمد أخوان ، ونوح وعيسىٰ أخوان ، وإبراهيم وسليمان أخوان ، وموسىٰ وداود أخوان ، هكذا تمّ الأمر لنا في الكشف وما عرفت المناسبة : فبالقلب طولعت به : وأطلت عليه .

وقال : من خرج من رق الأوقات كلم من غير ميقات[1] لأنه لا يعرفه ، ومن خرج عن رق الكونين أشهد الحقائق في العين[2] ولذلك قلنا :

إذا بدا الكون الغريب لناظري حننت إلى الأوطان حن الركائب

وقال : ما تجلى الله لشيء إلّا خشع له[3] ، لأن ذلك الشيء يرى حقيقته[4] في ذلك التجلي ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسىٰ صعقاً﴾ ، صعق موسىٰ (ع) بما أندك به الجبل ، ولذلك قلت :

ليس في الأمر اضطرار لا ولا فيه اختيار

= ولو رأى العابد منزلة . بل إن العبادة في رأيه هي أداء حق الربوبية لا غير .

(١) الأوقات عند الصوفية هي الأنفاس التي يعيش فيها السالك ، وقد أكدت التربية السلوكية الصوفية ضرورة حفظ هذه الأنفاس عن العبث، وشغلها في الله ، وما دام كذلك فهو مريد ترد عليه الواردات في وقت دون وقت . أما إذا وصل الإنسان إلى حال تصبح فيها المراقبة ملكة من ملكاته بحيث خرج عن عبوديته للوقت ، فإن الواردات ترد عليه من غير وقت وبلا استعداد لها ، وفي أي موطن ، وفي أي شأن من شؤونه .

(٢) الأكوان كلها حجاب عن شهود الحقيقة في عينها ومنبعها فمن تخلى عنها ، وحاول الاستجماع نحو المهجول، واصبح ذلك مذهباً من مذاهبه شهد الحقائق في أعيانها ، فشهد الحياة في عين الحياة القديمة ، والعلم في عين العلم ، والنور في أصل النور . أي أشرف على أصول الحقائق ، لا على امتدادها إلى كون من الأكوان .

(٣) في هـ : خضع له .

(٤) أي حقيقة فقره وذلة وعبوديته وفنائه .

إنــمــا الأمــر وجــود وكــذا الــعــقــل يــحــار
إنــمــا نــحــن عــبــيــد وعــلى هــذا الــمــدار
فــاعــتــلــيــنــا وانــشــغــلــنــا فــبــروز وبــزار
هــو لــلــشــمــس قــديــم هــو لــلــبــدر مــعــار
فــكــذا كــان دوام وكــذا كــان ســرار

وقال : ليس في عين الأمر اضطرار ولا اختيار ، ولكن علم سابق ، وقضاء لاحق ، وقدرة نافذة ، وإرادة غير قاصرة .

وقال : إذا أنصب الصراط على متن جهنم على الصفة التي ذكرها الشرع . فأما المعطلة فلا يحصل لهم عليه قدم أصلاً . وأما الفرقتان اللتان تقولان بإنعدام العالم بعد إيجاده فيخطون فيه خطوة واحدة ويقعون في النار[١] ، وأما المشركون فلا يحصل لهم عليه سوى القدم الواحدة ، فإذا اعتمدوا عليها ، وأرادوا أن يضعوا الأخرى ، لم يقدروا على ذلك ، ووقعوا في نار جهنم . وأما ما عدا هؤلاء من الفرق فيمرون عليه على مراتبهم[٢] .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد الغني

قال : الموحدون على قسمين :

موحدون من حيث العلم ، وهم الذين يخرجون من النار بشفاعة أرحم الراحمين ، لا يشفع فيهم ملك ولا نبي .

وموحدون من حيث الإيمان ، يشفع فيهم النبيون ، فلا يبقى أحد في النار يعلم ألا إله إلاّ الله .

وقال : من نسب إلى شيء سوى الله تعالىٰ خلق شيء من الأشياء كائناً ما كان فهو مشرك . بقدر ما نسب ، والأمر فيه إلى الله تعالىٰ ، إلاّ أن يجعل مع الله إلهاً آخر . فهو لا محالة في النار .

---

(١) وهذا دليل على كراهية الشيخ الأكبر للفلسفة وعلم الكلام .
(٢) في الأصل : فيصعدون عليه على مراتبهم .

وقال : رفع للناس يوم القيامة خزائن ، وفي كل خزانة خزائن فخزانتان منهما إذا رفعتا أثرتا الغبن والندم عند الناس ، وخزانتان إذا رفعتا أثرتا الفرح والسرور ، وخزانة تنكس الرأس وتورث الويل والثبور .

وقال : يحشر الناس يوم القيامة في الظلمة ، والشمس منكسفة لا نور لها ، وقد يزيد حرها سبعين ضعفاً ، وليس لأحد يوم القيامة نور إلّا من ذاته خاصة ، فنوره يسعى يوم القيامة من بين يديه ومن خلفه إن كان متبوعاً يقتدى به .

فثم شخص يعم النور جميع جهاته ، ظاهراً وباطناً، ويكون في نفسه نوراً ، وهو أكمل الناس .

وثم [ناس] ينزلون عن هذه الدرجة في النور على منازلهم في المعارف والأعمال إلى الظلمة المحضة التي لا نور فيها .

فإذا استنار بأنوارها أهل الأنوار جاءهم رسول رب العزة غيباً يعلمون به ولا يرونه ، فيقول لهم : أنا رسول الحق إليكم فيقوم المهديون من تلك الطائفة ، فيقولون : ماذا جئت به أيها الرسول ؟ .

فيقول : اعلموا ، أو تعلموا ـ قد خرج عني أي اللفظين سمعته ـ يقول : إن الشر في العدم ، والخير في الوجود .

أوجد الإنسان بجوده ، وجعله وحدانياً في وجوده ، وتخلق بأسمائه وصفاته . وفني عنها في مشاهدة ذاته ، فرأى نفسه بنفسه ، وعاد العدد إلى أسه ، فكان هو ولا أنت[1] . أو قال : بلا أنت أو بلا هو ، لا أدري أي الكلمتين يقول ، وقد سدت عني .

وقال : الخلق مجبور ، فكيف يحيط بالحقيقة محصور .

وقال : أحاط الله علماً بكل شيء : وعلم ما لا يتناهى إنه لا يتناهى من غير إحاطة ، فإنه لو علم محاطاً به يعلمه على خلاف ما هو عليه ، وذلك في حق

---

(١) وجود الكائنات ليس أصيلاً فيها ، وإنما هو مستعار من الوجود الحق . وعلى هذا يكون مذهب الوحدة الصوفية قائماً على شهود الأصل في كل شيء متجلياً فيه . وعلى هذا يكون الإنسان موجوداً ظاهراً ولا موجود حقيق . فالأصل هو ، والمجاز أنت ، والمحرك هو ، والمتحرك أنت ، وإذا جاء في الكتاب والسنة نسبة العمل إلى العبد كانت من حيث جريان الفعل الإلهي على الفاعل المجازي وهو الإنسان .

الحق محال .

وقال : ما فقد أحد الحق في شيء إلّا كان له ظلمة ، ولا وجده في شيء إلّا كان له نور من حيث وجده ، ولا شك أن الناس يتفاضلون في وجود الحق في الأشياء ، فمنهم ومنهم .

وقال : من أراد أن ينظر إلى ربه فلينظر إلى نفسه ، فإن عرفها عرفه ، وإن جهلها جهله .

وقال : من أعجب صنع الله إن الشيء مع كونه ذاتاً واحدة يظهر في أعيان وجودية كثيرة ، وهو هو بعينه ما انقسم ، فهو موجود لله وما برح ، وموجود له وما برح ، وموجود في القبضة وما برح وموجود في خارج القبضة وما برح ، وموجود في الأحد وما برح ، وموجود في البرزخ وما برح ، وموجود في الجنة إن كان سعيد ، وفي النار [إن كان شقياً] وما برح ، وهو لا غيره .

فسبحان من أخفى الحقائق خلف حجاب العقول والأفكار .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن آدم بن عبد السلام

قال : ما ثم إلّا هو وأنا ، فما ثم إلّا وجوب ، فلا محال ولا ممكن .

وقال : لما كانت الأرض موطن اجتماع الحقائق من جميع الخلائق . لذلك كانت محال الخلائق ، وإنما جهل من جهل الأسماء ، لكونه ما برح من السماء .

وقال : كل ما سوى الله مركب ، لا يوجد قط واحداً أصلاً ، فلا تصح لأحدية إلّا لله ، ولهذا لا يشهده أحد قط في أحديته[1] .

---

١) لتقريب معنى الأحدية ولله المثل الأعلى نفترض عدداً من الجداول تجري فيها المياه ، ثم تصب كلها في جدول واحد . فحينئذ لا يمكن تمييز المياه بعضها من بعض . ولا يمكن الحكم عليها بالكثرة . فلا تمييز ولا تكثير . فالأحدية مقام لا تمييز فيه بين اسم واسم ولا صفة وصفة . ولا اسم وصفة . وهي غيب الذات .

والفرق بينها وبين الواحدية إن الواحد أصل الأعداد ، ويمكن أن يتكرر فلا يكون واحداً ، بل يكون عدداً آخر مساوياً لعدد تكرار الواحد وهو واحد لم يتغير بخلاف الأحدية فليس فيها شيء من ذلك أصلاً .

وقال : توحيد الخلق للحق إنما هو من حيث خصائصهم التي بها ومع التمييز لكل موجود عن غيره[1] ولا تقع فيه مشاركة ، فبذلك القدر ثبت التوحيد الإلهي في نفس من ثبت ، وهو الآية التي له في كل موجود ، تدل على كونه واحداً في ذاته .

وقال : نسبة الكثرة من حيث الأسماء ليس بتركيب ، وإنما ذلك راجع لتعلقات من عين واحدة إلى عيون كثيرة أعطتها حقائق الكيان .

وقال : لو وقع أخذ الميثاق على البطون لقالوا : نعم ، ولم يقولوا بلى . وأما قول ذي النون حين سئل : هل تعلم الآن شهوداً إنك قلت : بلى ؟ فقال : لكأنه الآن في أذني . يشير إلى أن وجود الأخذ باق إلى الآن في عالمه . كما ذكرنا أن العين وإن كانت واحدة فلها وجودات ومواطن كثيرة تظهر منها .

وقال : لا يعرف الله بالكون ، ولا يعرف الكون بالله ، فإنه سبحانه لا يكون دليلاً ولا مدلولاً ، لعدم الرابط الذي يقع فيه الإشتراك بين الدليل المدلول ، فالعلم بالله تعالى علم إلهي ما فيه شيء من الكسب : **﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾**[٣] .

وقال : إذا تحقق الموحد بتوحيده لم يبق له توحيد ، لا قدرة ولا كسباً فلو قيل له : قم ، أو أقعد ما استطاع ، فهو المقام والمقعد ، ومتى لم يكن بهذه المثابة في حاله فليس بموحد ، فالناس يشهدونه حاملاً للأشياء ، وهو والأشياء محمول .

وقال : الموحد من شهد له التوحيد ، لا من يشهد بالتوحيد .

وقال : «لاإله إلاّ الله» توحيد المؤمنين ، و«الله» إقرار الموقنين ، و«هو» إقرار العارفين ، والخرس إقرار الكمل من الرجال ، وليس لهم نطق في خرسهم

---

(١) في هـ : من حيث خصائصهم التي يمتازون بها عن غيرهم .

(٢) كالجبال توحد الجلال ، والوحوش توحد القهر والغلبة ، والماء يوحد الحياة ، والزهر يوحد الجمال ، وهكذا . والإنسان يوحد توحيداً كلياً ، لأن فيه من كل شيء آية وهو العالم الصغير .

(٣) يصور الشيخ الأكبر هنا قمة التوحيد الصعودي ، ثم يعود بالموحد إلى سلوك نزولي آخر في القول التالي بعد هذا القول بقليل .

إلاَّ بلا إله إلاَّ الله[1] .

وقال : من خرج عن وطنه عند إرتحـاله عن أرض بـدنه ، ولم يقم بـه ميل ، ولا عـراه نشـاط ، ولا كسـل ، ولم ينقصـه ذرة من العمـــل ، وشـاهــد الأزل بعين الأزل ، وناب الحق منابـه ، فما صعـد وما نـزل ، وتوقفت عليـه الأسباب والعلل ، فذلك الموحد العارف الكامل الذي لا يزال .

وقال : من اتخذ الحق وكيـلاً لم يقم على توحيـده دليلاً[2] ، فـإن اتخذه عن أمر ربه فقد كملت سعادته وعلمه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الحميد

قال : الصوفي ابن وقته ، والرجل من لا يتبناه كون .

وقـال : الرجـل من يمر على الأوقـات ، ولا تمـر عليـه ، فيكـون حـاكمـاً لا محكوماً ، وعالماً لا معلوماً .

وقـال : ليس الرجـل من إذا صلّى في فلاة من الأرض وحـده ، وانصرف من صـلاته انصـرف معه مـا لا يحصى من آلاف الملائكـة ، وإنما الـرجل من ينصـرف من صلاته ولا ينصرف معه أحد ، وإنما الرجل من يتـردد في معرفتـه بربـه بين حزن وسـرور ، وفي توحيـده بين أنس ووحشة وفي عبـادته بين إخـلاص وشرك[3] ، وفي معاملته بين حسن وقبيح ، وفي خوفـه بين جمع وفـرق[4] ، وفي مشاهـدته بين منـة

---

(١) هذا هو الصعود ثم العودة، فبعـد الخرس يعـود السـالـك إلى مقام الإيمـان ولكن بروح أخـرى تخالف مشارب المؤمنين الذين لم يصعدوا .

(٢) لأنـه أثبت أثنين : وكيلاً ومـوكلاً ، ولا تـوحيد على الحقيقـة في هذا الاعتبـار وأصحـاب هـذا المشهد يرخصون لمن تنازعهم نفوسهم إلى الاستقلال بالعمل بإتخاذه تعـالىٰ وكيلاً وهي مـرتبة نازلة من مراتب الإيمان بالنسبة لتلك المرتبة التي يتحدث عنها الشيخ الأكبر .

(٣) المراد بالعبادة مع الشرك ملاحـظة العابـد نفسه ، أي مـلاحظة عـابد ومعبـود وهو قـوله ﴿إيـاك نعبد﴾ . والمراد بالإخلاص الفناء عن هذه الملاحظة ، وملاحظة جـريان أفعـال العبادة من الله العبد دون حوله وقوته . وهو قوله ﴿إياك نستعين﴾ .

(٤) الجمع النظر إلى أحـدية الأشيـاء، وعدم مـلاحظة الأعـداد ، والفرق النـظر إلى الأكوان منفصلة

وكسب ، وفي صبره بين رخاء وشدة ، وفي شكره بين نعمة ونقمة ، وفي رضاه بين تعمل وقسمة ، وفي حياته بين صدق وكذب ، وفي دعائه بين رهبة ورغبة وفي إيمانه بين نفي وإثبات .

وقال : إن من عباد الله من يفتح عينه فلا تقع إلاّ على الله ، وسمعه فلا يسمع إلاّ كلام الله ، ولسانه فلا يتكلم إلاّ بالله ، ومع هذا فليس بذلك الرجل ، فقد يكون من هذا حاله في نتائج الزوائد(١) .

وقال : من صحت نافلته فقد كمل(٢) .

وقال : المعرفة والسرور لا يجتمعان في أحد ما دام في الدنيا ، أبداً ، والمعرفة والحزن لا يجتمعان في الآخرة في أحد أبداً ، ولولا التكليف لحصلت المعرفة والسرور في الدنيا .

وقال : ما دام الرجل في هذه الدار فهو على قدم الخطر ، لأن الأمر الشرعي يخاطبه بالتكليف الذي هو العمل في كل حال ولو بلغ ما بلغ ، لأنها دار المكر والتبديل ، ولو بشر فإن الأدب يمنعه .

وقد ذم الفرح فيها لعدم تحقق أسبابه من جميع الوجوه ، فإذا انتقلنا إلى دار التمييز والتخلص ، تراءى الجمعان ، وتميز الفريقان ، وانصبغ من انصبغ في الفضل .

ويمنعه من الفرح فيها ما في طي الأمر من طلب القيام بحقوقهما ، فلا يتفرغ للفرح بهما مع شغل القلب بأداء حقوقهما .

وهنالك ليس كذلك : فكيف يسر العارف بالمعرفة هنا ، وفي الأمر ما ذكرنا .

= بعضها عن بعض . والمراد من عبارة الشيخ الأكبر الخوف من الله ومن الخلق ﴿ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾ .

(١) أي لا زال ذلك الرجل سالكاً ، لأنه لا زال في نتائج النوافل كما جاء في الحديث القدسي : «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه . . . » الحديث .

(٢) ولا يكون ذلك إلاّ لمن سلمت له نافلة خالصة له وهو محمد (ص) . فالنافلة شرعت لتكميل نقص الفرائض ، أما الكامل المصطفى (ص) فقد قال الله تعالى في شأن نافلته : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ .

وقال : ليس لرجال الله همة مولاهم ، ولا نية ولا إرادة ولا عزم ، ولا هاجس ولا قصد ، وفي الهاجس خلاف ذوقي .

وقال : المشرك هو المأمور أن يعبد الله مخلصاً ، وغير المشرك يعبده فقط .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن خضر بن عبد الوهاب

قال : الرجل إذا قال : أنا ، كان كما قال .

وقال : اللدنية حجاب .

وقال : العندية حجاب ، والغض اللدن المائس ، وكل علم يضرب به الميل فغير مخلص[1] ، بخلاف من ضرب باليد فعلم علم الأولين والآخرين وهو العلم الصحيح الذي لا ميل فيه ، وما شهدنا إلاّ بما علمنا ، ألا تراه كيف قال لموسىٰ (ع) : «أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله ، لا أعلمه أنا» . فقد تساويا ، وعدمت الفضيلة .

غير أن الرسل مأمورون بالزيادة من العلم ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾ فوجب عليهم الطلب ، فاندرج الخضر في موسىٰ ، بقدر ما تعلم منه . ولم يحصل للخضر ذرة من علم موسىٰ .

وقال : ثلاثة لثلاثة : السفينة المخروقة في البحر نظير التابوت في اليم ، وقتل الغلام نظير قتل القبطي ، وإقامة الجدار من غير أجر نظير سقي غنم الجاريتين بماء مدين من غير أجر﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ زبدة الحديث ، فليته صبر .

وقال : أمتثل الخضر طاعة موسىٰ لمعرفته بمنزلته ، وإن لم يكن تحت حكم شريعته ، و لكن الأدب لازم حيث نهاه عن الصحبة إن وقع السؤال الثالث فوقع فكان الفراق ، ولم يقل في ذلك موسىٰ شيئاً ، فلو لم يكن مقصوداً لموسىٰ

---

(١) في الأصل : يضرب به المثل فغير مخلص .

ذلك الخطاب لاعتذر . ولاستدرك الأمر قال محمد (ص) : «ليت موسى سكت أو صبر» يعني ليته لم ينهه عن صحبته حتى يقص علينا من أخبارهما ، وكان ما أراد الله تعالى من الفراق ، وكان الخضر قد أعد له ألف مسألة ، كلها اتفقت لموسى ، وكلها ينكرها عليه .

تمّ الجزء الرابع ، ويليه الخامس

الجـزء الخامس

من كلام العبادلة في الحقائق
بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحميد	وابن عبد الغفور	وابن عبد الحليم
وابن عبد الغفار	وابن عبد القائم	وابن عبد الشهيد
وابن عبد اللطيف	وابن عبد القوي	وابن عبد الودود
	وابن عبد الصادق	

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد الله بن صالح بن عبد الحميد

قال جابر : سينا محل الفتنة ارتفع الستر ، وطلعت الشمس ، فقال : ﴿**هذا ربي**﴾ .فابلغا جابر : فينا . غربت الشمس عندهم . ﴿**فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون**﴾ . إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، ميزان صحيح . ومعرفة تامة ، وبشرى مثل هذا إلى الخاتمة وإلى الخير ما لهما ، لأنه أخذ أن يتخذ فيهم حسناً ، وبهذا يفضل أهل المغرب على أهل المشرق ، والقسمة من البيت العتيق(١) .

وقال : ليس عند الرجال تمييز ، يبثون المعارف ، ولا يخصون بها أحداً ، لعلمهم أنه ما يأخذ منها أحد إلاّ على قدر ما هو أهلاً له، وذلك هو الفهم عن الله تعالى ، ولا يبالون بمن ضل فيها ومن اهتدى تخلقاً إلهياً(٢) .

---

(١) هذا لون من الأسلوب الرمزي عند الشيخ الأكبر . يشبه ما تردد كثيراً في كتابه «مواقع النجوم» .

(٢) هذا رأي الشيخ الأكبر في نشر العلم . فليس عنده شيء يحجب ، وشيء يلقي للناس ، وقد خالف الكثيرين من الصوفية في هذا ، وإن كان هو أحياناً يسكت عن بعض الأسرار ولكن لتعذر إيضاحها بأساليب اللغة .

فالكامل عنده يجب ألا يميز بين شخص وآخر ، بل يجب أن يبث علومه ولا عليه أن يهتدي =

القرآن كلام الله ، وهو العلم الكامل الحاوي على جميع معارف العارفين وأضل به كثيراً ، وهدي به كثيراً ، فيكون البر والفاجر ، ولا ينتفع به إلاّ البر الرحيم ، فالرجل مبسوط في العلم أبداً ، لا قبض عنده في علم بالنظر إلى غير قابل .

ينزل المطر . . تنبسط الشمس . . فلا ينحجب عنها إلاّ المحجوب . فليس في حقها منع ، وإنما المنع فيك .

فمن تستر بالسقف والجدران ، حرم فوائد الأمطار والأنوار ، فالنكاح للمطر ، وتفتح الروح للشمس . . فتضع الأرض حملها . من زهر متنوع الأعراف . وعقد ثمر مختلف الأصناف . . فربى متوجة . . وأهضاب موردة .

وقال : من رجال الله من يضحك ولا يبكي ، ومنهم من يضحك ويبكي .

وقال : الدموع دمعتان : دمعة فرح ، وهي من برد اليقين باللقاء ، ولذلك تخرج باردة ، ودمعة حارة ، وهي دمعة ترح للمحزونين وتتفاضل درجاتهم بتفاضل المحزون عليه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إليسع بن عبد الغفور

قال : حشر العارفين عند موتهم ، وحشر العامة عند بعثهم من القبور فحياة العارفين متصلة لا موت فيها ، وحياة العامة رجوع بعد مفارقة ، فقد تكون عين المفارق ، وقد لا تكون . فإن آفات الفرقة كثيرة .

وقال : تنقضي أعمار العرافين وهم مع الحق على أول قدم منهم ، فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم ، من إقامة حقوق الحق التي عليهم ، فهم في الغيب مشهودون ، وفي الشهادة مغيبون ، فهم ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وليس وراء الألف مرتبة ، فإنها آخر مراتب أسماء الأعداد **﴿فيها يفرق**

= بها الناس أو يضلوا ، كما بث الله القرآن في الناس فضل به قوم واهتدى آخرون .

ولعل من حظر إلقاء العلم إلى بعض الناس أراد مقام التربية على مدارج السلوك ، وعلى أي حال فقد استقل الشيخ الأكبر بهذه النظرية كما استقل بالقول بعدم الإقتصار على شيخ واحد .

كل أمر حكيم﴾ .

وعن العارف ظهر هذا الفرقان في العالم والروح ، نزل به الروح الأمين على قلبك . تنزل الملائكة كذلك على قلب العارف تنزل الملائكة بضروب الأوامر ، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر ، وبقي القدر ، فصار نوراً كله بعد ما كان ذا وجهين .

وهنا أسرار لأهل الله مصونة من أعين الأغيار . آه . آه . آه . إن إبراهيم . لحليم أواه .

وقال : إن من عباد الله من لم يبق له إلى الله حاجة ، لعلمه بأنه أعلم بما له فيه ا لخير منه .

وقال : حاجة الكون إلى الله ذاتية ، فلا يعين حاجة بعينها .

وقال : أي عبد عين حاجة إلى الله بعينها فقضاها له زالت عبوديته إلى الله ، وفقره إليه من حيث تلك الحاجة ، وهو مقام خطر ، وفيه قال عز وجل : ﴿مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ .

وقال : الرجل من ألقى بنفسه بين يدي من هي نفسه له ، فإذا ولاه الحق عليها بتوليه إياه فيكون معاناً مؤيداً .

أو إذا أولها على غيره هذه الولاية بضرب تعمل منه ، وطلب من الله ذلك ، فربما خذل عن إقامة العدل فيها .

وقال : لله حق على العبد يطلبه به ، وللعبد حق على الله جعله له عليه يطلبه به ، فمن ترك طلب حقه من الله تعالى ، ترك الله تعالى طلب حقه منه ، فتظهر الأعمال من العبد من غير اقتضاء حق ، فيكون العبد في عمله بحكم التصريف الإلهي .

وقال : المعرفة موجبة أداء الحقوق .

وقال : النظر إلى الحق من كونه هادياً يؤدّي إلى التسليم .

وقال : لا يطلب الرب إلاّ العبد ، ولا يطلب الجزاء إلاّ الأجير ، وفي الحق كفاية .

وقال : للمعرفة إرادة ، وللإرادة طلب ، وللطلب وجود . وعند الوجود يقع الاكتفاء والاستغناء عن الغير .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الحكيم

قال : تحقيق الأمر عند العلماء التفاف الساقين ، وهو العشق ، وصفاء الأمر وهو الحب ، وثباته وهو الود .

فإذا ثبت هذا كانت الطاعة على غير عوض ، فانقطعت العلائق عن قلبه ، وذهبت العوائق من سره ، وانتشرت أنوار السبحات[1] على ذاته ، وقوي بصره بنور إلهي ليكشف به في ذلك النور كان غطاه عنه غطاؤه من عظمة الربوبية .

وقال : لا تخلص السجدة لله إلاَّ من قلب ساجد ، فمن لم يسجد قلبه لم تصح له سجدة أصلاً .

وقال : إن من عباد الله من لا يذوق حباً لله إلاَّ ببغض ما سوى الله تعالى[2] ، ومنهم من يحب الكون بحب الله سبحانه .

وقال : في الأنس بغير الله استيحاس من ذلك الغير منك ، وهي غيرة إلهية عليك . وفي الأنس بالله قرب الله منك ، ووصلة إياك ، فلتأنس بهذا ولا تأنس بغيره .

وقال : صاحب السبب مضطرب . وهو عابد وثن .

وقال : حب الله تعالى من العلم ، وحب الله ورسوله من الإيمان ، والحب من حيث الإيمان (أتم منه من حيث العلم . وإن كان الإيمان)[3] علماً بطريق ما .

---

(١) في هـ : أنوار الوجه .

(٢) النوع الأول هم أهل الخلوة وأهل الجذب ممن لهم وجه واحد في الحب فهم إذا أحبوا الله أبغضوا ما سواه ، وهذا النوع لا يقتدي به ولا يصلح للإرشاد ، ولا تخلو أقوالهم من شطحات .

والنوع الثاني هم أهل الإرشاد الذين يقتدى بهم . رأوا إن الله يحب خلقه فأحبوه لحب الله . الأول سلكوه نزولي ، وربما وقف ، والثاني صعودي . الأول ناقص والثاني كامل .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : هـ .

وقال : كما تدين تدان . فاذكر الله سراً يذكرك سراً ، وعلانية بعلانية ، وطاعة بطاعة وأنساً بأنس ، وحباً بحب ، ورضاً برضا ، وأمراً بأمر ، وكل شيء بمثله .

وقال : التذكر من النسيان[1] لا الذكر .

وقال : الكتب قيمة بالصحف المطهرة ، تتلوها ألسن العصمة .

وقال : القراءة بالاسم الخالق .

وقال : ﴿الرحمن * علم القرآن﴾ بأي قلب يكون ، وعلى أي قلب ينزل .

وقال : الميزان الموضوع في الأرض هو الشرع ، وأنت لسان ذلك الميزان ، فلأية كفة ملت كنت لها .

وقال : لا يتقرب بالأعمال إلاّ . للعامل فتحفظ فقد نبهتك[2] .

وقال : ليس العجب من التحف والزوائد والطرف على قلوب العارفين إنما العجب من قبولهم إياها مع أنهم لا يطلبون سواه . نعم يقبلونها من كونهم خزنة عن أمراً لهما ، وقد عرفوا أنه لا ينال .

وقال : الوقوف من الحق سلب الحكم[3] .

وقال : مواقع النجوم قلوب العارفين ، ومشارق الشموس أسرارهم ، ومطامع البدور حقائقهم ، وأقمار البدور توسط حال ، وإهلالها بقاياهم معهم ، وأنوار البروق تنزل رحمة عرشيته إلى كرسي مجيد[4] .

---

(١) في الأصل : عند النسيان .

(٢) يقصد التقرب بالعمل على وجه المطالبة بالأجر ، أما تقرب غير العمال فيكون بالتوجه وعدم ملاحظة العمل ، وبالزهد في الأجر .

(٣) يعني إذا وقفت مع الحق وتحققت به في تلك المرتبة الصفاتية ارتفع عنك الحكم ، وتخلصت من مرتبة الحكم البشري ، لأنك صرت حينئذ محكوماً لمرتبة الحق ، وصار الحق ملكة من ملكاتك . فلا يحكم على صاحب هذه المرتبة مثلاً بأنه عابد .ولا بأنه يجب عليه كذا. لأنه قائم في عين رتبة الحق .

(٤) يعني أن العلم يقع على قلب العارف كالنجوم تقع في كبد السماء ، والحق شمس واضحة تشرق على أسرارهم ، فإذا اتحد السر مع العلم بدت بدور الحقيقة ، وتحول العلم إلى=

وقال : من كانت له وثيقة على غريمه استراح وارتفع الحرج عنه ، ولو كان الغريم عديماً فلا بد له من سلطان عليه ، وهو المطلوب[١] .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن داود بن عبد الغفار

قال : العيش مع الله هو القوت الذي من أكله لا يجوع .

وقال : من يأنس بالله لم يستوحش من شيء .

وقال : العبد مطلوب من حيث معناه ، لا من حيث صورته ، فصورته نكرة ، ومعناه معرفة ، ولكن عند الخلق . وهو عند الله مطلوب من حيث المعنى والصورة . وقد ينضبط المعنى بالصورة ، وقد لا ينضبط .

فالذي انضبط معناه بصورته دون الذي لم ينضبط ، فإن الوجه أوسع[٢] .

وقال : للخلق مراتب في رؤية الحق ، فرؤية لا ترى بها سواه ، ورؤية تراه بها قبل كل شيء ، ورؤية تراه بها بقدر كل شيء ، ورؤية تراه بها مع كل شيء ، ورؤية تراه بها بعد كل شيء ، ورؤية تراه بها في كل شيء ، ولها مراتب في القرب والمعرفة .

وقال : خطاب الحق لعبده[٣] لا إجمال فيه ولا تفصيل .

وقال : في معرفة الألوهية أنت الأصل ، وفي عين الوجود هو الأصل ، ومعرفة الذات لا أصل لها ولا فرع .

= معرفة ، من حيث عرف حقيقة نفسه وشعور العارف بسطوع تلك البدور في باطنه حال متوسط لم يصل إلى حال فناء الفناء الذي يبدأ منه البقاء وإهلالهما أي ظهورها للعين من بقية حظ النفس .

(١) الغريم العديم هو العبد ، والوثيقة للتي لله على العبد هي الشريعة والطريقة ، وحينئذ لا بد من سلطان على العبد ضامن وهو المرشد .

(٢) يعني أن المراد من العبد قلبه ، لا حركاته الظاهرية في العبادة ، وليس معنى ذلك أن صورة العبادة غير مطلوبة ، بل هي مطلوبة من حيث تعبيرها عن العبودية . وقد تنطبق الصورة على المعنى فيعرف باطن العارف من ظاهر حاله ، وقد لا يعرف باطنه من ظاهره لأن باطنه أفضل .

(٣) في الأصل : للعبد . وفي هـ : عبده .

وقال : الصنعة واحدة ، والاختلاف في الموضوعات .

وقال : إياكم والاغترار بصفاء الأوقات ، فإن طيها آفات لا يعرفها إلاّ من أشهده الحق إياها .

وقال : براءة من الله ورسوله لما وقع الاشتراك[1] مع الرسول بالعطف ، لذلك كانت من الله ، ولو لم يقع الإشتراك لم تصح البراءة ، لأنه بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الفاعل لكل شيء ، وإليه يرجع كل شيء ، وقد يصح من طريق الأسماء .

وقال : لا يرى من ليس كمثله شيء إلاّ من ليس كمثله شيء .

وقال : تفقد القلب من علامات التيقظ .

وقال : تغلب هيبة الله تعالىٰ على القلوب ، بحيث لا تظهر عليه حركة عبادة أصلاً ولا عادة ، وقد مكث أبو يزيد [البسطامي] أربعين يوماً ما صلّى[2] من هيبة الله حتى سأل ربه أن يرزقه[3] من الغفلة قدر ما يؤدّي به الصلاة . وقعد بعض شيوخنا سبعين يوماً ما صلّى أو أكثر في هذا المقام . ولقيت رجلاً من أهل الحديث استولت عليه العظمة ، بحيث أنه كان يدير النخامة في فيه ، ولا يقدر أن يرميها من هذا المقام ، لأنه كان لا يرى شيئاً خارجاً عنه[4] .

وقال : كل بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيبة ، بل إذا

---

(١) في الأصل : الإشراك .

(٢) في هـ : لم يصل .

(٣) في هـ : أن يهبه .

(٤) تلك مسألة جرت على الصوفية أقاويل كثيرة . ولكننا قبل أن نطعن أحداً يجب أن نحاول إدراك ماهية تلك الهيبة التي كانت تستولي على هؤلاء العارفين ، وما نحن ولا المعترض بمستطيعين إلاّ ترديد ما نقرأ عن هيبة الله أما ذوق تلك الهيبة فلا يدركه إلاّ من مارسه بالفعل .

ونعتقد أن مقارنة بسيطة مع الفارق الشاسع يمكن أن تنير لنا الطريق فالرجل ينزل به بلاء دنيوي مزعج فلا يملك عقله ولا يكتفي بترك الصلاة بل بتهجم على الله بكلام يخرجه عن جادة الإسلام . وقد يصيبهم الذهول من لقاء إنسان له في الدنيا شأن . بل لقد يترك الصلاة تحت تأثير اللهو والسمر . وما شابه ذلك .

فكيف بقوم أحسوا بما لم نحس به ، ومع ذلك يضرعون إلى الله أن يرزقهم الغفلة حتى يؤدوا فرائضهم . ونحن لا ندافع عن قوم دخلاء أدعياء لا يؤدون الفريضة بحجة الوله والوجد بل ندافع عن المحققين وحدهم .

استحكمت منه تحول بينه وبين الحركة . والصلاة حركة .

وقال : صحبة الله بالحرمة والحياء .

وقال : قدرك عند الله قدره عندك . ورأيت رجلاً بإشبيلية قد سأله مسكن معروفاً لله تعالىٰ ، فأخرج من جيبه كيساً فيه قطع من الفضة ، بين صغار وكبار . فأخذ يفتش عن أصغر قطعة فيها ، حتى يدفعها للسائل ، وكان معي رجل صالح يُقال له «الحاج بدور بن يوسف» ، فقال لي : يا بن أخي ، تعرف على ماذا يفتش هذا ؟ .

قلت : لا . قال : هذا سئل بالله ، فأخذ يفتش على قدره عند الله[1] ، فعلى مرتبته عند الله يفتش .

ثم رد وجهه للمعطي ، وقال له : على قدر ما تهب لوجه الله تعالىٰ يكون وجهك عنده ، فكبر أو صغر وعظم أو حقره .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن لوط بن عبد القائم

قال المتعة مشروعة ، فاتخذ ملجأ تستند إليه من زمان قصة لوط ، حيث قال : ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ ، يعني من القبيلة «ما بعث نبي إلاّ في منعة من قومه» .

قيل : «ذل من ليس له سلطان يعضده ، وإن كان ظالماً ، وضل من ليس له عالم يرشده وإن كان فاسقاً» .

وقال : إذا امتلأ العبد بربه سروراً يعظم حتى لا يسعه شيء ، وإذا امتلأ منه حياء دق حتى هو لا يبين منه شيء .

وقال : كن عرش الكائنات .

وقال : لولا أنت لكان هو ، ولولا هو لكنت أنت ، وهو لا تجتمع .

---

(١) في هـ : ببحث ، وهكذا في بقية الفقرة .

وقال : إن من عباد الله من أطلع على كيفية تدبير الأمور الإلهية الجارية في الكون ، وكيفية تقدير المقادير بجريان القضاء فيها ، وكيفية خلق المخلوقات من غير ممازجة ولا معالجة .

وقال : رجال الله على قسمين ، وهما : أصحاب أنوار إلهية ، أطلع الحق على أسرارهم من غيب الغيب ، ومن عين ملك الملك ، فأشرقت بنور ربها .

ومنهم رجال ظهر من تلك الأنوار على ألسنتهم ما ظهر ، فأولئك الذين يقتدى بهم .

ومنهم رجال ظهر عليهم في أحوالهم من تلك الأنوار ما ظهر ، فأولئك الذين يهتدي بهم ، لأن النور في هؤلاء مشهود لك ، فتهتدي به في ظلمات برملكك ، وبحر ملكوتك .

وقال : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ . فإنه حصل له من طريق السمع . ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم﴾ و ﴿أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً﴾ .

وقال : من اعتصم بحبل الله أوصله الحبل إليه ، ومن اعتصم بالله تنزل الحبل إليه(١) .

وقال : الناس كلهم متعلقون بالقرآن ، وإن من عباد الله من تعلق بهم القرآن .

وقال : إن من عباد الله من يقبلهم الحجر ، وتطوف بهم الكعبة . وقد رأيت ابن أبلج والكعبة تقبل رأسه(٢) .

---

(١) جاء الترخيص بالسلوكين في القرآن . قال الله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ . وقال : ﴿واعتصموا بالله﴾ . الأول للعابدين السالكين ، والثاني للعارفين . والقول التالي توضيح لذلك ، فالعابد معتصم بالقرآن والعارف معتصم به القرآن . لا من حيث الكلام القديم إلى ركن يأوي إليه ولكن من حيث فقه الأسرار وتوجيه بواطن العارفين نحو المعرفة العليا ، ومن حيث إحيائه على الأرض ونشره بين الناس .

(٢) أمر موسى بخلع نعليه احتراماً للوادي المقدس . من حيث هو مكان لتجلي الله تعالى بالكلام الموجه إلى موسى . وجاء الحكم من الله تعالى بتكريم بني آدم ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فما بالنا بالآدمي الخاص وهو العارف المحقق فلا عجب من تفضيل العارف على الحجر والكعبة ، من

وقـال : في النـاس من إذا صلّى وسلّم من صـلاتـه ، مـا تشتهي صـلاتـه مفارقته ، حتى يرفع بها إلى عليين .

وقـال : الحج فـرض على الناس كلهم ، إلاّ على أهـل مكة ، فـإنهم فـرض على الحج .

قال : إذا شرع الإنسان في العمل فهو بين القبول والرد ، فإما وإما .

وإذا رمى العبد نفسه بين يديه وطرحها عند بابه فقيراً ذليـلاً ، فهو مـرحوم بـلا شك[1] .

وقـال : الفقـر من الله ذل لازم ، والفقـر إلى الله عـز دائم ، فـالفقيـر من الله خائف من كل شيء ، والفقير إلى الله ما عنده خير من شيء .

وقـال : إذا أشرق القلب بنـور الرب بـاتت الأعمال محصـاة في إمام مبين ، وقامت الحجج لأصحاب الحقوق على غرمائهم ، فتلك قيامة العـارفين قد قـامت ، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾[2] .

= حيث ولاية الله له وكذلك فضل الرسل والأنبياء .

فالمقدسات والعارفون مستوون من حيث التكريم الإلهي ، إلاّ إن العارف في مقام الفناء عن الكل في اللهفإن الأكوان تخضع له من حيث حكم من تعلق به العارف وهو الله تعالى .

(١) لاتخصيص في الرحمة بمظهر من المظاهر التي تعارف الناس على أنها رحمة ، فقد يكون منع المطلوبات عن النفس عين الرحمة ، وكذلك الحال في مطالب الروح والعقل ، لأن السلوك لا ينتهي أبداً فإذا فقـد الإنسان مـطالبه في حـال ذله أمام ربه . . فهـو بلا شـك من أهل العـطاء المخصوصين بالرحمة . وقد لا يشعر بذلك .

(٢) إذا مـات العبد قـامت قيامتـه . والموت مـوتان : مـوت النفس ، وموت الجسـد . فـإذا مـاتت النفوس فقد تحققت القيامة للعـارف ، لأنه وحـده الذي يسـتطيع الـظفر بنفسـه وقتلها ، وكبت جميع ميولهـا حتى تموت فيحـاسب في الحال على مـا تقدم من ذنبـه ، ويوفق فيمـا تأخـر من عمره ، بل قد يرى مقعده من الجنة أو من النار .

وقد روى أن مريداً من أهل الكشف رأى شيخه مناماً إنه من أهل النار فهجره زماناً، فأرسل إليه الشيـخ واستوضحـه سبب هجره إيـاه ، فقص عليه مـا رآى ، فقال لـه الشيخ ، يـا ولـدي منـذ عشرين عاماً وأنا أعلم إني من أهل ا لنار ، وأجتهـد مع ذلـك في العبادة رجـاء رحمة الله . ثم رأى المريد شيخه ثانية انه أصبح مرحوماً ومن أهل الجنة فعاد إليه .

وإذا شـك بعض الدارسين كـدأبهم حتى في وقـائع المنامـات . فإنهـا تربيـة تبعث الأمـل ، وتعلي كلمة الخير ، لا نجد لها مثيلاً في مناهج التربية النظرية .

وقال إنما كان لجنهم سبعة أبواب ، فإن الأمور الموبقات سبعة ، لكل باب منهم جزء معلوم . والباب الثامن لها مغلق ، ولذلك لم يذكره ، لأنه غير مسلوك ، وهو الحجاب الذي لهم عن ربهم يومئذ .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن جرجيس بن عبد الشهيد

لما قال القائل ، وهو الحلاج :

ياكل كلي فكن لي إن لم تكن لي فمن لي
مالي سوى الروح خذها جهد الفقير المقل

فقال لي الآخر : وهو أب الحجاج يوسف المبتلي الدباغ الرباطي القرطبي ، بحضور مشايخ كانوا عندي ، وكان الوقت قد طاب لهم ، فقال : يا أخي ليس هذا بشيء . فقلت له يا أبا الحجاج ، رد عليه . قال : أسمع ما قلته أنا . ثم أشعرني مرتجلاً في الحال :

من الغرائب إني اهديت بعضي لكلي
ما لست أملك أهدي[1] فعل الحبيب المدل

فقلت له : لا فض الله فاك . ولنا من قصيدة في هذا المعنى وهو هذا :

كيف أهدي لكم الروح وقد صح بالبرهان أن الكل لك

ولما قال القائل :

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فقلت : والله ما أحسن هذا في قوله ، ولو قال مثلما قلت :

شغلي بها ، وصلت ليلاً وإن هجرت فما أبالي أطال الليل أم قصرا

ولما قال القائل :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

(١) في هـ : ما ليس ملكي أهدي .

فقلت : ما هذا بشيء ، ولو قال مثل ما قلت :

لئن سرني أن نلتني بمساءة فما كان إلاّ أن خطرت ببالك

ولما قال القائل :

ولقد هممت بقتلها من حبها حتى تكون[1] خصيمتي في المحشر

قلت : هذا لا يحسن ، لأنه جعل الحق لها ، فربما لا تطالبه لبغضها فيه .

فلو قال :

ولقد فرحت[2] بظلمها من حبها كيما تكون خصيمتي في المحشر

وقال الشريف الرضي في هذا الباب :

أنت النعيم لقلبي والعذاب له فما أمرك في قلبي وأحلاك

وقال صاحب «محاسن المجالس» :

فهل سمعتم بصب سقيم طرف سليم
منعم بعذاب معذب بنعيم

وقال أبو يزيد البسطامي :

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد ملت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولنا تتميم نصف البيت الأول :

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للثواب

وقال :

عجبي والله من مسألة أعرض العاقل عنها وسلك
صح أن الحق أسرى ليلة بنبي وبراق وملك
وعلا الأفلاك في دورتها ووجود الكون في دور الفلك
وهو لا يسكن في تحريكه بطل التأثير وقتاً[3] وهلك

---

(١) في الأصل : كيما تكون .

(٢) في الأصل : ولقد سررت .

(٣) في هـ : بطل العالم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن زكريا بن عبد اللطيف

قال : الغيرة على الله تعالىٰ ليست من صفات الرجال ، ولكن من صفاتهم الغيرة لله ، والغيرة في الله ، والغيرة من الله وإن كانت من صفات الرجال ، فهي دون هاتين .

وقال : الصبر على الله تعالىٰ من أعظم الصبر ، كما تقول : أخذت العلم عن الله ، ليس من الأجل ، وهو أن ينسب الصبر إليك نسبته إليه ، وعند ذلك تكون النيابة حقاً ، والحرقة صرفاً .

وأما الصبر عن الله بمن حبس النفس عن الله بما يكون فيها من المخالفة التي هي سبب البعد والطرد والحجاب ، وليس ذلك بتحقيق الصبر من الله ، وأن ذلك تحقيق صبرك عما فيه نعيمك ولذتك ، فإن مرجعك إلى الله وبالله ، فلا مفارقة عين ، ولكن نعيم وعذاب . فإن تشهده منعماً شهدته معذباً .

وقال : لما تعلقت الهمة بزكريا لطلب الولد ، من أجل قرة عينه بمريم ، واستفراغ سره في مشاهدة حالها ، وكانت كاملة بتولاً ، كان يحيى سيداً وحصوراً ، مطابقة .

وقال : إنما كانت الشيخوخة والطفولة مرحومتان عن الخلق ، منظوراً إليهما بعين الرحمة والشفقة والرفق من جانب الحق ، للضعف الذي بهما .

ونحن بالشيخ أشد رحمة في هذا الباب ، لأنه صاحب ضعف وشيبة ، وعدم المربى بما ينبغي ، فإن تربية الشيخ مستقذرة ، تنفر عنها الطباع ، بخلاف تربية الطفل .

فالطفل موقى ، والشيخ مسموع منه .

وقال : الشيخ الضعيف المؤمن ألبسه الله سبحانه وتعالىٰ خمسة أثواب بعضها فوق بعض .

فالذي يلي بشرته وهو شعاره ، ثوب الصيانة ، ثم ثوب العناية ثم ثوب الولاية ، ثم ثوب الهداية ، والخامس هو للزينة ، ثم ثوب الحماية والكفاية .

ثم يغمس في الرحمة غمسة ، فلا يبقى عليه من درن المخالفة شيء ، فيخرج نقياً تقياً طاهراً مطهراً .

ولا يبقى له من العمل إلاَّ هذا الذكر الخفي ، وهذا من الرحمة بالضعيف .

وقال : إذا غلب الإنسان حكم الهرم يضعف عن الحركة ، فتقوم الخطرة من الذكر منه مقام عبادة العمر ، لأن الآخرة له مشهودة .

وقال : ليس شيء أعز على الله من أوليائه ، ملكاً كان أو بشراً ، أو جناً ، ثم هم في الولاية على طبقات .

فمنهم رسل ، ومنهم أنبياء ، ومنهم أهل حديث ، ومنهم أهل مسامرة ، ومنهم أهل مواصلة ، ومنهم أهل مؤانسة ، ومنهم ومنهم .

وقال : المرآة من حيث هي مرآة لا تزال محلاً للتجلي ، وإن كانت صدئة تجلي فيها صداها(١) ، فجلاؤها عبارة عن إزالة صورة الصدأ عنها ، لتتجلى فيها صورة الرائي وغيره . فهي بجلائها صقيلة أبداً ، وتختلف عليها صورة المتجليات ، لأنها مرآة ، وأكثر الناس لا علم لهم ، وإذا لم تكن مرآة فهي قطعة حديد لا غير .

وكذا صدأ مرآة القلب(٢) إنما هو ظهور صورة الأكوان فيه . فإذا أميطت عنه هذه الصورة بالذكر وبالمعرفة ، وهي أحسن من الذكر وأحلى ، كما ورد في الخبر : «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» . قيل : فما جلاؤها ؟ قال رسول الله (ص) : «جلاؤها ذكر الله وحده» .

وقال : اتلِ القرآن من حيث ما هو كلام الله تعالى ، لا من حيث ما تدل عليه الآيات من الأخبار والأحكام فإنه الران .

وقال : أنت مجلي الحق الذي وسعه حين ضاقت الأرض والسماء .

وقال : مرآة القلب لا جهة فيها ، فلذلك هي مجلي الحق سبحانه ، الذي لا يتصف بالجهات .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

---

(١) في هـ : فإن صداها هو المتجلي فيها .

(٢) في هـ : وكذا مرآة القلب صداها . .

عبد الله بن موسى بن عبد القوي

قال : شخص كل شيء ذاته ، فليطلق هذا الاسم على كل ذات بحسب ما هي عليه ، وليس هو حقيقة في شيء ، مجازاً في غيره .

وقال : ما ثم مجاز أصلاً . الكل حقيقة .

وقال : صورة كل شيء حقيقة مثل الشخص ما هو مجاز في أمر ما من الأمور . فقال : أخبرني بصورة الأمر . فقال : القديم ثبات الألوهية ، والصورة ما تظهر فيه للأبصار عند الكشف ، والساق شأنها وأمرها ، واليد تصريفها ، والعين حفظها .

وقال : وقوفك معك حجابك عنك[1] ، فلو زلت عنك لرأيتك[2] .

وقال كن مع الله كما هو الله معك ، تكن أنت أنت ، وما يخبرك به فخذ مالك ، وافهم ماله ، وافهم لأي شيء أخبرك عنك وأنت تعلم خبرك[3] .

---

(١) في هـ : حجاب عنك .

(٢) قال العارف علاء الدين العطار «رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ في الأدب» . فمعنى قول الشيخ الأكبر إذن : إن وقوفك مع نفسك من حيث الشهوات حجاب بينك وبين معرفة حقيقة نفسك ، ووقوفك مع معرفتك هذه حجاب عليك ، وبين حقيقية نفسك الحاملة للأسرار والفناء عن المعرفة يستلزم فيض المعرفة الحقة من أعلا ، حيث زال الحجاب . وحينئذ فكل ما يصدر عن العارف مما هو متصل بالبشرية لا يكون وقوفاً مع النفس ، بل يكون تحقيقاً لحقيقة المعرفة . يقول داود بن ماخلا «العارف إذا اشتكى آثار بشرية يُقال له : إنما أردنا أن نغمر بك دوائر الحس ، كما عمرنا بك دوائر القدس» . فالعارف حين يزول عن نفسه يدرك سريان الأسرار إلى قلبه بلا واسطة ، ويدرك ما هو أعلى من الأسرار بواسطة الملأ الأعلى .

(٣) إنما جاء الإخبار عنا في القرآن ونحن نعلم خبرنا لأسرار دقيقة تظهر من الحروف لا من المعنى الكلي . فمثلاً قوله تعالى : ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ فكثير من الناس يظن أن قلبه معه ، ومن ظن ذلك فقد أشرك شركاً خفياً ، لأن الذي معك هو ربك ﴿وهو معكم﴾﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ . فحرف الجر والضمير ﴿له﴾ ينبهان الإنسان إلى معنى عظيم هو وجوب التمييز بين ما هو لك وما هو معك ، حتى تفهم الأمر على حقيقته ، فلا يختلط عليك الحق بالخلق ، فإذا نودي البشر : ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ فيجب النظر إلى القلب الذي هو بيت الداء وسر البلاء . وإذا نادى البشر بقوله : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ وجب النظر إلى القلب في الحال لأنه لك ، وما كان لك يجب أن ترعاه وتصلحه ، ولو كان القلب معك لأصلحه الله ولم يكلفك بإصلاحه ، فإذا كان التكبر محله =

وقال: حضرة الخيال أوسع الحضرات، فـإنهـا تعـم كـل شيء، تارة بحكم المطابقة، وتـارة بغيرهـا، ولذلـك ترى ربـك في النوم وجميـع المعـاني، وفيهـا قال: «أعبد الله كأنك تراه».

وقـال: حضرة الخيـال تجسد المعـاني، فإنهـا لا تقبـل شيئـاً مـا لم تصـوره بصورة، فإذا جعلته صورة قبلته.

وقال: من خرج من حضرة خيال علم، لم ير ولم يسمع حيثما كان.

وقـال: الحضور مـع السوابق يـرفـع اللوم عن اللواحق حقيقـة، فيكـون في اللوم حاكياً، وفي رفع اللوم محققاً، وهذه المرتبة من قوى الإيمان[1].

وقال: لا تنال الأرواح إلاَّ بذهاب أرواح، لأن قيمة كل شيء مثله.

وقـال: من لزم التقـوى والأداب لم يكن لأحـد عليـه حق في الـدنيـا ولا في الآخرة.

وقـال: الريـاء جهل، سـواء نسب المـرائي فعله ذلـك لنفسـه، أو نسبة لله تعالى.

وقـال: الصادق في تـوبته عـلامتـه ألا يـذكـر ذنبـه، لأن التـوبـة لا تبقي لـه وجـوداً[2]، إذ قـد بـدل بـالنص المعصـوم[3]، فـأي ذنب هنـاك حتى يشهـد

= القلب والنفس كانت النتيجة الصرف عن الأبصار. ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ وللقلب بـالعقل صلة. فقـوله تعـالى: ﴿وكان الإنسـان أكثر شيء جدلاً﴾ يكشف هذه الصلة فالجدل بالعقل ومبعثه الكبر والكبر في القلب والنفس.

هذا مثال سقناه تقاس عليه أمثلة لا تحتملها هذه الحاشية.

(١) لتقريب المعنى نقول: إذا حضر القلب مع اللسـان وبقية الجـوارح في إبتداء الصـلاة، وصح التوجه، وتطابقت النية مع الإرادة لله وحده، ثم وردت بعض الخواطر على القلب بعد ذلك، ارتفـع اللوم عن المصلّي في الحقيقة، لأنـه سلم نفسه إلى الله، وأخلص في إلقـاء نفسه بين يديه، وصدور اللوم على ذلك سداً للذرائع وقصداً إلى التربية. ومن هنا كـان المحقق حاكيـاً للوم من هذه الوجهة فقط، إذا لام نفسه، أو ربى غيره. وصلته بـالإيمان واضحـة بعد ذلـك، فصاحب هذا المقام موقن مشاهد دون شك.

(٢) في الأصل: لأنه ما بقي له وجود.

(٣) معنى قـوله تعـالى: ﴿يبـدل الله سيئـاتهم حسنـات﴾، وهـذا تحقيق شـرعي لا يخلو من عمق الـوعي الروحي، إذ أنـه من تحقيقات أهـل العزم والحـزم وأما مـا تواتـر من ذكر كبـار السلف

(المكلّف)[1] ؟ فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة ، وإيمانه مختل بلا شك .

وقال : متى ما ذكر العبد[2] ذنبه ، ولم تظهر عليه حالة من حلت به عقوبة الذنب فما هو تائب ، وإنما هو مستحل لما ذكر . واستحلاء الذنب أشد من الذنب بما لا يقارب . وهو حجاب عظيم بين الله تعالىٰ وعبده ، ويخاف عليه لعدم حرمة الحق تعالىٰ عنده .

وقال : عندنا إن جميع المخالفات كبائر ، فإن الذي يعصي بها واحد إذا نظرنا من خولف بها ، ومن نظر إلى الحدود عليها جعلها كبائر وصغائر .

وقال : التوبة لا تصح ما لم تعم ، فإن خصصت فهي ترك لا توبة .

وقال : التمني تعطيل الوقت ، وقد قلنا في ذلك من قصيدة :

خرج التوقيع لي بالأمان ... فلتحاذر غائلات الأماني
ينقضي الدهر[3] ولا شيء منها ... حاصل قد ملكته اليدان

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن داود بن عبد الودود

قال : الطرق إلى الله على قدر الرجال ، والرجال على قدر المعارف والمعارف على قدر السلوك ، والسلوك على قدر الطرق ، والطرق على قدر الرجال .

وقال : أجهد أن تعرف من أين جئت ، وكيف جئت ، تعرف من أين ترجع ، وكيف ترجع .

= لذنوبهم ، فإنما هي الخطرات ، أو هو تحقيق للعبودية . مشهد الشيخ الأكبر تحقيق العزة . ومشهد الذاكرين لذنوبهم تحقيق الذل ، ولذا جمع الشيخ الأكبر بين المشهدين في القول التالي .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في هـ : ينقضي العمر .

(٣) لا يخفى ما في القول من مذهب الشيخ الأكبر في الشهود ، وهو : إندراج البداية في النهاية ، والذي يعبر عنه بالدائرة ، وقد ألف الشيخ كتاباً سماه إنشاء الدوائر .

وقال : ما دامت عقول الأمزجة[1] باقية فالتكليف قائم ، فإذا غلبت العقول الإلهية ارتفع «فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك» .

وقال : الله ، الله . التسليم لأهل هذه الطريقة ، المنتسبين إلى الله تعالىٰ فيما يظهر عليهم من المنكرات بالنظر إليك ، فإن في ذلك نجاتك ، لأن الذي انتسبوا إليه قادر على قلب الأعيان ، والأخذ بالأبصار عما هو المشهود عليه ، أين درجة من جبريل فانظر . وإن ذلك ليبلوك أتؤمن أم تكفر ، والعاقل كأنه لم ير ، باق على الأصل ، فانظر في العوم من حيث هو لا من حيث هم تسلم[2] .

وقال : واجب على كل من طلب الحق تعالىٰ أن يلزم الحق .

وقال : خلق الله عزّ وجلّ الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا ، ومحاسن الخلق ، فيؤديهم إلى الزهد في الدنيا ، وحسن الظن بالناس فعكس الناس القضية ، نظروا إلى محاسن الدنيا ، ورغبوا فيها ، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم ومقتوهم .

ومن حصل له ذلك التنزيه من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط ، وتورث عنده سكراً . وهذا المقام لما ذقته بدمشق أشهد لقد بقيت في لذاته كالسكر أياماً كثيرة .

وقال : إن الله طلب المؤمنين ليؤمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل من على رسوله والكتاب الذي أنزل قبل ، فماذا كان الإيمان الذي كانوا عليه حين خاطبهم بأن يؤمنوا[3] ؟ .

---

(١) في هـ : عقول المزاج .

(٢) لا أدل على ذلك من الكتاب من قصة الخضر وموسى وليس القول بأن الله قادر على قلب الأعيان يعني أن ذلك ما يحدث فعلاً ، بل المراد إنه لو لم تكن حكمة علياً من ظهور ما ينكره الناس على العارف لأخذ بالأبصار وقلب العين حين حدوثه ، حتى لا يتعرضوا للقال ، ويلاحظ أن الشيخ الأكبر عبر بالمنكرات بدلاً من المحرمات ، دلالة على أن ما يظهر إنما هو مما ينكره الناس عرفاً ، لا مما تنكره الشريعة .

(٣) طالب الله تعالىٰ الخلق أن يؤمنوا مرتين :

أولاهما : حين أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

والثانية : عن طريق الوحي إلى الرسل .

وكان الخلق حينما خاطبهم الله بأن يؤمنوا على حال من الإيمان بالربوبية التي هي تنزل قريب=

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الصادق

قال : الصادقان مثلان ، والمثلان لا يجتمعان[1] .

وقال : الذكورية أصل في الإيجاد الإنساني ، فهذه درجة السببية التي للرجال على النساء .

وقال : نهر طالوت نهر بلوى ، فهو نهر الدنيا ، من أخذ القوت منها لم يتعد ، فتلك الغرفة إذا اغترفها كسباً بيده ، فإن تجرد عن الكسب فهو قوله : «فمن لم يطعمه فإنه مني» .

فقوت المتجرد ليس من الدنيا ، لأنه ما أخذ من النهر شيئاً ، فما أحسن هذا التنبيه الإلهي !! .

ومن شرب وأمعن فيه زائداً على الضروري في الكسب فليس مني . وليس على المتجرد تقييد في الإتساع من فضل الله ، فيشرب ويروي من جود الله الحق ، الذي لم تدنسه أيدي المحدثات بالكسب .

فمن فهم هذه الإشارات علم ما بين الرزقين . وأدرك الفضل بين النوعين ، الكلب إذا أكل من صيده فلنفسه سعى ، فيحرم الصيد لذلك على المرسل وأنت المرسل جوارحك في الكسب ، فإذا أكلت منه حرم عليك مع نقصان مرتبة ، وتحجير للحلال المحض الإلهي عليك . فمعنى حرام : مانع بينك وبين من أكل

= من الخلق بعيداً عن مرتبة الألوهية نزولاً . فمرتبة الربوبية تختلط كثيراً بمراتب المنعمين والمربين من الخلق ، كما يبدو من المخاطبات الإلهية لآدم والوعد بألا يجوع ولا يعرى وهي مقام التربية الموصول من الربوبية . فطولبوا بأن يرفعوا همتهم إلى الإيمان بالألوهية في مقام الجمع ، لا في مرتبتها من الفرق وهي الربوبية .

(١) عند أهل النظر العقلي : لا يجتمع النقيضان ، وقد يجتمع المثلان . وعند محققي الصوفية العكس صحيح فلا يكون العارف عارفاً حتى يجمع بين الأضداد ، كالعز والذل ، والغنى والفقر ، والعلم والجهل وغير ذلك ولا يجتمع المثلان في زمان واحد ومكان واحد أبداً من جهة المعرفة ، لأن اجتماعهما على هذه الصفة تكرار للحق ، والحق واحد . فلا بد من ذكورة وأنوثة ، أي من قابل ومفيض .

من يد الله .

وقال : لما غلبت الكثافة على غير الأمة المحمدية صار تنزل المعاني عليهم في صورة الحس ، لطمس قلوبهم وعيونهم عن إدراك الحقائق على ما هي عليه ، ونزلت على الأمة المحمدية على ما هي عليه في نفسها .

ألا ترى إلى السكينة نزلت في قلوب المؤمنين فانتفعوا ، ونزلت على من تقدم في صورة ثور محمول في تابوت ، نظير قلب المؤمنين . ليس في قلوبهم منها شيء . قال تعالىٰ : ﴿**وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم**﴾ . وقال فينا : ﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً**﴾ بفضلهم على غيرهم من الأمم بقوله : ﴿**ولله جنود السموات والأرض**﴾ . نظير قوله : ﴿**تحمله الملائكة**﴾ .

انتهى الجزء الخامس ، والحمد لله وحده
ويتلوه النصف الثاني من كتاب العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

القسم الثاني

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا القسم

عبد الله بن عبد القدوس وابن عبد المتكبر وابن عبد الغفار
وابن عبد الكريم وابن عبد الفتاح وابن عبد الرفيع
وابن عبد الحكم وابن عبد المقيت وابن عبد الرحيم
وابن عبد الوارث وابن عبد الوكيل وابن عبد المحسن
وابن عبد المحي وابن عبد المقسط وابن عبد الضار
وابن عبد المعطي وابن عبد الصبور وابن عبد السلام
وابن عبد الباري وابن عبد القهار وابن عبد الجواد
وابن عبد القابض وابن عبد الخافض وابن عبد الخبير
وابن عبد الحسيب وابن عبد المجيب وابن عبد الشهيد
وابن عبد المتين وابن عبد المبديء وابن عبد المميت
وابن عبد المغني وابن عبد النافع وابن عبد المانع
وابن عبد المصور وابن عبد المؤمن وابن عبد المصور
وابن عبد الوهاب وابن عبد السخي وابن عبد الباسط
وابن عبد المعز وابن عبد الحفيظ وابن عبد الجليل

وابن عبد الباعث وابن عبد الحق وابن عبد الولي
وابن عبد المعيد وابن عبد القيوم وابن عبد البديع
وابن عبد الهادي وابن عبد الرشيد وابن عبد المتعالي
وابن عبد الدهـر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد الله بن أيوب بن عبد القدوس

قال : الطهارة شرط في صحة الصلاة ، فهي شرط في آداب المناجاة : ﴿إنك بالواد المقدس﴾ ، فأمر بخلع النعلين فيها ، فمن كان موسوياً خلع نعليه ، ومن كان محمدياً مسح على نعليه .

وقال : المؤمن طاهر بالذات ، وما ثم إلاّ مؤمن ، والمشرك نجس بالذات ، فما ثم إلاّ مشرك، فالنجاسة على قدر الشرك، والطهارة على قدر الإيمان.

وقال : طهارة القلب من التقليب ، وطهارة العقل من التقييد ، وطهارة النفس من عينها ، فمن لا نفس له لا قلب له ، ومن لا قلب له لا عقل له : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قل﴾ .

وقال : طهارة الحضرة الإلهية من حيث ذاتها تنزيه ، وطهارتها من حيث أسمائها تشبيه .

وقال : القدوس الطاهر ، وغير القدوس على خلق سيده .

وقال : الطهارة عامة وخاصة ، فعامة الطهارة من حيث كونك نسخة من جميع العالم . والخاصة ما تخص ذاتك من حيث إنك مخاطب بما شرع .

وقال : طهارة الماء طهارة الأبدان والأثواب ، وطهارة العلم طهارة القلوب .

وقال : لا تطلب الطهارة إلَّا لإزالة الأدناس ، وكل ما سوى الله دنس .

وقال : من التفت إلى غير الله بالله وجبت عليه طهارة ما التفت به إلى غير الله .

وقال : ماء البحور طهور ، وميتته حلال .

وقال : طهارة الأسرار ذاتية ، وطهارة الطبيعة طهارة عرضية ، فقدس طبيعتك فإن سرك مقدس ، وتحصيل الحاصل تضييع للوقت .

وقال : كل طهور طاهر مطهر، فإنه متعدي، وكل طاهر طهور ، ولي الطهور إلَّا ما خلقت منه ، خلق الله تعالىٰ الماء طهوراً ، فأصلك طاهر من حيث روحك وأصلك دنس من حيث طبيعتك ، فمن قدس طبيعته ألفها بالنفس الرحماني الإلهي ، فالإنسان طاهر نجس والمؤمن طاهر كله ، وكلتا يديه يمين إن كان مؤمناً ، وإن لم يكن مؤمناً فله شمال ويمين .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن اليسع بن عبد السلام

قال : من اشترط في سلعته البراءة من كل عيب فما عرف ، أما يعلم من كونها سلعة[1] إنها محل العيوب .

وقال : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، هذا عموم ظاهر الشريعة ، وأما في خصوصها فالمسلم من سلم كل شيء من لسانه فيما يعبر عنه ، ومن يده فيما له فيه نفوذ الاقتدار .

وقال : العبد إذا سلم من دعوى السيادة فقد سلم عما قيل فيه ، فما قيل فيه عبد إلَّا ليقف عندما قيل فيه . في المثل : «ما هلك امرؤ عرف قدره» فمن عرف قدره ما تعدى طوره . فليأكل الحلال المحض بلا شبهة .

وقال : العبد المحض ظاهراً وباطناً من لا يملك شيئاً البتة ، فإن ملك شيئاً نقص من عبوديته على قدر ما ملك[2] .

---

(١) في هـ : أما علم من كونها عورة .

(٢) في هـ : بقدر ما ملت .

وقال : السلام أمان ، فمن سلم عليك فقد آمنك مما تحذره منه «تحية من عند الله مباركة طيبة» . فالإنسان يسلم على نفسه .

وقال : لا تقل : السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، فتجعله أجنبياً ، وهو المسلم . سلام عليكم . السلام علينا ، مشروع في التشهد في الصلاة ، فأمنك به من نفسك لما كانت لله لا لك على أن في سلامك على نفسك إشارة إلى أن الله أقرب إليك منك ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ .

ولما خاف الإنسان من نفسه أن توره الموارد المهلكة آمنك من ذلك في التشهد في الصلاة ، فشرع لك أن تقول : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

وقال : شرع لنا أن نسلم في الصلاة على النبي (ص) لأجل رده (ص) علينا ، لأنه الظاهر بأسماء الله تعالى ، فآمنك من اسمه المنتقم وأخواته من الأسماء بأضدادها من الأسماء الإلهية أيضاً وقال : ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ فجاء بباء السبب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ أي رجاع إلى ربه في كل حال .

وقال : كن وارثاً نبيك بأن تقول في السراء : «الحمد لله المنعم المتفضل» وفي الضراء : الحمد لله على كل حال ، واتبع ولا تبتدع ، واقتد تهتد ، ومن هدي فقد سعد .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن مؤمن بن عبد المؤمن

قال : من كان المؤمن كان عين نفسه .

وقال : المؤمن معطي الأمان ، وإن النبي (ص) يقول : «المؤمن من أمن جاره بوئقة» .

وقال : المؤمن ناصح على الإطلاق ، ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ .

وقال : المؤمن يمني لا عراقي .

وقال : المؤمن من أسمائه ، فقد تسمى بعبده ، لا ، بل العبد تسمى به[1].

وقال : كما يصدق العبد ربه فيما وعده به ، كذلك يصدق الرب عبده ، فيما أتاه به ، مما أمن أن يأتيه به .

وقال : المؤمن وجه بلا قفا ، فمن أي وجه شاء أبصر[2] ، فله في كل جهة عين يبصر بها .

وقال : المؤمن منور الباطن وإن عصي ، والكافر مظلم الباطن وأتي بكريم الخلق .

وقال : من تحكم في الإيمان وتصرف ، فذلك الذي استحق اسم المؤمن ، وليس إلاّ الله تعالىٰ لم يستطع النبي (ص) وهو أكرم الخلق على الله أن يجعل عمه أبا طالب مؤمناً **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾** .

وقال : من تحكم علمه فيه ، كانت له الغلبة ، وما في الوجود إلاّ من يحكم فيه علمه **﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** . هذا تحجير إن فهمته[3] .

وقال : من قال : أنا مؤمن إن شاء الله فما عرف الله .

وقال : لا تغتروا بالإيمان **﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾** . فبالمجموع وقع الخسران[4] .

---

(١) في هذا المعنى رأى في تفسير الحديث «المؤمن مرآة المؤمن» فالمؤمن الأول للعبد المتصف بالإيمان والثانية اسم من أسماء الله الحسنى . وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الأسماء الإلهية على البشر ، فأطلق اسم الرؤوف الرحيم على النبي (ص) .

(٢) المراد عين البصيرة ، التي تدرك مالاً تدركه الباصرة ، وهي من مواريث النبوة ، جاء أن الرسول (ص) كان يقول وهو يؤم المسلمين «إني أراكم من وراء ظهري» .

(٣) وجه التحجير أن يفهم القاصر من هذه الآية إن سبق الكتاب أغلق الطريق على غير المستقيم ، المقيم في الزيغ فعلاً . وكذلك المؤمن يرى إن إيمانه سبق به الكتاب فلا يمكن أن يتحول عنه . وهو خطأ في بدائة الشريعة . والعلم هو العاصم من هذا الزلل .

(٤) أي بالمجموع المكون من الإيمان والباطل . ولا يقتصر الإيمان بالباطل على الإيمان بغير الله . فقد يكون الرجل ناطقاً بالشهادتين وهو مؤمن بالباطل ، وذلك إذا كان بما في يده أوثق مما في يد الله مثلاً . والمخرج من ذلك هو الإيمان الغيبي والتسليم المطلق لله . والبراءة من الحول والقوة فلا خوف على صاحب هذا الإيمان .

وقال : المؤمن من كان مرآة يرى كل راء فيه صورته ، ولا أحاشي ، رأينا من رأوا[1] .

وقال : من أسماء الحق ما إذا برأها الحق فيك أشقاك كالمضل .

وقال : المؤمن أخو المؤمن ، فهو على صورته ، وهو من الأسماء الإلهية .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد جابر بن عبد المتكبر

قال : التكبر من العبد خروج عن الأصل ، ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ .

وقال : من تعمل في تحصيل الكبرياء من غير تخلق فهو مذموم [2] .

وقال : من تحقق بالتكبر فقد عرف نفسه ، ومن لم يتحقق به فقد جهلها .

وقال : نسبة التكبر إلى الله من قوله : «مرضت فلم تعدني ، جعت فلم تطعمني[3] ظمئت فلم تسقني» .

وقال : كما جعل الله عبده نائباً عنه سبحانه وخليفته ، كذلك جعل نفسه نائباً عن عبده ، فمن عرف هذه النيابة كان عالماً بالله ، ومن كان عالماً بالله [4] كان عالماً بالأمور على ما هي عليه .

وقال : التكبر في الباطن جهل وشقاوة ، وفي موطنه سعادة .

وقال : خلقت عبداً لتكون سيّداً ﴿خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ .

---

(١) في الأصل : ولا أماشي رائياً من رآى راء . . وهو غامض . ويريد الشيخ الأكبر بقوله رأينا من رأوا . إنه رآى من رأوا صورهم في مرايا المؤمنين .

(٢) والتكبر الممدوح هو التكبر على المتكبرين ، هذا هو التخلق بالكبرياء الممدوح ، فليس المراد به هوى النفس ، وإنما المراد إذلال الباغين في الأرض الفساد .

(٣) كلام الله تعالى هنا على لسان عبيده . أي جاع عبيدي ومرضوا وعطشوا فلم تعدهم كبراً وبغياً ، وتلك حقيقة التكبر الإلهي متمثلة في الإنسان متجلية فيه .

(٤) في الأصل : عارفاً بالله في الفقرة كلها . وقد آثرنا ما في : هـ سيراً على مذهب الشيخ الأكبر الذي يرفع العلم فوق المعرفة [أنظر أوائل مواقع النجوم له] .

وقال : لولا الدعاوي ما خلقت المهاوي ، فمن أدعىٰ دعوى هوى فيها وإن كان صادقاً . ألا تراه يطالب بالبرهان ؟ فلو لم يدّع ما طولب بدليل .

وقال : الإنسان عبد بالأصالة بلا شك ، ومع هذا فإن أدّعىٰ العبودية طولب بشروطها ، لأنه إدّعاها في حال إتصافه بالقوة .

وقال : سعد من تجلى له الحق من مقامه ، وشقي من تجلى له الحق أيضاً من مقامه [١] .

وقال : نزول الحق إلى صفات الخلق إبتلاء منه ليبلو أيشكر أم يكفر ، ويعرف أم يجهل .

وقال : إقامة الحق عبده في صفات سيده شقاوة به وإن لم يكن الميزان بيده ، فإن الميزان يعرفه بماله وماله عليه [٢] .

وقال : ذلة العبد رجوع إلى أصله ، وتكبره خروج عن أصله . ومن خرج عن أصله تعب .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن معتوق بن عبد الباري

قال : ﴿وهو الذي في السماء إلـه وفي الأرض إلـه﴾ فالباري في الأرض خصوص خلق في نافع .

وقال : خلق الحشرات لإزالة الأفات ، فإنها من العفونات [٣] .

---

(١) هذا يفسره ما بعده من الأقوال .

(٢) إذا أقامك الله في صفة الكبر لتقمع المتكبرين هلكت بدون ميزان . والميزان الذي تعرف به سلامة موقفك هو : هل تغضب ويتغير قلبك وإذا نسب إليك نقص ؟ إن كان فأنت شقي ، وإلاّ فأنت سعيد .

(٣) وهكذا صدق العلم الحديث كشف الشيخ الأكبر . قال العلامة «كريس موريسون» رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك في كتابه «العالم لا يقف وحده» .

إنه زرع في استراليا نوع من نبات الصبار كسياج واق . وبدأ الصبار ينمو في ضخامة مذهلة وبسرعة لعدم وجود حشرة عدوة له في أستراليا ، وغطى النبات مساحة تبلغ مساحة انجلترا ، =

وقال : إذا اتصف الهواء بالصفاء قل البلاء .

وقال : الله في السماء ﴿رفيع الدرجات﴾ ولذلك قال: ﴿ذو العرش﴾ . وفي الأرض ﴿باريء﴾ والباريء خالق عمار الأرض.

وقال : برأ الله خلق الأرض ، وخلق عالم الأفلاك من الأملاك .

وقال : الباري غير مهموز : المعارض . يُقال : يباري الريح جوداً في سوقها الأمطار . بريت القلم أبريه برياً . إذ أصلحته لتكتب به .

وقال : العيسوي يبريء الأكمة ، أي يجعله ذا بصر . والأبرص . والبرص : ما يشين .

وقال : الباري من لا يكون علة لشيء ، فبطل قوي القائل : يا علة العلل ، لأن العلة تساوي معلولها في الوجود «وليس الأمر كذلك»[1] .

وقال : العلل لو استندت إلى علة لكانت معلولة ، ومن كان معلولاً قام به المرض ، والمرض ميل عن الاعتدال إلى الانحراف .

وقال : من نظر إلى الأرض فقد نظر إلى نفسه ، ومن نظر إلى نفسه فقد ذاق طعمها ومن ذاق طعمها لم يفلح .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن آدم بن عبد الصمد

قال : التصوير فرع ، فمن وقف مع الصورة جهل الأصل .

وقال : من كنت على صورة رتبته ظهرت بصورته ، ومن كنت على صورته لم يلزم أن تقوم بصورته خلقاً لاحقاً .

= ودمر المزارع ، وهجر الناس قراهم وطاف العلماء بأنحاء العالم حتى اكتشفوا حشرة لا تعيش إلاّ على الصبار وحده ، وتتكاثر بسرعة ولا أعداء لها في استراليا وقهرت الحشرة النبات بسرعة ، وأصبح الصبار في عزلة .

(١) وهذا دليل آخر على معارضة الشيخ الأكبر للفلاسفة .

وقال : التصوير دليل على عدم المصور بالمراتب .

وقال : كل من صور صورة فقد قامت به تلك الصورة ، وحينئذ ظهرت .

وقال : من وقف على جمعيته الكونية والإلهية فقد علم الصورة .

وقال : لا ينبغي أن يصور صورة إلاَّ من في قوته أن ينفخ فيها روحاً[1] ، كعيسى (ع) • ومن هذه الأمة يزيد البسطامي (رضي الله عنه) .

وقال : الروح باطن مصور الصور ، لأنه نفس ، والصورة جزء لمن صورها إذا نفخ فيها روحاً ، فإن فيها منه ما عدا الحق ومن نفخ بحق فليس بنافخ . وقيل : إن أبا يزيد قتل غلة من غير علم فأحياها بنفخة خوفاً من المطالبة ، وذلك لعدم كشفه فلو كشف ما ثم ما رأى إلاَّ حياً بربه أو بطبيعته .

وقال : ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك**﴾ . فهذه صورة قائمة ظاهرة . ﴿**في أي صورة ما شاء ركبك**﴾ عدلك وسواك ، فإن الصورة المعدلة لا تقبل روحاً إلاَّ مشاكل مزاجها .

وقال : ﴿**خلق الإنسان**﴾ روحه فافهم[2] .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إلياس بن عبد الغفار

قال : من سترك من العقوبة فقد حماك ، ومن الوقوع في المخالفة فقد اعتنى بك .

وقال : الستر صيانة بكل وجه وإن كان أمر إضافياً .

---

(١) أي بإذن الله كما ورد به القرآن الكريم . والمعروف في مراجع التصوف أن من سلب إرادته وحوله وقوته بإرادة ربه وحوله وقوته أذن له الله في أعمال تعتبر خرقاً لنواميس الكون المعروفة ولم نجرب هذا المقام ، فلنسلم .

(٢) أي إن الخلق واقع على الروح ، أما الجسم فتقع عليه صفة التصوير من الحق . والتدبير بالروح المنفوخ والروح المنفوخ يغاير البدن المصور . فالروح المنفوخ من الله تعالى ، والبدن المصور من التراب .

وقال : لا يصح الحجاب عليه ، وما ثم إلاَّ حجاب منه .

وقال : إسبال الستور يعطي الشعور[1] .

وقال : هو الستار لا المستور .

وقال : ستره أنت فزل ، وإذا زلت فلن ينكشف .

وقال : ﴿وهو الظاهر﴾ له ولك ، ﴿وهو الباطن﴾ عنك لا عنه . ﴿وهو الأول﴾ بك ﴿وهو الآخر﴾ إذ كان عينك ، وما زال عينك ، فما زال آخراً ، فأنت الآخر ، والآخر تبع ، وهو الأول وأنت تبع .

وقال : ما ظهر إلاَّ بك وأنت أخفيته ، وإن زلت فلمن يظهر ؟ فلا بد منك ، ولا بد من فنائك عنك ، لا فناء عينك .

وقال : ستور أسماء تسدل ، وإيمان خلفاء تقبل .

وقال : ما ثم إلاَّ نواب وخلفاء ، وما ثم نواب وخلفاء . على من ؟ .

وقال : الحقائق عبادة وسيادة ، فلا بد من عبد وسيد . لا تكون عبداً حتى يكون قواك وأعضاءك ، ولا تكون سيداً حتى يكون الفعل منك . وذلك محال فافهم[2] .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن ناصر بن عبد القهار

وقال : من قهرك فقد أثبتك مثلاً . والمنصب لا يحتمل الشريك .

وقال : لا تنازع فلست بجامع ، ولا تدافع فلست بمانع .

وقال : من قال : أنا ، قهر ، ولو قالها بحق .

---

(١) أي يعطي الشعور بالطلب ، وكل مستور مطلوب ، وكل مطلوب مستور محبوب .

(٢) هذا القول يوضح الأقوال السابقة . وهو من دقائق المعرفة . فالعبد أوله ونهايته عبودية ، فإذا ظهرت السيادة عليه فليست السيادة من ذاته ، وإنما هي سيادة ربه أسبغها عليه ، إذ لا تعقل السيادة في حق العبد إلاَّ إذا كان الفعل الذي يوجهها من العبد نفسه وهو محال .

وقال : لا تتعد طورك ففيه عزك .

وقال : ما يقهر القهار إلاَّ من ظهر بصفته ، فنفسه قهر ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ .

وقال : من نازعك في صفاتك فنازعه في صفاته .

وقال : أنت الفقير وهو الغني ، وقد طلب منك . وأنت أولى بالطلب منه .

وقال : لم تزل طالباً والمطلوب لم يزل . وما طلب منه إلاَّ ما هو عنده . فمن عزله عن ملكه فقد جهل .

وقال : القاهر فوق المقهور ، ولكن في ذلك إثبات الدعوىٰ ، والدعوىٰ قد تكون حقاً ، وقد تكون باطلاً ، فلا بد من دليل ، فلا بد من مستدل[1] .

وقال : من رسم عليك فقد شهد لك بالقوة ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ يحفظونكم من أمر الله .

وقال : من كان محيطاً بكل شيء لم يترك مركب ولا مفرداً .

وقال : الكل في قبضته القاهر ، فلا تظاهر ، فإنك الظاهر .

---

(١) قلنا إن الشيخ الأكبر يستقي معارفه من ذاته ، ويهيب بالإنسان أن ينهج نفس النهج وهنا يقول : إذا كان لا بد من مستدل لإقامة دعوى وجودك حيث أثبت الاسم لك محلاً تحت القاهر ، من حيث إنك مقهور . فمن يكون المستدل إذن ؟ إنه أنت بالطبع ، لأن الله شهد لك بالقوة كما في القول التالي بعده .

وإذا كان القهر يقتضي أن يكون الكل في قبضته تعالىٰ ، وإلاَّ يظاهر الإنسان قاهره ، لأن الإنسان هو الظاهر باسم القهر في الكون . فمن ظاهر على هذا فإنما ظاهر نفسه ، وإذا كان ذلك فكيف يستدل المستدل ؟ الله هو المحيط بكل شيء ، ولا يترك مفرداً ولا مركباً ، فالدليل منه عليه ، أي من باطنه على ظاهره ، ومن ظاهره على باطنه ، أي من وجوده على حقيقته ، ومن وجودك على وجوده ، وقد ضرب الله تعالىٰ لذلك مثلاً من مجموع الإنسان . ففيه قاهر من باطن الروح ، ومقهور هو النفس ونوازعها . فإذا قهرت الروح النفس فإنما قهر المجموع نفسه ، ولم يقهر شيئاً بعيداً عن المجموع . ولكن ـ في الوقت نفسه ـ ليس القاهر هو المقهور .

فإذا أرادت النفس أن تستدل على وجودها أما الروح في هذه الحالة فلا يكون ذلك إلاَّ بالتحقق بالذلة والضعف أمام سلطان الروح وحينئذ تظهر قوة المجموع كله بما في ذلك النفس . أما النفس الأمارة فإنها تظاهر الروح كما يظاهر المشرك ربه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن موهوب بن عبد الواهب

قال : من وهبك الوجود فلنفسه وهب ، ومن وهبك الإيجاد ـ أي أعطاك التكوين ـ فقد وهبك منعماً .

وقال : الهبة موقوفة على قبولك ، فإن كان من وهبك عالماً فلا بد من القبول . وإن كان غير عالم وأنت محل فلا بد من القبول .

وقال : الهبة معلمة بحاجة من وهب ، فالواهب يهجوك[1] ، وفي هجوه شرفك ، إذا كان الحق هو الواهب .

وقال : لا تصح الهبة إلاَّ من غني مطلق ، وليس إلاَّ الله .

وقال : الواهب لا يطلب العوض .

وقال : من أعطاك عن سؤال فما وهب لك . ومن أعطاك لتشكره فما وهب لك ، ومن أعطاك ما تستحقه فما وهب ، فأين الواهب ؟ اسم على غير مسمى ، ففك المعمي[2] .

وقال : حاجة الموهوب له تطلب الهبة ، لا واهباً بعينه ، إنما يعين الواهب العلم لا الحاجة[3] .

وقال : الواهب سيد محسان ، فمن رد عليه هبته فقد أساء في حقه ، وجهل قدر الواهب .

وقال : ما أتاك من غير مسألة فخذه وحوله ، فإن رددته فقد جهلت الواهب

---

(١) أي ينسب إليك الفقر والحاجة .

(٢) لا ينطبق اسم الواهب على أحد من الخلق إذن إلاَّ على من أعطى دون مسألة من أحد ، ودون انتظار شكر على ما أعطى ، ودون تعلق حق بالعطاء لمن أعطاه ، ولندرة هذا النوع من الناس قال الشيخ الأكبر عنه اسم بغير مسمى ، أما الله تعالى فهو الواهب مطلقاً .

(٣) لأن الواهب لما تحتاجه قد يكون إنساناً مثلك . فالعلم بالواهب هو الذي يعين الواهب الحقيقي لا الحاجة فالحاجة قد توهب من طريق ظاهر .

ونسبته إلى عدم العلم بك ، فاحذر كائناً من كان .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن خالد بن عبد الكريم

قال : من الكرم تفقد أحوال الإخوان قبل بذل الوجوه .

وقال (ص) : «الكرم قلب المؤمن» وذلك إنه يُقال في «العنبة الكرمة» فنهى (ص) وقال : «عبد الكرم عبد النعمة ، وعبد الكريم عبد المنعم» .

وقال : وسع الحق قلب العبد المؤمن ، ولذلك كان كرماً .

وقال : الكرم من الأخلاق المحمودة ، بمنزلة الرأس من الجسد ، والعلم الإلهي من الإنسان بمنزلة الحياة منه .

وقال : البخل ضد الكرم . فلا تكن كريماً فيكون لك ضد[1] .

وقال : نزهك الحق في ﴿ليس كمثله شيء﴾ . بخلقك على صورته[2] ، فلا تجعل لك أمثالاً وكن أحدياً في ذاتك ، وحدانياً لربك، والوحدانية أتم في حقك من الأحدية .

وقال : كن لله كما هو لك ، ليس منه فيك شيء ، فلا يكن منك فيه شيء .

---

(١) لا يريد الشيخ الأكبر نهي الإنسان عن الكرم ، ولكن يريد خفز المريدين على نسيان عطائهم وعدم اعتقاد الكرم منهم ، واعتقاد التقصير والبخل مهما أعطوا .

(٢) في منهاج العوارف . المنسوب للقاضي عياض . زاد على ما ذكره ابن فورك في تأويل هذا الحديث المشكل . قال : إذا كان الضمير يعود إلى الحق سبحانه وتعالى فيكون فهمه على وجهين :

أحدهما : أن تكون الصورة معنوية لا حسية ، كقولهم : صورة المسألة . وعين اليقين . وما أشبه ذلك من وجوه المجاز ، وحقيقته أن الله تعالى ميزه بالعلم والخلافة ، وأسجد له الملائكة ، وأمرهم بتعظيمه ، وبين لهم شرفه ، وإنه مظهر أمره سبحانه في هذه الصورة . . .

الثاني : أنه أضاف الصورة إلى الله عز وجلّ إضافة الملك للمملوك ، بمعنى إنه هو الذي خلقها واخترعها ، وهو في الحقيقة مالكها ، لا إضافة الهيئة إلى ذي الهيئة . جل الله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

وقال : ليس الحق بظرف لشيء ، وليس بمظروف .

وقال : للتخلق بالأسماء الإلهية مواطن فلا تتعداها ، وللتحقق بها مقامات رجال الله . والأخلاق الجليلة الإلهية فطرة الحكيم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن سليمان بن عبد الجواد

قال : الجواد : للعطش[1] . والجوْد : المطر . والجود : الكرم .

وقال : العطاء قبل السؤال إبقاء ماء وجه المحتاج عليه ، ومن طلب الشكر على ما أعطىٰ فقد طلب الجزاء .

وقال : من جاد بالعطية ولم يخص أحداً من أحد فذلك الجواد ، وذلك الجود .

وقال : الحق موصوف بالجود في الدار الدنيا ، لأنه أعطى الوجود للموجودات . وهو الواهب ، لأنه أعطى لمجرد الإنعام ، لا يريد منكم جزاء ولا شكوراً .

وقال : الجواد حاز نصف الفلك الظاهر ، لأنه أربعة عشر الجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والدال أربعة . فهذا نصف الفلك ، ولا يعطى الفلك أبداً إلاّ بنصفه لا بكله .

وقال : السعادة نصف الوجود ، والشقاء النصف الآخر ، فلا يحكم فضله في عدله ، ولا عدله في فضله . وهي قبضتان ويدان وكتابان ، وداران وحالتان[2] ، جعلنا الله من أهل اليمين .

---

(١) في هـ : العطاء .

(٢) القبضتان حيث قبض الله من صلب آدم من صفحة ظهره اليمنىٰ قبضة ثم فرقها في الجنة ، وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، ثم قبض من صفحة ظهره اليسرى قبضة وقال : هؤلاء في النار ولا أبالي . واليدان اليمين والشمال [أنظر ص ٩٤ من علم القلوب لأبي طالب المكي] نشر مكتبة القاهرة بالأزهر . حيث ذكر كلمتين وقبضتين وخطبتينْ ودعوتين ووقفتين ونظرتين وبشارتين .

وقال : من أعطاك فقد أوجب عليك بالحال شكره وإن لم ينطق ، والشكر جزاء وإن لم يطلبه المعطي . ومن علم ذلك فقد كلف المعطي بالحال والعلم ما لو لم يعطه لم يجب عليه ذاك . ومن كلفك فقد أتعبك .

وقال : شكر المنعم واجب عرفاً وشرعاً .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد السخي

قال : السخاء : العطاء بقدر الحاجة ، من غير زيادة ولا نقصان .

وقال : من سد خلتك فقد وفى لك بما يجب عليه ، فلم يبق لك عليه حق معين .

وقال : ليس السخي من تسخى بماله ، إنما السخي من تسخى بنفسه على العلم .

وقال : لا يصح اسم السخي إلاّ لمن بيده ملكوت كل شيء .

وقال : السخاء هو الميزان الموضوع في الأرض لأداء الحقوق .

وقال : إن عامل الحق عبادة بالسخاء فقد نجوا ، وحصلت لهم السعادة وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم ، اشتروه بنفوسهم ، وإن عاملهم بالجود ضاعف السعيد ، وأسعد الشقي ، وصارت جهنم دار نعيم على أهلها . وإن عاملهم بالوهب فبخ على بخ ، فهو العليم الحكيم .

وقال : إن الله عند حسن عبده به ، فإن ظن به خيراً فقد أطاع أمره ، وإن ظن به غير ذلك فلجهله بما هو الحق عليه .

وقال : لا تعاملوا الحق بالميزان ، فإنه إن سامت القبة كان من أهل الأعراف ، وإن مال إلى أحد الجانبين كان لما مال إليه . فإنه تعالى يعاملكم بما عاملتموه . فاعبدوه شكراً ، واتخذوه ذخراً .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الله بن عبد الفتاح

قال : الفتوح الإلهي مثلث قائم الزوايا . فتح عذاب ، وفتح بركة ، وفتح ابتلاء ، ولا رابع **﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾** ، هذا فتح الإبتلاء .

وقال : إذا فتح عليك في العبارة فقد خيرك ، وإذا فتح عليك في الإشارة فقد حيرك ، وإذا فتح عليك في المعرفة فقد أكرمك . وإذا فتح عليك في العبادة فقد أسلمك ، وإذا فتح عليك في العلم فقد ألهمك . وإذا فتح عليك فيه فقد وحدك ، وإذا فتح عليك فيك فقد أوجدك، وإذا فتح عليك في الفكر فقد وكلك إلى نفسك . وإذا فتح عليك في الذكر فقد اصطنعك لنفسه . وإذا فتح عليك في الفتح فقد اصطفاك . وإذا فتح عليك في الكون فقد جفاك . وليس برب جاف ، وليس برب جاف وليس برب جاف .

بذا ورد الخبر عن رسول الله (ص) : عن الله ، إنه ذكر الحديث وفيه : «إذا توضأ عبدي ولم يصل فقد جفاني ، وإذا صلى ولم يدعني فقد جفاني ، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته ، ولست برب جاف ، ولست برب جاف ، ولست برب جاف» . حدّثني بهذا الحديث الشيخ عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة برباطة ببغداد سنة إحدى وستمائة ثم نرجع ونقول : وإذا فتح عليك في التكوين فقد عافاك ، وإذا فتح عليك في الكل فقد ولاك . وإذا فتح عليك في الجزء فقد والاك . وإذا فتح عليك في الأعواض فذلك عين الإعراض . وإذا فتح عليك في العرض فذلك عين المرض . وإذا فتح عليك في الذوات أقامك في الشبهات ، وإذا فتح عليك في الأين فأنت في العين . وإذا فتح عليك في الزمان أقامك في الآن ، فإنه حد الزمانين . وإذا فتح عليك في الكل أقامك في الحيرة والهم . وإذا فتح عليك في الكيف فقد عرفك . وإذا فتح عليك في الإضافات والنسب كنت ذا نَسب ، وعصمك من الآفات . وإذا فتح عليك في الفعل فأنت الفعل ، أو في الانفعال فأنت الأهل . أو في الشرع كنت في الوضع . أو في الحال فقد كيفك . وبالوجود فقد اكتنفك .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إسماعيل بن عبد القابض

قال : كل إنسان إنما يعبر عن حاله ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر .

وقال : التعبير عن الحال الذوقي محال ، لأنه خارج عن حصر الألفاظ .

وقال : الحضرة حضرتان ليس لهما ثالثة ، حضرة إلهية ، وحضرة كيانية[1] . فالحضرة الإلهية تنقسم بثلاثة أقسام : ذات ، وفعل ، وتنزيه . وكذلك الحضرة الكيانية ، فما زال حكم التشبيه حيث كنت من تنزيه وغيره .

وقال : الرجال أبطال . وإنما سمي البطل بطلاً لبطلان شجاعة غيره عنده وما من مقام في الطريق إلاّ ورجاله بهذه المثابة[2] .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إلياس بن عبد الباسط

قال : لا يصح البسط في المشاهدة أصلاً ، فقول القائل : «أقعد على البساط ، إياك والإنبساط» . إنما يدعي بساط المعاملات الحجابيات ، لأن الهيبة ذاتية للمشاهدة[3] .

---

(١) يعني ظاهرة في الكيان الإنساني، تتجلى فيها الحضرة الذاتية إن عدمت كل الأحاسيس وفني الجسد ، ولم يبق إلاّ الروح الخالص ، وهنا يظهر التنزيه كذلك . وأما الفعل فهو بناء الكيان الإنساني وما يعتريه من أحوال .

(٢) تنبع شجاعة السالكين من داخل نفوسهم ، وتبدأ من مراحل السلوك . فمنازلة المقامات تحتاج إلى شجاعة خارقة ، فحينما يستشرق السالك على المقام في «الاستجماع» يشعر برهبة شديدة ، ويتراجع . فإذا ما حاول أن يهاجم المقام وطرح المخاوف اكتنفه رعب هائل من جميع جهاته يشبه الرعب الحاصل من الإقامة في غار سحيق في جبل موحش في المناطق الاستوائية حيث الرعود والسيول والصمت . فإذا تم للسالك الدخول في المقام أشرق النور في كيانه ، وتمكن فيه .

(٣) مقام المشاهدة مقام بهت وصمت وهيبة ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ ،فإذا كان هذا في حضرة الرحمة ففي حضرة القيومية ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ . أما حضرة التجلي الكلي فإنها تعقل الكيان كله ﴿لمن الملك اليوم﴾ . لا مجيب يستطيع النطق . فيجيب الحق نفسه ﴿لله الواحد القهار﴾ .

وقال : إذا بسطك الحق أو باسطك فقد استدرجك[1] ، فلا تأمن مكر الله في موطن التكليف ، وليس إلاَّ الحياة الدنيا .

وقال : من الأدب الإلهي الذي أنعم به على الأدباء من أهل الله ألا يطلب من الحق إلاَّ على قدر الطالب ، لا على قدر المطلوب منه .

وقال : إذا علمت أنه لا بد من نفوذ حكمه فيك لعلمه بك ، فاجهد في الطلب ، لجواز أن يكون حصول ذلك مشروطاً به . إذا لم تكن على بينة وبصيرة من ربك .

وقال المحجوب : «فرغ الحق من المقادير» . وهذا قول صحيح عند الأنبياء (عليهم السلام) وأهل الطوالع بلا شك . وهو قول البطال أيضاً ، وقول غير البطال من المجتهدين في العبادات . فجاءت الحيرة بما فيها .

وقال : الاستدارج في المعراج الروحاني المعنوي . إلاَّ إن أطلعك الحق على التحول في الصور في كل روح مما تأمن به ، فتعلم عند ذلك إنك ما أحطت ﴿**ولا يحيطون بشيء به علماً**﴾ . ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا**﴾ .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عيسى بن عبد الرافع

قال : الدرجات مقامات عباده عنده ، فعباد الله أهل الرفعة ، لأنهم عباده ، وقدر العبد قدر سيده ، وهو عزّ وجلّ ﴿**رفيع الدرجات**﴾ .

وقال : ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ . فمن كان عبده وعنده لا يقدر قدره .

وقال : الدرجات الإحاطة ، لأنها لذي العرش ، والعرش له الإحاطة ، والمستوى عليه الاسم ﴿**الرحمن**﴾ فرحمته وسعت كل شيء، تقول الملائكة :

---

(١) البسط استدراج لأنه يجر إلى الإدلال ، أو إلى الرضي عن العمل ، وهو مدخل واسع للشيطان يدفع إلى العلو والعلو مشرب شيطاني بلا شك. ولذلك أرشد المتأخرون إلى وجوب الإنقباض عند تجلي البسط وبالعكس .

﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ . وهي ـ أعني الرحمة ـ بين وجوب وامتنان .

وقال : العرش : الملك والمنازل . والدرجات : مناصب في الملك . أعلاها منصب النيابة العامة إلى ما دون ذلك ، وأدناها نيابة الإنسان على جوارحه وما بين ذلك .

وقال : ثالثاً : ﴿ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً﴾ . فتسخير بالأمر وهو تسخير الأعلى من هو دونه ، وتسخير بالحال وهو تسخير الرعايا مليكها في الذب عنهم ، وتسخير بالدعاء والسؤال والتضرع ، وهو تسخير العبد سيده ، وصفة الأمر واحدة .

السيد يأمر عبده ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ . والعبد يأمر سيده ﴿أعف عنا﴾ ﴿إغفر لنا﴾ ﴿إرحمنا﴾ ﴿أنصرنا﴾ ﴿لا تؤاخذنا﴾ ﴿لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ . وتسخيرات الوجود كثيرة مفردة ومشتركة أتى بها القرآن العزيز .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يحيى بن عبد الخافض

قال : الخافض قد يخفضك ليرفعك ، وما كل خفض يتضمن رفعه إلاَّ الخفض المشروع .

وقال : إخفض لأبويك جناح الذل من الرحمة ، والدليل ما زال مخفوضاً ، ولذلك قال : ﴿من الرحمة﴾ ليعلمك أي خفض ذلك عليه .

وقال : ﴿ما من دابة إلاَّ هو آخذ بناصيتها﴾ . والأخذ بالنواصي إذلال بالمأخوذ ، والأخذ بالأقدام مثله ، ومن أخذ الحق بناصيته فهو بحيث يد ربه ، ويد ربه لها العلو ، فالأذلاء هم الأعلون ، إذا شاهدوا الأخذ ، فما من دابة إلاَّ ولها حظ وافر في الرفعة الإلهية .

وقال : من تواضع لله من أهل الله فقد شهد لنفسه إنه شاهد لله ، والله يرفعه من أجلهم .

وقال : الميزان الإلهي بيد الحق ، يخفض به قوماً ويرفع به آخرين . ولا تزنهم إلاّ أعمالهم . فمن رجحت وثقلت كفة عمله ارتفع إلى عليين ، ومن خفت كفة عمله ارتفعت [هي] ونزل هو أسفل سافلين .

وقال : الميزان العقلي إذا كان بيد الحق أصاب ، وما أخطأ من يزن به . وإذا كان بيد العقل قد يصيب وقد يخطىء . وإذا كان بيد الطبيعة عند المؤمن فيصيب وما يخطىء ، وإذا كان بيد غير المؤمن كان خطؤه أكثر من إصابته .

وقال : لسان الميزان أنت . في وقت ترجح بالتافه ، وتخف بزواله ، فمن خف ميزانه به ربح إذا كان هو يزن أعماله في الكفة الأخرى .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن شيث بن عبد المعز

قال: المعز من أعزك بذاته إذا كان عزيزاً ، فإن لم يكن [في] مقام العزة أورثك الذل استنادك إليه .

وقال : المكر السيء لا يحيق إلاّ بأهله ، فإن الماكر من أهله حاق به .

وقال : للمكر خزائن في السموات ، ولا بد لمن خرج عن أصله أن يرجع إليه ، فلا بد لمن حاق به المكر أن يرجع إلى السماء ، ومن فتحت له أبواب السماء دخل الجنة .

وقال : الله قد أبان : أن من عز هان . ولو كان في العيان .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الحكم

قال : الرضا بالقضاء واجب على كل مؤمن ، والرضا بالقضاء واجب عقلاً على كل عاقل إذا كان صاحب كشف .

وقال : من علم ما لا بد من وقوعه فلا يتلقاه إن كان صاحب مقام وعلم إلاّ

بنفسه ، وإن كان صاحب حال فيتلقاه بربه ، فيكون ناقص العلم ، ومن نقص علمه نقص أدبه .

وقال : الإنصاف صفة أهل العدل في حقهم وحق غيرهم .

وقال : من نظر إلى الأسماء بنفسه كان عالماً ومن نظر إلى الأسماء بربه كان حاكماً ، ومقت بعضها .

وقال : معرفة الأوقات دليل على الكمال .

وقال : الشهود حجاب ، والحجاب عين الكشف في حق المحجوب ، لأنك لا تعرفه حجاباً إلاَّ أن تعرف أن ثم محجوباً .

وقال : الأسماء حجاب المسمى ، لأنها تؤثر في الأحدية ، لاختلاف حقائق الأسماء .

وقال : الأسماء إن كانت من عالم تركيب الكلمات تكثرت ، واستعيذ بها منها ، وإذا لم تكن مركبة من عالم [الكلمات] كانت العين واحدة .

وقال : الأسماء المترادفة واحدة وإن اختلفت المعاني . والمتباينة أعيان كثيرة ، والمتواطئة قريبة من المتباينة ، ولها نسبة في كل واحد بغيرها ، والأسماء المشتركة أعيان كثيرة في عين واحدة ، والأسماء المشتبهة تطلب الصفة .

إني رأيت أموراً في المنام وما ... فيها تنازعنا إلاَّ تفكرنا
فإن كفرت فإن الكفر ليس لنا ... وإن شكرت فإن الشكر يشكرنا
فما ذكرتكم إلاَّ نسيتكم ... وإن تذكرت فالمعنى يذكرنا
النوم موت ولكن لست أعرفه ... فإن شعرت به فالحق يشعرنا
فإن جهلت الذي أبدى فإن لنا ... رباً كريماً بما في الحال يخبرنا
تالله ما ملكت نفسي ولا بدني ... ولو ملكت سواه كان يملكنا
بما لنا فيه من فكر وتبصرة ... ولو تأخرت عنه كان يهلكنا
الله أكبر لا أبغي به بدلاً ... وكيف أبغي وعين الشأن أنفسنا
حبست نفسي عليه إنه سندي ... وإنه بوجودي عنه يحبسنا
لو لم يكن لم أكن لو لم أكن ما بدا ... كون بما عندنا منه يعرفنا
فنحن نعرفه وقتاً ونجهله ... في كل حال لنا والحق يعرفنا

هـو الـرداء لـنـا إن كـان يستـرنـا عـن المكـاره فـالـرحمـن يلحـقنـا
بـه كـمـا بـوجـود الحـق يـلحـقـه ومـن عنـايـتـه بـالكـون يتحـفنـا
إذا نـظرت بعيـن الحـق فيـه تـرى بـه يـجـمـعنـا فـيـه ويـفـرقـنـا
فـإن تبـدت إلـينـا صـورة فبـنـا نـرى الـذي قـد بـدا منـا ويلحقنـا
أقـول قـولـي وإن القـول أصـدقـه مـا كـان عنـه فـإن الخلق يكـذبنـا
إن الهـوى هـو عيني وهـو معتقـدي ولـيس غـيـري سـواه إذ يـقـوم بـنـا

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن خليل بن عبد الخبير

قال : الخبرة علم فاضل عن ذوق وهو الحق ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ . فمن هذا الاسم الخبير اختلفت الأحوال ، فاختلفت التعلقات .

وقال : الإدراك عن التجلي الأول ذوق ، و[كذا] عن التجلي الثاني . فما زاد فهو شرب . وعند المحقق الكل ذوق . . لأنه ما ثم تجل يتكرر . . بل الأولية تصحب كل تجل .

وقال : أهل البلاء يتوجه عليهم الاسم الخبير لا غيره .

وقال : ما تجلى الله لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك[1] .

وقال : لله من اسمه الخبير أسرار بعدد أعداد الحروف عند العموم ، وذلك أحد وثلاثون سراً من أسرار الإلهية والمعارف .

وقال : الإبتلاء يوزن بجهل . . ولا جهل . . فيكون إذن لقيام الحجة على المدعي . . فما هو إبتلاء . . وإنما هو في الحقيقة بروز سر القدر سموه إبتلاء .

وقال : ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ . . أي : خبير . . وذلك لما كان سؤال إبتلاء منهم . . ليروا مكانتهم من العلم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

---

(١) وإنما يحجب الإنسان عن شهود تجليات ربه من كدر المخالفات الذي سماه القرآن الكريم «الران» .

قال : الحفيظ من حفظ نفسه وغيره . . كالخمسة من الأعداد ، تحفظ نفسها ، وتحفظ العشرين .

وقال : الحفيظ من حفظ الله به خلقه . . فالأسباب حفظة . . وما ثم إلاّ حافظ . . فما ثم إلاّ سبب[1] .

وقال : إذا غضب الحق لغضب خلقه المتحقق به فما يغضبه إلاّ اسمه الحفيظ .

وقال : الحفيظة ، الغضب . . فمن أحفظك فقد أغضبك .

وقال : **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** . . من الزيادة والنقص . . فلا تبديل ولا تغيير . . قرآن مجيد محمدي[2] .

وقال : في أهل الكتاب : «بما استحفظوا عليه» . . فوكلوا لحفظه . . فبدلوا وغيروا . . فإن كنت قرآناً كنت محفوظاً بحفظ الله . . وإن كنت توراة أو إنجيلاً ، أو غير قرآن من الكتب المنزلة ، وكلت إلى حفظ المخلوق . . وضعت وتلفت .

وقال : من حفظ قلبه من أن يكون بيتاً لغير الله . . تولى الله حفظه من كل ما يشغله عن الله . . عناية به من الله . . وجزاء لعمله .

وقال : من حافظ على أداء العبادات ذاق طعم العبودية . . ومن لم يحافظ عليها لحق بالأخسرين أعمالاً .

وقال : لا يشغلنك عن حفظ ما كلفت بحفظه شاغل . . فإن أنت فعلت حفظك الله بما حفظ به الذكر .

---

(١) ما ثم إلاّ سبب في عالم الفرق وما ثم إلاّ حافظ في عالم الغيب والجمع . . فالأسباب قائمة . . والحافظ قائم . . والحفيظ ـ كما مر ـ يحفظ نفسه وغيره فهو القائم على الأسباب . . والأسباب به لا بنفسها . . لأنه تعالى يبطل فعل السبب أحياناً . . كما أبطل فعل النار في الخليل . . وأبطل فعل السبب عند المصابين بالعقم . وهكذا .

(٢) هذه النسبة حقيقة من جهة الحفظ لا من جهة التنزيل . . لأن حفظ القرآن من التبديل امتد من الحافظ جل جلاله إلى سبب الحفظ ، وهو الرسول محمد (ص) .

وقال : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ .

وقال : ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ . فالحفظ : العلم . من حفظ الله به على علم منه . . .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن زيد بن عبد المقيت

قال : الله يقدر الليل والنهار . . فمن قدر الأوقات قدر الأقوات .

وقال : من نظر في المقادير علم المقادر .

وقال : من ضيق ضيق عليه . . ومن وسع وسع عليه .

قال النبي (ص) : «لا توكي فيوكي عليك» .

وروينا عن رسول الله (ص) إنه قال : «أنفق بلال ولا تخف من ذي العرش إقلالاً» .

وقال : من تدبر الفاتحة علم أنها الفاضحة . . فإنها ناصحة . . تجمع بين الثناء والتفويض . . والتشريف والتحميد . . والدعاء المستجاب .

وقال : أسأل العون من الله . . مادام الكون ينظر إليك .

وقال : عليك بالعبادة والشكر . . فإن الشكر يمنحك الله به الزيادة من النعيم . . ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ .

وقال : العبادة تورثك العز الذي لا يرام .

وقال : الهداية إلهية . . والمعرفة ربانية . . والطريق إلى الله في غاية الاستقامة . . والتحريف استقامة .

وقال : إستقامة القوس تعويجه .

وقال : الإقتداء بمن أنعم الله عليه هو المطلوب .

وقال : كل من ضل ذل . . وإذا حار اهتدى . . فإن الحيرة توجب له

السؤال . . ومن سأل أرشد . . ومن سلك ما أرشد إليه فقد اهتدى . . وهو صاحب الصراط السوي إلى المقام العالي . . وهو الوالي الحميد .

وقال : حروف المعجم مبهمة . . والقصد الإفصاح والإفهام . . فمن أعجم فقد أفهم . . ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ . قال (ص) . . «إنما أنزل القرآن بلساني . . لسان عربي مبين» . . ﴿**إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا**﴾ . . ومن ألحد فقد أخلد . . [أي] : لصق بالأرض . . ﴿**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ .

وقال : الإشارة أفصح من العبارة ، فإن العبارة تفتقر إلى علم الإصطلاح . . وليست الإشارة كذلك .

وقال : «إني» ضمير المتكلم . . و «أنت» ضمير المخاطب . . وإنه لمن غاب . . فلفظة «إني» للاتحاد . . و «إنك» للحضور والمشاهدة . . فافرد ، فإنه الفرد . . وإنه عنيت محق ، ولا يلحظ .

وقال : كل من أراد أن يكون [الله] له فله سعيه . . وإنما أنت لمن يريدك . . فإذا هديت إليه أرادك عن كشف .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إسحاق بن عبد الحسيب

قال : المعطي يكافأ ، وإن كان مكتفياً ، وأعطى الفضل مما عنده . . والمبتلي يعاني ، لننظر هل يشكر أم يكفر . . فإن شكر زيد فيما شكر بسببه . . ﴿**ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ .

وإن كفر زاده الله مرضاً إلى مرضه . . ﴿**فإذا أنزلت سورة**﴾ . ونزولها اليوم تصورها في القلب . . وتلاوتها باللسان . . فأما المؤمن فإذا سمع التالي يتلوها تزيده إيماناً بما نزلت فيه إلى إيمانه . . وتكون له تجديداً بشرياً .

وأما المريض القلب ، وهو الذي يشك فيها ، هل هي من عند الله ، أو ليست من عند الله ، فإذا سمع التالي يتلوها تزيده مرضاً إلى مرضه . . ورجساً إلى رجسه إلى أن يموت أو يتوب ، فيتوب الله عليه .

وقال : ﴿كفى بالله حسيباً﴾ . . وكفى الحسيب رقيباً . . وكفى الرقيب حفيظاً . . وكفى الحفيظ شهيداً . . وكفى الشهيد خبيراً . . وكفى بالخبير عليماً .

وقال : لا يتكرر الحساب من التكريم . . فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة .

وقال : من كرمه عزّ وجلّ إن جعلك تحاسب نفسك في الدنيا . . ما كلّف أحداً بحسابك . . فعجل لك ما أخره في حق غيرك . . من قوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ .

وقال : السعيد من إذا صلّى العشاء الآخرة جعل صحيفة أعماله في ذلك اليوم بين يديه ، ونظر فيها . . فإذا رآى ما يطلب الشكر شكر . . وما يطلب الاستغفار استغفر . . وما يطلب التوبة تاب . . إلى أن يفرغ .

ثم يطوي صحيفته وينام على شكر واستغفار وتوبة . . يفعل هذا كل ليلة . . فإنه لا يدري متى يفجؤه الموت .

هكذا كان فعل شيخنا أبي عبد الله بن المجاهد بإشبيلية .

وجلس مجلس تدريسه ، شيخنا أيضاً «أبو عبد الله بن قسوم» ونعم ابن قسوم . زاد على شيخه في الاجتهاد وأربى ، والتزم هذه الطريقة ، أعني محاسبة نفسه في كل ليلة ، وكنت كثيراً ما أغشاه ، ويوصيني في ديني (رحمه الله) .

وعلى هذه الطريقة أيضاً رأيت «أبا عمران موسى بن عمران الميارتلي»[1] من أكابر أصحاب الشيخ «أبي عبد الله بن المجاهد» المذكور وكان لديه أدب كثير وطلب . ومما أنشدني لنفسه من أبيات له خرجت من خاطري . في هذا الوقت ، وهي لزومية كتبها لي بخط يده (رضي الله عنه) .

فأنت ابن عمران موسى المسي ء ولست ابن عمران موسى الكليما

وكنت يوماً بمسجد الرضى بإشبيلية . ويعرف ذلك المسجد أهل البلد بالكنيسة المرجومة . فالتزمت هذه الطريقة ، ورأيت لها بركة ، أعني محاسبة النفس .

(١) توفي عام ٦٠٤ هـ . وكان ملازماً لمسجده في إشبيلية منقطعاً عن الناس ، لا يلتفت إلى الملوك حين يزورونه ، وعنه تلقى ابن عربي طريقه تلقي الإلهامات ، وسماه سيد وقته .

وقال : الحساب عذاب حاضر ، فإن حاسبت أحد في الدنيا على شيء فلا تناقشه ، وتجاوز . فبذلك يجازيك الحق ، فإن عملك يرد عليك . فإن الله لا يجمع له أمنين . فمن خافه في الدنيا ، آمنه في الآخرة ، ومن آمنه في الدنيا خافه في الآخرة ، بذا ورد الخبر النبوي ، فما تريد أن يفعل معك من أمرك ونهاك ، فافعله مع خدمك وإلزامك ممن لك حكم عليهم ، ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ .

وإن حاسبت ـ ولا بد ـ فلا تناقش وتحاقق . لأن حضرة جود الله لا تحتمل المناقشة ، فلا تناقش ولا تحاقق ، وافعل كما يفعل الكريم .

للخير يقظان ذو انتباه عن شره غافل نؤوم

وقال : من مقت ، عباد الله ، مقته الله .

وقال : يقول الله يوم القيامة للمشركين : ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ . وفي هذا رائحة دلالة على أن خلق أعمال العباد لله تعالى ، وهو صحيح .

وقال : إن الله يوم القيامة يتجلى في اسم الحكم العدل ، فيتولى الأمور بنفسه ، فلا تخف إلاَّ من جورك أن يعود عليك ، فإنه عزّ وجلّ سريع الحساب .

ومنهم (رضي الله عنه) :

* * *

عبد الله بن كامل بن عبد الجليل

قال : لا يعرف قدر الجليل إلاَّ الجليل . ولا يحجب بكونه من الأضداد .

وقال : شرف الإنسان في عبوديته لله تعالى ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ وهو محمد (ص) . فلا تحقر[1] .

وقال : ﴿الله خالق كل شيء﴾ فكل شيء عظم . فإنه ما احتقره إذ خلقه .

وقال : الأديب يأكل مما يليه ، إذا كان الطعام لوناً واحداً ، وإذا اختلفت

---

(١) كل عمل عظيم في القرآن مسند إلى عبودية الرسول (ص) . ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ .

الأطعمة جالت يده في المائدة ، حيث شاء ، فإذا وقع بما يشتهيه من الأطعمة ، فهو أنفس طعام عنده ، واعتكافه عليه ، وأحبه إليه . أحسن الأطعمة ما يوافق كل مزاج ، فأكمل الشرائع شريعة محمد (ص) ، لعمومها .

وقال : كل الصيد في جوف الفرا .

وقال : من عظمت أفعاله عند الله وجلت ، غمضت[1] أسراره ، وعمت أنواره وكلمته ودعوته ، ذلك الجليل الذي لا يقدر قدره .

وقال : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ بجلالته في نفسه . وإنما كان الجليل من الأضداد حتى يعم الصغير والكبير ، والعظيم والحقير . فتعم رحمته ، فإنه الرحيم الغفور ، ذو الفضل العظيم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن شاكر بن عبد الرحيم

قال : المراقبة تفيد العلم بالمراقب بدقائق الأمور ، وما يخطر في النفوس والهواجس ، وإذا شكر الله عليها ، وقعت الزيادة من الحق ، فيما فيه سعادته ، وإنه ما شكر إلاّ من كونه علم ما جهله غيره ، ويفتح الله عين بصيرته ، ويزيده علماً بنفسه فيزداد علماً بربه .

وقال : الرقيب من راقب أنفاسه ، فإذا خرج النفس من القلب إنما يخرج بصورة ما في القلب من الحديث والخاطر ، فاحفظ قلبك من كل خاطر [لا] يرضاه الله منك ، فإن الخواطر عند أهل المراقبة كالأفعال التي تجري على أيدي العباد في الظاهر، وهم عنها يسألون، ومن دقق دقق عليه، مع أن الحق تعالىٰ هو الذي يخطره لك ، فإنه الخالق له في قلبك ، ولكن يسألك عنه ، ولا يحاسبك على الخاطر الأول أبداً ، وإنما الخاطر الثاني ، فما زاد الأتي [وهو] من صورته عنه يقع السؤال .

وقال : الدنيا أم رقوب .

---

(١) في الأصل : وغمضت .

وقـال : الرقيب مـلازم باب القلب ، بـل هو بـوابه[1] ، واللسـان﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾ .

وقـال : على القلب ملك رقيب ، وشيـطان رقيـب . والله على كـل شـيء رقيب . . فـالـرقيب الشيـطاني ، ينـظر أوقـات الغفلة من العبـد ، والـرقيب الملكي يلتمس الحضور من العبد مع الله . فإن نـسي ذكـره ، وإن عمل أعـانه ، وإن جهـل علمـه ، وإن غفل ألهمـه ، وإن اتقـاه في كـل ذلـك أكـرمـه ، والله تعـالىٰ عليهمـا رقيب ، ينظر ما يصنعان مع عبـده . والعبد متـردد بين اللمتين ، لمة الملك ، ولمـة الشيطان ، يفعل الخيـر ما يفعله ، ويفعـل الشر مـا يفعله ، فالشيـطان يطلب بلمتـه أن يحول بين العبد وسعادته ، والملك يـطلب بلمته أن يحـول بين العبـد وشقـاوته . وهو لما قبل ، والفعل يصـدق ذلك أو يكـذبه . والله المستعـان ، ولا حول ولا قـوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن اليسع بن عبد المجيب

قـال : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعـاه﴾ . ومـا خص دنيـا من دين . وإنمـا كانت الإجابة لحال اضطراره . . ولا تغتر بعد هذا الذي نبهتك عليه .

وقال : نظر الحق إلى الأحوال ، ما هو نظر إلى الأقوال والأفعال .

وقال : العبد الحقيقي الواقف مع عبوديته لا يتصور منه إبـاية فيمـا يدعـوه إليه سيده . وعبوديتنا لله حقيقة لا يصح فيها حرية ، ولا يزيلها عتق ، فـإنه لا عتق فيهـا بوجه من الوجوه .

وقال : العبد المشتـرك ، ينعتق منه مـا ملكه الكـون ، ولا ينعتق منه مـا ملكه الحق ، بل يرجع منه ما ملكه الكـون إليه بحكم الميـراث إذا مات سيـده ﴿إنا نحن نـرث الأرض ومـن عليهـا﴾ فجـاء بمن ، ومن تقـع على من يعقـل ، ﴿وإلينـا يرجعون﴾ ، فالعبد وما يملكه لسيده ، وولاؤه له ، فإن العبودية صحيحة .

---

(١) في الأصل : توابـه .

وقـال : من أجاب دعـوة الحق إذا دعاه بلسـان الشـرع ـ ولا يـدعـوه إلاّ بـه ـ أجابه الحق فيما دعاه فيه . . فقال لعبـاده ﴿استجيبوا لله وللرسـول إذا دعاكم﴾ فـإنه سبحانه ما يدعوكم هو ورسوله إلاّ لما يحييكم .

وقـال : قد علمتم ، وتقـرر في عقـدكم . . أن بيـده عـز وجـلّ ملكـوت كـل شيء ، وأن له الحكم في كل شيء .

وقـال : إليه يـرجع الأمـر كله فاعبـده يا هـذا السامـع ، وتوكـل على الله فيما دعاك إليه ، فإنه ليس بغافل عن أعمال عباده .

وقـال : من أجاب إذا دعي بحجـاب إذا دعـا ، يجيبـه ربـه إذا دعـاه ، فـإنـه أجابه حين دعاه على لسان رسوله (ص) .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن أيوب بن عبد الباعث

من كـانَ في المجلى لما ينجلي	يكـون في الفعـل لمن ينفعـل
وإنـه الـفـاعـل سبـحـانـه	والكـون عن قـدرتـه منفعـل
ويستـقـل الحـق في فـعـله	والعبـد بـالفعـل فمـا يستقـل
مـن يكـن النقصـان من ذاتـه	كـمـالـه في ذاتـه مستحيـل

قال : الراحة كل الراحة إذا بعثت أحـداً في حاجـة ، فلا تنتـظر وصولـه إليك بهـا ولو غـاب سنة ، وإذا جـاءك فلا تقـل له مـا الذي أبـطأ بـك ؟ فـإن جـاء إليـك بحـاجتك ، فمـا أبطأ بهـا إلاّ وقتها ، لا من بعثتـه ، وإن لم يجيء إليك بهـا فاعلم أن وقتها ما حان ، تكن مستريحاً من تعب الانتظار .

وقال : الأشياء مرهونة بأوقـاتها ، فـلا تلم من سألتـه ، ولا تلم الوقت ، فـإن الأوقـات تتشـابـه ، فـإنـك إن لمتـه لمت عين الـوقت المعلوم لقضـاء الحـاجـة وحصـولها ، واتصفت في ذلـك بعدم الإنصـاف ، فاحـذر من اللوم ، فإنـه ليس من مذهب أهل الله . وإن غلب عليك الضجر ، فـأعلم أنك بشـر ، فإن هـذا العلم هو الدواء النافع ، وعليه دل الله ورسـوله (ص) ، فقـال له ﴿إنمـا أنا بشـر مثلكم يوحى إلي﴾ فما زاد على أمثاله إلاّ بالوحي الذي فيه إنه نبي فاعلم ذلك .

وقـال : إياك والحنث ، فـإنـه مهلكـة ، فـإن الله نهى عنـه نبيـه لمـا أقسم أن يضرب أهله فقال له ﴿وخذ بيدك ضغثاً فـاضرب بـه ولا تحنث﴾ ومعلوم إنه مـا أراد الضرب المؤلم ، ولكن وقع إبرار القسم بما ذكر .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عيسى بن عبد الوارث

قـال : أقرب النـاس إليك من ورثـك[1] ، فأقـرب النـاس إليـك أهـل دينـك وملتك وكذا من ترثه .

وقـال : قـال الله : ﴿إنـا نحن نـرث الأرض ومن عليهـا﴾ وهـو قـولـه في القرب : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ .

وقـال : ﴿إن الأرض لله يورثهـا من يشـاء من عبـاده والعـاقبـة﴾ وهي الآخـرة ﴿للمتقين﴾ .

وقال : التقوى بنسب الله .

وقال : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فاعلم .

وقـال : العالم وارث النبي ، أي نبي شـاء الله ، ولا ميراث هنـا إلاَّ بـالعلم ، فهو محصل علمه بالله ، إلاَّ بما شرعه ذلك النبي لعباد الله من أمته .

وقـال : عيسى بن مريم ، لا ابن فـلان ، إلاَّ أن جبريـل ، وهو الـروح الأمين تمثل لها بشراً سوياً ، فوهبه لها بنفخـة غلامـاً زكياً ، فـزكاه الله ، وصحت المنـاسبة بالتمثل .

وقـال : لكـل إنسـان من اسمـه نصيب ، فتسمـوا بـأسمـاء الأنبيـاء (عليهم السلام) فالتسمية بأسمائهم أعظم بعد العبودية ، في التمام والكمال .

وقـال : أحب الأسمـاء إلى الله . عبـد الله وعبـد الـرحمن . وأصـدقهـا ، الحارث[2] ، والهمام ، وأبغضها «شاهنشاه» .

---

(١) في الأصل : من يرثـك .

(٢) في الأصل : الحرث . والعرف يقتضي ما أثبتناه .

وقال : «سفيان بن عيينة» : يريد ملك الملوك ، وما ملك الملوك إلاَّ الله ، فلا يحتمل المزاحمة اللفظية ، فإن المزاحمة المعنوية لا تصح .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إلياس بن عبد الشهيد

قال : إن ركبت شهوتك فقد ملكتها بركوبك إياها ، فإنك قادر على كبحها[1] بلجام التقوى .

وقال : لا تكن حركتك إلاَّ عن إرادة ، لا عن شهوة ، فإن الشهوة حظ الأنفس ، فكن في الدنيا[2] صاحب إرادة[3] ، وفي الآخرة صاحب شهوة . تكن سعيداً في الدارين .

وقال : الشهوات شبهات ، فاجتنبها في دار التكليف .

وقال : ركوب النار هناك . هناك .

وقال : من ركبته حكمته ، ومن ركبك حكمك .

وقال : كن حاكماً ولا تكن محكوماً عليك إذا كان الحاكم النفس ، فإن كان الحاكم الشرع ، فكن له محكوماً هنا ، تكن في الآخرة حاكماً .

وقال : لا تذر أحداً يدعوك . انظر إلى ما يصلح بالحضرة ، وما تعطيه الحال ، فأته .

وقال : لا تحوج الداعي أن يدعوك إليه مطلقاً ، فإن دعاك مقيداً ، فهو الدعاء ، الذي يسعدك عند الله ، فأجبه .

وقال : الحق ما يدعوك إلاَّ بلسان شرع نبيك في هذا الزمان ، وهو شرع

---

(١) في الأصل : ركجها . وهو تحريف ظاهر .

(٢) في الأصل : فكر في الدنيا . وهو تحريف ظاهر .

(٣) المقصود بالإرادة توجيه الحركة نحو الله تعالى ، ورجاء الثواب منه لا من غيره ، وتشمل الحركة جميع الحركات العبادية المفروضة والمسنونة ، والحركات العادية كالمشي والأكل واللباس .

محمد (ص) ، فإن دعاك بلسان غيره من الأنبياء (عليهم السلام) ، فانظر فيما دعاك به إليه ، فإن كان في الشرع المحمدي فهو دعاء إمتثال وعناية ، وإن لم يكن في الشرع المحمدي فهو دعاء إبتلاء . فاحفظ وميز .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن أحمد بن عبد الحق

قال :

لله قوم لهم في كونهم قدم ... وما له في صفات الخلق من قدم
الاشتراك بألفاظ أتاك بها ... وعند تعيينه جوامع الكلم
سبحانه وتعالى أن يحاط به ... علماً فتضبطه الألباب بالهمم
إني أمر من عباد الله مصطنع ... له وإني أهل الجود والكرم
وليس يعرفني جن ولا بشر ... ولا ملائكة الرحمن في القدم
وكيف يعرف من بالعلم غيبني ... وهو الحكيم الذي يأتيك بالحكم
وكيف تجعله والعين تشهدني ... هيهات هيهات . إن الأمر في بهم
فالجهل عند ذوي الأفهام معرفة ... والعلم عند أولي الألباب في علم
. . . . يكون عبداً تراه غير محتكم
إن قام قام به إن قال قال به ... تلقاه إذ يتلقى غير محتشم
لله في كل عبد سر معرفة ... به منزهه لله محترم
. . . . ما نال عبد له تحلة القسم
حتماً عليه قضاء الله سيدنا ... على عبيد بحبل الله معتصم
فكيف حال عبيد ماله سند ... في ذلك اليوم غير الشرك والصنم
. . . . جاءت على الرأس تمشي لا على القدم
لكنها جهلت أمراً يراد بها ... فالحمد لله ذي الآلاء والنعم
إني قد أصبحت في بيضاء واضحة ... صباح عبد يمين الله مستلم
. . . . يمضي الأمور بعزم غير مهتضم

قال : من كان مؤمناً فهو منصور من الله بلا شك على عدو الله وعدوه ، وهو

إبليس ، فإنه العدو المحقق بإخبار الله ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فأوجبه على نفسه .

وقال : من التزم الحق في جميع حركاته وسكناته فقد عرض نفسه للبلاء في الدنيا ، والعافية في الآخرة .

وقال : الزم الحق ، فإنه يدفع الباطل [و] لو بعد حين .

وقال : أعط الحق نفسك ، وسامح غيرك في حق نفسك ، لا في حق الله ، ولكن لا بد لك من فارق بين الحقين ، واستفت قلبك ، وإن أفتاك المفتون .

وقال : احذر من حذاذات القلوب ، وما تحرك في الصدور .

وقال : قل الحق . ولو كان عليك . فيما أمرت أن تقول ، وإن أمرت بستر الحق عندنا ، إلّا لتبلغ ما شرع الله لنا أن نبلغه .

وقال : اتبع الأحمد والأولى من الأفعال ، تأمن عواقب الأُمور المهلكة .

وقال : حمد الحمد ، أتم المحامد ، وهو سر الله[1] . وذلك أن تكون الصفة المحمودة ، صفته من جملة صفاته .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد اللّه بن محمد بن عبد الوكيل

قال : المقام المحمود ، الحاصل بالورق لمن حمدت أفعاله وأقواله وأحواله . فدخل مدخل صدق ، وخرج مخرج صدق ، وجعل الله له حجة على من ناظره ، ونصره على من عاداه ، وذلك الرسول (ص) بالقطع ، ومن كان من أمته بغلبة الظن .

---

(١) قال أمير المؤمنين سيدنا علي (كرم الله وجهه) في افتتاح إحدى خطبه :
«الحمد لله الذي جعل الحمد من غير حاجة منه إلى حامديه ، وطريقاً من طرق الاعتراف بربوبيته ، وسبباً إلى المزيد من رحمته ، ومحجة للطالب من فضله» (مستدرك نهج البلاغة ص ٧٩ ، طبع بيروت) .

وقال : إن أردت أن تسلك إلى الله سبيلاً ، فلا تتخذ غيره وكيلاً وإن اتخذته ابتداء كنت سعيداً . وإن اتخذته تعالىٰ عن أمره ، أديت واجباً . فجازاك جزاء من أدىٰ الواجب ، وهو أعظم الجزاء .

وقال : أداء الواجبات ، عبودية محضة . ونوافل الخيرات ، فيها روائح المنن .

وقال : إن كنت كفيلاً ، كنت رئيساً . وإن كنت وكيلاً ـ اسم مفعول ـ كنت مرؤوساً تحت أمرين ، وإن كنت وكيلاً ـ اسم فاعل ـ كان الحق نائبك ، فأصبت خيراً عظيماً ، فإن الله له الحجة البالغة . واجعل توكيلك إياه تعالىٰ أمره ، فإنه أعلم بمصالحك منك بها .

وقال : إن الله جعلك مستخلفاً عنه فيما هو لك ، وأمرك بالإنفاق منه ، مع كونه تعالىٰ غير محتاج إليه ، فاصرفه في الأمثال من جنسك .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن المتوكل بن عبد المتين

: إذا لم يكن في الوجود إلاّ الله ، فمن يتوكل ؟ فالمتانة القوة في الاعتماد على الله ، ولهذا قال ﴿ذو القوة المتين﴾ .

وقال : ما جاءت المتانة إلاّ في الرزق ، لتصح[1] الثقة من العبد بالرزاق .

وقال : لا تحجب بالسعي والكد على العائلة . وتجعلهم حجة ضعف يقينك . إن كنت تقول الحق فأطعم ممن تخدم من أجله ، أو لا تطعم ، فإن طعمت فضحت نفسك ولم تصح[2] دعواك إن أنصفت[3] .

وقال : الحرفة حجاب على أعين الناظرين ، وعلى عين المحترف ، ولا

---

(١) في الأصل : ليصح .
(٢) في الأصل : ولم يصح .
(٣) ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فإن طعمت من رزق العائلة، لم تصح دعواك بأنك تجاهد في سبيل رزقهم ، بل هم سبب رزقك ، لا مجاهدتك في التحقيق .

يرفع ذلك الحجاب حتى يتناول من كدك شيئاً [1] .

وقال : لا تأكل ممن يعرف أنك معتمد على الله ، فإن معرفته بذلك من جملة الأسباب التي تجلب الرزق ، بقول بعضهم : لا أطعمه لله ، أي من أجله . فنفي الحق هذا فقال : ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق﴾ فجاء ببنية المبالغة ، ذو القوة المتين ، فلا تنفذ فيه سهام الدعاوى ، لمتانته وقوته .

وقال : الاعتماد على التوكل على الله تعالىٰ سبب ، وترك الاعتماد على الله كفر ، ولا بد أن يقام العبد في أحدهما ، فانظر كيف تخلص [2] !!! .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الولي

قال : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ .

وقال : هذه بعدية الأحوال ، لا بعدية المسافات .

وقال : من نصره الناصر ، فهو منصور ﴿تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ .

وقال : ﴿فلله الحجة البالغة﴾ ولكن قل من يعرف من عباد الله إنها بالغة إلاَّ من عرف أن العلم تابع للمعلوم . وأن العلم لا أثر له في المعلوم ، بل يعرف أن لا أثر للمعلوم في العلم بقوله : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ .

أولاً : إن ذلك الجناب ، ما نتحرك ذرة إلاَّ بإذنه ، ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ .

---

(١) أي من كدك في سبيل المعرفة شيئاً منها بوقفك على الحقيقة ، ويزيل الحجاب .

(٢) التخلص من ذلك أن تقوم فيما أقامك الله فيه . ولا تحاول أن تحول نفسك من سبب إلى سبب بنفسك ، وأن تلاحظ أن السبب قائم بالله ، وليس فاعلاً بذاته ، فتجمع بذلك بين السبب والتوكل .

وقال : لا يعلم ما قلناه ، إلاَّ من فرق بين العلم وبين تعلقه ، فالتعلق يحدق في العلم بحدوث المتعلق . فإن من علم زيداً قاعداً في حال قيامه ، فما هو عالم . فإن علم إنه يقصد مستقبل حاله ، فذلك عالم . فافهم . ما حدث هنا إلاَّ التعلق ، والماضي والمستقبل في حق من يجري عليه الأزمنة .

وقال : علم الإستدلال للأنبياء قبل أن تأتيهم النبوة من عند الله . . إبراهيم رأى كوكباً قال : ﴿هذا ربي فلما أفل﴾ بذاته عن عينه ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ ثم ارتقى في النظر إلى القمر والشمس ، ورجع فقال : ﴿إني بريء مما تشركون﴾ فدقق النظر في ذلك تعثر على العلم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إسماعيل بن عبد المحصي

قال : صدق الوعد ، حال الأنبياء والأكابر من عباد الله ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ .

وقال : الإحصاء تناه ، والأمر يتناهى منه إلاَّ ما دخل في الوجود ، وهو الوجود أبداً إلى غير نهاية .

وقال : الشيء قد يعبر به [عن] المعدوم الذي يمكن وجوده ، وعن الوجود الذي قد أتصف بالوجود ، وما خرج عن هذا الوصف فليس بشيء وقد ينتفي الشبيه عن المعدوم الذي يمكن وجوده ، ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً﴾ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ وهو يعلم نفسه ، ويعلم العدم ، فالله يرزقنا وإياك الفهم عن الله .

وقال : لا يحصى عليه من ينفعه ﴿أحصى كل شيء عدداً﴾ فما نفي إلاَّ خيره ﴿فأين تذهبون﴾ .

وقال : الأمر مكافأة . أخرج بما عندك لمن عندك ، يخرج إليك بما عنده لك . وما عنده لك لا يتناهى[1] ، فخرج لك بما عنده على الدوام ، من إحدى الصفتين في الآخرة ، ومن الصفتين في الدنيا ، فإنه المبلي المعافى .

---

(١) في الأصل : لا تباهي وهو تحريف .

وقال : أنفاس العبد يحصيها الحق لك لا له ، ما دام في عالم الأنفاس ، وينتهي الإحصاء فيها بانتهائها إن كانت متناهية .

وقال في الكتاب : **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾** وقال **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** والإحصاء حصر ، وكل محصور محدود ، ما رأيت في القرآن آية نبهتني على ما هو الأمر عليه ، مثل قوله : **﴿ولنبلوكم حتى نعلم﴾** . فقوله تعالىٰ : **﴿نعلم﴾**[1] فيه الفائدة لمن تنبه ، وعلم بالأشياء ، أعني المعلومات متعلق بما هو عليه المعلومات من وجود عدم .

قال : «لا أحصي ثناء عليك» .

وقال : إن تناهت الأمهات وهي الأجناس ، فإن الأولاد غير متناهية وهي الأشخاص ، فإن الولادة دائمة .

وقال : أحوال الخلق في الدنيا هم أولاد الليل والنهار ، فلا بد من إحصائهم لتناهيهم . وأحوالهم في الآخرة ، أولاد الزمان خاصة ، وما عندهم تناه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد العبدي

قال : بدأ الخلق باسمه الأول ، فكل مخلوق ينظر إليه ، فما لبقاء العالم انتهاء .

وقال : بدأنا منه ، فإليه نعود ، فإنه لا بد من الرجوع إلى الأصل .

بدأ الخلق باسمه الأول ... فأنا فيه قلب حول
فانظروا في الذي أتيت به ... فعليه مدارنا الأول
وعليه أهل النهي اعتمدوا ... وعليه عول من عولوا

وقال : إذا كانت الأصول لا تؤثر في الأخلاق ، فما ظنك بالفروع ، وما أحسن ما قيل :

---

(١) في الأصل : يعلم .

ومـا ينفـع الأصـل من هـاشم　　إذا كـانـت النفس مـن بـاهلـه

والأصل المزاج فطوبى لأهل المزاج المعتدل . فإن إنحرف ولا بد ، فإلى عليين ، فإنه قال : ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ . صفته العلو ، فإنه رفيع الدرجات .

قال : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ . وما نحن إلاَّ عنده وبعينه ﴿تجري بأعيننا﴾ .

وقال : النفس منفوخة فهي نفس روح طاهر . مضاف إليه عزّ وجلّ فمن أين طرأت عليه العلة ؟ ما ذاك الأمر إلاَّ من المزاج ، وهو المعبر عنه بالاستعداد ، والقبول بحسب الاستعداد .

وقال : نور الشمس على صفة واحدة ، فيضرب الزجاج المتلون فينعكس ، فيظهر فيه من الألوان ما عليه الزجاج في رأي العين . والنور في عينه ما تغير . فافهم المثل ، فإه قد جل ، وكذلك التحول في الغمامة[1] يوم القيامة . والزجاج القلوب ، والألوان الاعتقادات ، والحق لا يتغير ، ولكن هكذا[2] تراه .

الأمـر بـدأ وإلـيـه نـعـود　　وعلم مـا جئنـا بـه في السجود
ثـم إذا قـمـنـا إلـى حـالـة　　أخرى فلا بـد لنـا من قعـود
يا أيها النـاس انظروا في الـذي　　أنبـأتكم عنـه فـذاك الوجـود
لـو أنـه يـفـضـل عـن خـلقـه　　لم يكـن الحق ونحن العبيـد
لـكـنـه الـلّه الـذي حـكـمـه　　مـاض ويقضي علمه مـا يريـد
وهـو الـذي دل دلـيـل الحجـا　　عليـه في حـال الفنـا والشهـود

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن سليم بن عبد المعيد

قال : ﴿كما بدأكم تعودون﴾ . يريد والله أعلم : على غير مثال .

وقال : ﴿وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده﴾ . فيما بدأه منه ، وقد علمنا أن

---

(١) في الأصل : في العلامة . والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : هذا تـراه .

نشأة الآخرة على غير نشأة الدنيا ، أعني في المزاج . فقد تكون الإعادة إعادة إلى خلقه **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾** تنبيه إلهي **﴿لقوم يعقلون﴾** .

وقال : تعود الأرواح إلى تدبير أجسادها .

وقال : **﴿إذا بعثر ما في القبور﴾** دليل على إعادة جواهر الأجسام على مزاج يريده الله :

وقال : ينزل الله مطراً من السماء مثل مني الرجال ، عندما يريد الحق بروز الناس من قبورهم ، فينشئهم الله من ذلك الماء ، فتنبت من الأرض نباتاً ، فإذا ظهرت الأجساد من القبور ، تولتها الأرواح بالتدبير ، على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة بعد إن كانت عزلت عنها ، وما عزلت بل الدار تهدمت ، والملك باق ببيعة صاحبه ، فإذا بنيت له رجع إليها يسكنها كما كان أول أمره ، فقوي أساسها وأحسن بناءها ، وحفظها من الخراب ، فهي دار باقية غير فانية .

وقال : الإعادة لما كانت بالتكرار قال من قال ما شاء ، ولا تكرار أصلاً للإتساع الإلهي ، وقد وصف المخبر عن الله أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا إلاّ في الإسم ، وهكذا جميع أحوال الدار الأخرة .

وقال : ما هي عين ما مضى ، ويريد المزاج . وهي عين ما مضى ، وهي الجواهر . فإنها ما انعدمت ، ولكن انتقلت عن تلك الصفات ، وتقلبت في صفات غيرها ، والإضافات حجبت أهل النظر **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** فيعقلون ما هو الأمر عليه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد المحي

قال : «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» . وما ثم إلاّ حي ، فما الأمر وجود بعد عدم ، ولكن الأمر إنتقال من حال إلى حال ، واجتماع خاص ، عن خاص ، عن افتراق . فهي المحي بلا خلاف بالاتصال ، كما كان المميت بالانفصال .

وقال : من عرف أن الأمر نسب وإضافات ، هان عليه ما يسمع من تناقض

الحكم ، وعلم أنه ما ثم تناقض ، لكن الغافل ﴿في لبس من خلق جديد﴾ .

وقال : ليس إلاَّ من أحيا ثم أمات ، ثم أحيا بالإرادة ، حتى يقول المعترض : إن الأمر وقع بالإتفاق[1] ، وما ثم أمر إلاَّ وهو مقصود لله تعالىٰ . وبقاؤه وفناؤه ، فإنه من رد إليك ملكك ، فقد جدد لك الولاية عليه ، ومن رد عليك حياتك ، فقد أحياك ، ومن أحياك أنعم عليك ، فوجب عليك الشكر ، فمن شكر دل شكره على كرم أصله . ومن لم يشكر دل عدم شكره على جهله ، ودناءة أصله فوجبت العقوبة واستحقت ، فمن الناس من أحياه الله ليزيده نعمة إلى نعمته ، ومن الناس من أحياه ، ليعذبه ، تصديقاً لقوله في وعيده :

فسبحان من أحيا النفوس بعودها لتدبيرها قصداً على القسر والرغم
لينعم من والاه بالحسن والرضا فزاد الذي عاداه غماً إلى غم

(١) يقول العلامة «كريس موريسون» رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك في كتابه : «الإنسان لا يقف وحده» (نستطيع أن نبرهن بقانون الرياضيات الثابت، على أن عالمنا قد تم تصميمه وتنفيذه ، بوساطة ذكاء هندسي عظيم ، ولنفرض أنك وضعت في جيبك عشرة قروش تحمل أرقاماً من ١ : ١٠ وخلطتها تماماً . والآن ، حاول أن تخرجها حسب ترتيب الأرقام ، مع إعادة القطعة ، ثم هزها جميعاً مرة أخرى . إن فرصتك في سحب رقم «١» هي بنسبة ١ : ١٠ وفي سحب ١ و٢ على الترتيب ، تعادل ١ : ١٠٠ أما فرصتك في سحبها جميعاً من ١ : ١٠ ، على الترتيب فستصل إلى ١ : عشرة الاف مليون .

وبنفس الطريقة والتعليل ، توجد حالات عديدة بنفس الأحكام ، للحياة على الأرض ، لدرجة لا يمكن معها أن يكون وجودها بمجرد الصدفة ، فالأرض تدور حول محورها عند خط الاستواء ، بسرعة ١٦٠٠ كيلو متر في الساعاة ، فإذا دارت بسرعة ١٦٠ كيلو متر فقط في الساعة صار كل من ليلنا ونهارنا عشرة أمثاله الآن . ويحتمل مع ذلك احتراق النبات نهاراً . وتجمد الأسماك ليلاً . وكذلك حرارة سطح الشمس وهي مصدر حياتنا تبلغ ٥٥٠٠ درجة مئوية ، وأرضنا بعيدة عن هذه النار لحد يكفل تدفئتنا بقدر كاف . فإذا هبطت الحرارة إلى النصف فقد نتجمد ، وإذا زادت بقدر النصف فقد تشوي أجسامنا . أما ميل الأرض الذي يبلغ ٢٣ درجة مئوية ، فإنه يكفل لنا الفصول الأربعة ، فإذا لم تكن الأرض على هذا الميل ، فقد ينطلق البخار من المحيط شمالاً وجنوباً ويكون فوقنا قارات من الثلوج . وإذا بعد القمر عنا ٨٠٠٠٠ كيلو متراً بدلاً من بعده الحقيقي ، فإن المد سيكون هائلاً إلى حد يكفي لإغراق القارات مرتين في اليوم . وإذا كان سمك القشرة الأرضية أكثر مما هو عليه بثلاثة أمتار لانعدم الأكسوجين الذي لا حياة بدونه . وإذا زاد عمق المحيطات متراً واحد أو ما يقرب من المتر . فإنها تمتصى ثاني أكسيد الكربون والأكسوجين ، وتنعدم الحياة للنبات .

إذن ، لا توجد فرصة في كل ألف مليون ، للقول بأن الكون صدفة .

ولم يحيها في نفسها غير إنه أقام لها بيتاً من الكيف والكم

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يعقوب بن عبد المميت

قال : خلق الله الموت والحياة إبتلاء لعبادة .

وقال : أهل المؤاخذة إذا أدخلهم الله النار ، وما هم من أهلها المقيمين فيها أماتهم الله في النار إماتة الحديث ، فهو ميت في الدنيا والآخرة وفي البرزخ .

وقال : ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ .

وقال : الموت إنتقال من دار إلى دار . ومن حال إلى حال ، فأما الانتقال فلا يزال أبداً في الآخرة[1] ، تتقلب على الناس أحوالهم ، فهم ينتقلون من حال إلى حال ، ومن دار خزي وهوان إلى دار نعيم وأمان .

وقال : ﴿قالوا ربنا أمتنا أثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ . هذا حكاية قولهم عرفنا الله بها ، فتفكروا في القرآن . فإنه منه ما هو من الله بطريق الحكاية على المعنى ، ومنه ما هو عن نفسه سبحانه من غير حكاية . وهذا موضع أغفل الناس الكلام عليه ، لوضوحه .

وقال :

الروح واحدة والنشيء مختلف في صورة الجسم كان الأمر فاعتبروا
في الجسم كان اختلاف النشء فاعتمدوا على الذي قلته في ذاك وادكروا
فإنه العلم لا ريب يداخله والشمس تعرف ما قلناه والقمر

وقال : الأرواح ثلاثة : أرواح مهيمة[2] في جلال الله ، ما عندها علم ولا شهودة إلاّ جلال الله ، لا تعرف أن الله خلق خلقاً سواها . وأرواح مسخرة ، هم عمار السموات ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ . سخرهم الله لنا

---

(١) راجع (العالم غير المنظور . للدكتور علي عبد الجليل راضي ، فصل كامل عن الموت) .

(٢)) في الأصل : فهيمة .

في جميع مصالحنا ، دنيا وآخرة . وأرواح مدبرة ، وهي أرواح أجسامنا التي قضي عليها الموت ، وسخر بعضها للبعض فالمهيمة حائرة ، والمسخرة ذاكرة ، والمدبرة ناهية وآمرة .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد القيوم

قال : القيام على العالم صفة ربانية **﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾** .

وقال : العول الميل . عالت الفريضة إذا مالت . والميل مرض ، فاطلب من الله صحة الحال والقصد ، في التوجه إليه سبحانه .

وقال : كل قيوم حي ، وليس كل حي قيوم إلاَّ بوجه ما . ويصح أن يكون كل حي قائم . والأنفاس كثيرة ، وله قيام في كل نفس[1] ، فصح النعت بالقيومية له ، كذلك ، أو كمثل النفوس سواء .

وقال : لا تكن عبداً إلاَّ لمن يقوم بمصالحك ، كانت ما كانت ، وما يقوم بأمورك إلاَّ الله ، فلا يستعبدك سواه ، فهو المسخر لك عباده ، فافهم[2] **﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾** . فيسخر الأعلىٰ الأدنىٰ ، فيما يريد بالأمر ، ويسخر الأدنىٰ الأعلىٰ بتسخيره الأدنىٰ بالأمر ، ولا يتفطن الأدنىٰ بتسخيره الأعلىٰ .

وقال : **﴿الله خالق كل شيء﴾** فهذا أمر إلهي ليس للعبد فيه تعمل . أمرنا بالدعاء فدعونا فأجاب . فلا تشك أنه استعملنا في الدعاء ، واستعمل الدعاء في الإجابة ، فقال عن نفسه **﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** .

---

(١) يقصد قيومية التدبير بالأنفاس في البدن والحال والعلم .

(٢) يريد الشيخ الأكبر إن أي إنسان قام بمصالحك فاحذر أن تكون عبداً له لأن الله هو المسخر له ليقوم بمصالحك . بنص القرآن الكريم ، وهذا أصل عظيم من أصول الأخلاق الصوفية يعصم من شرور كثيرة ، لأن الفساد الاجتماعي كله ناشيء عن استعباد الإنسان للإنسان واستجابة البعض لذلك .

وقـــال :

دنـيـاك دار بـلاء فـيـه عـافـيـة فمـالهـا غيـر سكنـاهـا وفي العقبى
لنـا التـحـكـم فـيـهـا لا إلـى أجـل تجـري إليـه ولي العمـرى مـع الـرقبى
ولست أسـألكم أجـراً عـليـه سـوى مـودة منكـمـو في الأهـل والـقـربى

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن داود بن عبد المقسط

قـال : إذا أوتي الإنسان الحكمة وفصل الخطاب ، ومكن عند السؤال من الحكم[1] بالإصابة فيما سئل فيه ، فقد أوتي خيراً كثيراً ﴿**وما يذكر إلاَّ أولو الألباب**﴾ .

وقـال : المقسط من عدل في الحكومة ، وهو ممن تنعم الجنة بدخوله فيها . وأما القاسط فهو من حطب جهنم ؛ ووقودها الناس . وهم القاسطون ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً**﴾ : والحجارة وهي الآلهة[2] المعبودة التي نحتوها ، ﴿**أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون**﴾ .

وقال : ﴿**وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاَّ كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه**﴾ وهو الذي حد لهم ، ثم عينهم ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ .

وقال : المقسط عادل ، والقاسطة جائر ، وكلاهما مائل ، فالعادل المائل إلى الخير ، والجائر المائل إلى الشر ، وهما كفتان[3] .

وقال : كن داودياً ، تكن صاحب صنعة لبوس ، فتحصن كما فعلت ما يحصن ، فهي بالقصد الأول محمودة ، وإن استعملها العدو ، وتحصن بها من بأسك ، عند مقاتلته إياك ، فإنه قاتلك بهواه ، وقاتلته أنت عن أمر الله ، والله غالب على أمره .

---

(١) في الأصل : الحولب . تحريف والسياق يقتضي ما أثبتناه .
(٢) في الأصل : الألفة وهو تحريف ظاهر .
(٣)) في الأصل : وما كفتان .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن سليمان بن عبد المغني

قال : المقام الصحيح . . . والقول الصريح . . . فيمن سخرت له الريح . . . نصرت بالصبار . . . وهو طلوع النور . . . فمالت إلى النصر . . . وله جاءت . . . فهي عين الدبور . . . ما جاءت بالنصر . . . . إلاَّ لتهلك عدو المنصور .

وقال : إذا أراد الله أن يهلك يأجوج ومأجوج ، جعل فيهم داء فأصابهم في أعناقهم . وهو ريح . والمؤمنون إذا أراد الله قبض أرواحهم إليه ، جاءتهم ريح أطيب من ريح المسك ، تأخذهم من تحت آباطهم ، فتذهب بأرواحهم إلى ربهم ، فيصفيهم بالبقاء والبشرى .

وقال : ما تسمي بالمغني إلاَّ لكون الغني به ، فمن أتصف بصفة الغني فهو سيد ، ومن أتصف بالفقر فهو عبد .

وقال : كن عبداً في غناك . . . وكن سيداً في فقرك ، تكن كاملاً .

وقال : من أغناك فقد ولاك . . . وأعظم الولاية ، ولايتك على نفسك[1] ، فمن ولاه الله على نفسه ، بايعته جوارحه على السمع والطاعة . وتلك [هي] العصمة في الأنبياء ، والحفظ في الأتباع [وهم] الأولياء من المؤمنين .

وقال : لا يستغني بالله إلاَّ من افتقر إليه ، ولذلك تسمى بالمغني .

وقال : من علم الإشارة في تسخير الريح لسليمان (ع) ، علم أن الريح هبوب الهواء ، فيقوم به عدم الثبوت .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

---

(١) في الأصل : ولايتك عن نفسك .

عبد الله بن هرون بن عبد البديع

قال : أعظم المصائب شماتة الأعداء .

وقال : النار ولا العار .

وقال : لا تبتدع ، فيوجب الله ذلك الإبتداع عليك في شرعنا ، «من سن سنة حسنة» وما سماها بدعة . فإنها مشروعة ، فإن شرعك قررها .

وقال : في غير المحمدي فيما ابتدعه . أن الله ما كتب [ـها] عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله ، ولأجل هذا أيضاً ابتدعوها ، لكن ﴿**فما رعوها حق رعايتها**﴾ . فإن ابتدعت ، وهو تعيين سنة لم يعينها الله لك إلاّ بتعيينك ، فالزمها . وأئت بها على وجهها ، واشكر الله على إلحاقك ، حيث ألحقك بأنبيائه ورسله ، فأباح لك أن تسن ما سنوه بما يقرب إلى الله(١) .

وقال : كن متبعاً ، لا مبتدعاً . إن كنت محمدياً . فإنه (ص) كان يحب التخفيف عن أمته ، ويكره المساءلة ، خوفاً [من] أن يزيد الله في تكليف أمته . فاتبع مرضاة محمد نبيك (ص) . فإن الله يرضي ما يرضي نبيه .

وقال : يقول الله ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ ينبه [على] ألا تزيدوا على التكليف فإنه لا يأذن به الله . ولكن خير . فاختر الرفق بنفسك ، وبعباد الله ، توفق لمراد رسول الله (ص) .

وقال : عليك بما شرع الله لك .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن زكريا بن عبد الضار

قال : من نادى ربه ، وأخفى نداءه ودعاءه . فيما يذكره ، ويضيفه إلى ربه

---

(١) المراد من البدعة هنا السنة الحسنة الموافقة للشرع وليس دعوة إلى ما لم يشرعه الله ، فمن ألزم نفسه بذكر الله في أوقات لم يعينها الشارع . وبعدد أكثر مما عينه الشارع فتلك بدعة بمعنى سنة حسنة ، لأن لها أصلاً في الشريعة ، ولكن يجب إلتزامها ورعاية الحق فيها . ومن هذا الوجوب ومن الأقوال التالية يبدو جلياً تحذير الشيخ الأكبر مما لم يحدده الشارع رعاية للتخفيف .

إنه فعله به احتراماً لجنـابه[1] ، لا رغبـة في الإخلاص ، فـإنها مخلص في دعـائه ، فهو مرحوم بالرحمة الربانية ، وهذا من باب الغيرة على الجناب الإلهي .

وقال : كما أن الله هـو النافـع ، وأنت فقير ضعيف ، فـأسأل[2] . فـإن بعض الناس من الأهل ، لما تحققوا بهذا الاسم ، كانوا يطلبـون البلاء ، لمـا يجدون فيـه من الإلتـذاذ به ، فمـا كـانـوا يـطلبـونـه إلاّ لـذاك الإلتـذاذ . فلم يكن مـطلوبهـم إلاّ اللذة [3] .

وقال : ﴿أولئك الذين﴾ يعني الأنبياء (عليهم السـلام) ﴿هدى الله فـبهـداهم اقتـده﴾ [4] فأمـر بالإقتـداء ، فلا تعـدل عن محجتهم الأصلية ، وهي[5] اتبـاعك مـا شرع لك سبحانه ، اتباعه واجتناب[6] ما شرع لك إجتنابه ، تكن متبعاً .

وقـال : أطلب من الله من يقوم مقـامك بعـد موتـك ، حتى لا ينقـطع عملك بموتك . فـإن ابن آدم إذا مات ، انقـطع عمله إلاّ من ثلاث . من صـدقة جـارية ، أو علم يبثه في الناس ، أو ولد صالح يدعو له .

وقال : النكاح سنة نبيك (ص) ، فلا ترغب عنه .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إسماعيل بن عبد النافع

قـال : النفوس مجبـولة على طلب المنـافع ، ودفـع المضار ، فـاسـأل ربـك

---

(١) أي إن الواجب ألا يجهر العبد بما أصابه من الضر ، الذي دفعه إلى الدعـاء ، فإذا أخفي دعـاءه هكذا كان مرحوماً .

(٢) في الأصل : فسأل كشف الضر عنه .

(٣) في مثل هذا اللون من السلوك الممنوع . أن تتمنى البلاء لنفسـك وأما اللذة بـالبلاء فـلا مانـع منها ، إذ كتمها ذائقها ، وأفادته علماً فـإن كتمها ولـم يـذق منها علمـاً ، فهي لذة نفسيـة ، وإن ذاق منهـا علماً فهي رحمـانية ، وإن بـاح بها وتحـدث فهي شيطانيـة (راجع أيضـاً . الوصـايـا للحارث المحاسبي . نشر مكتبة صبيح بالأزهر) .

(٤) في الأصل : اقتدهم .

(٥) في الأصل : وهو اتباعك .

(٦) في الأصل : واجتنب .

المنفعة العامة . وليس إلاَّ أن يزول عنك الألم ، وترزق الالتذاذ بكل ما يجري عليك[1] .

إني لأحذر من نفع تجود به ... على عبيدك فيما قد يؤمله[2]
تجيبه حين يدعوكم ويسألكم ... وما يجيبك يوماً حين تسأله
إذا يعن له أمر يؤجله[3] ... لله . وهو مع الأدنى يعجله[4]
إني لأخجل من شخص دعاه بنا ... ولست[5] أخجل من شخص نخجله
فما يؤخرنا إلاَّ تكاسلنا ... وما يقدمنا إلاَّ تفضله
وكل شيء لنا لديه يبذله ... وكل شيء له لدي أبذله
إني لأعرف من قد كنت أجهله ... فما[6] يبدلنا إلاَّ تبدله

وقال : أكثر الدعاء إلى الله بالقبول . فإن الله لا يقبل إلاَّ الطيب . فإنك إذا دعوت بالقبول ، فقد دعوت بما يرضي الله . وأنت تعلم أن الإنسان يفرح بقبول السلطان هديته ، وذلك الفرح على الحقيقة ما هو بقبول الهدية ، وإنما هو بقبول السلطان عليه ، وحظوته منه ، وشغوفه عنده على غيره .

وقال : النفس رغبت[7] في معالي الأمور أن تكون صفة لها .

وقال : توسم أهل الله . أن يسأل الله في التوبة ، وهي الرجوع إلى الله في جميع الأحوال . بطريق من الرحمة . والعناية .

وقال : إذا سخرك الكبير فيما يرضيه ، فقد اصطفاك واختارك لخدمته وأنت مفتقر إليه ، فلا بد أن تفرح لذلك وتسر .

وقال : إطلب من الله من كونه سامع الدعاء ، عالماً بالأحوال ، أن يتقبل

---

(١) ومن هذا الدعاء قول سيدي أبي الحسن الشاذلي في حزب البر الكبير «اللّهم إنا لا نسألك رفع ما تريد ، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيدت أنبياءك ورسلك ، وخاصة الصديقين من خلقك» .
(٢) في الأصل : تؤمله .
(٣) في الأصل : نؤجله .
(٤) في الأصل : نعجله .
(٥) في الأصل : ولست من أخجل من شخص .
(٦) في الأصل : فيما يبدلنا .
(٧) في الأصل : رغب .

إقبالك عليه ، ودعاءك إياه ، فإنه رحيم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن إليسع بن عبد الهادي

قال : وسع على أهلك ما استطعت ولو بالخلق ، فإنك لم تسعهم بمالك . والخلق عيال الله ، والله واسع عليم تجدها بشرى إلهية . وانظر إلى مننه عليك في أن جعل نفسه خليفة عنك في الأهل ، وأنت خليفته في الأرض لأنها أفعال العادلة .

وقال : إن الله لما خلق الإنسان علمه البيان ، وما علمه إلا باسمه الرحمن ، فعلم القرآن ، على قلب من ينزل [عليه] ، فنزل به الروح الأمين ، على قلب محمد (ص) ، بلسان عربي مبين ، ليكون به نذيراً للعالمين فعليك البراءة ، فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ وهو أبوه الذي له عليه ولادة **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾** فقدم الآباء على الأبناء وذلك قطعة من كبدك، وأنت قطعة من كبد أبيك . فقدم من قدم الله ، فما قدمهم الله سدى على الأبناء ، لأن الأب سبب في ظهور عينك ، والأم أب آخر ، وباجتماعهما أظهرك الله ، فاعرف قدرهما .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

عبد الله بن داود بن عبد المعطي

قال : منع الله عطاء ، إذا قال أحدكم : لم نعط أعطاه الله . لم نعط[1] .

إذا ما قلت لم نعط	فقد أعطيت لم نعطه
ولا تنظر إلى خلق	تقسع من ذاك في ورطة
فإن حلت فقد جلت	تقول إلهنا حطه
ويحكيها عن أقوام	شهود ما لهم غلطة

(١) لتقريب ذلك إذا منع الله عنك الدنيا ، فقد أعطاك التفرغ له بالكلية وأعطاك سلامة الصحة ، والذكاء في العمل ، وإذا منعك صحة البدن ، فقد أعطاك سكون الجوارح عن السعي في مكارهه ، وصدق الإفتقار إليه ، وهكذا .

فـمـا شـبـهـتـهـم إلاّ كـدائـرة عـلـى نـقـطـة
خـطوطـهـم سـواسـيـة وهـم منـهـا عـلى خـطـة
وقـد أوتـو كـمـا أوتـي إمـام دونـهـم بـسـطـة
وحـاز الـسـيـد الـمعـصـوم فـيـهـم مـنـهـم قـسـطـة

وقـال : الإنـسـان صـاحب أنفاس ، والله يعـطيه أنفـاسه في كـل لحظة ، ومن أعطاه الأنفاس ، فقد أعطاه الحياة .

وقال : لا يزال الحق يجدد الأعراض على أجسام العوالم[1] كلها وجواهـرها لا بقاء لها ، إلاّ بتجدد الأعراض عليها .

وقـال : ﴿كل يـوم هو في شـأن﴾ ، وشؤون الحق ، ما هـو العـالم عليه من الأحوال المختلفة والمتقابلة والمتماثلة .

وقال : غذاء جسم الحيوان أنفاسـه ، وغذاء الجـواهر والأجسـام أعراضهـا ، ولمـا لم يكن للعرض غـذاء فني الزمن الفـرد الذي يلي زمـان وجوده ، فقـال أهـل الكـلام : إن العـرض لا يبقى زمـانين وهـو إلهـام عجيب من الله ، وفقهم لـه حين ألهمهم الذي هو الأمـر ، وسبب ذلك الحـركات المحسـوسة من الأجسـام على أي حالة وقعت ، من لسان غير لسان ، فركبوا من ذلك دليـلاً معلوماً ، مـع حصر عـدم ما شاهدوا من ذلك .

وقال : داود وسليمان (عليهما السلام) ، لمـا حكما في الحـرث ، نفشت فيه غنم القـوم ، والنفش الرعي بـالليل ، فحكم سليمـان بشيء في ذلك ، وحكم داود بأمر آخر .

وقال الله : ﴿ففهمناها سليمـان وكـلا آتينا حكماً وعلماً﴾ ومن هنـا وأمثالـه ، أخـذنا أن كـل مجتهد مصيب ، وإن لم يكن نصـاً في الباب إلاّ أنه يستروح منـه ما ذكرنا .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

---

(١) في الأصل : العالم .

قال : أيوب مدحه الله بالصبر ، وشهد له به وحده ، صابراً . مع قوله لربه : ﴿مسني الضر﴾ فعلمنا من ذلك ، أن حد الصبر : ألا يشكو المبتلي إلى غير الله ، فيقدح في صبره ، وعلمنا أن الله لا يريد شرعاً من عباده إذا ابتلاهم ، أنهم لا يلجأون في رفع ما نزل بهم إلاّ إلى الله عز وجلّ ، فإن الوقوف مع العبودية والفقر أولىٰ بالعبد من مقاومة القهر الإلهي . جاع بعض رجال الله فبكى ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما جوعني لأبكي .

وقال : الصبر للعارف بالله [عن] البلاء سوء أدب مع الله ، وإن قاومته به فهو أتمّ الصبر ، فاجهد ألا تكون محلاً لسوء أدب . إذ الأدباء هم الذين عصمهم الله من جريان ألسنة الذنوب عليهم ، فكيف أن يكونوا محلاً لوقوع الذنوب منهم .

وقال : عطاؤه في منعه ، فما منع سبحانه أحداً من وجه ، إلاّ أعطاه[1] في ذلك المنع من وجه آخر . لأنه مجبول على الحاجة ﴿ولذلك خلقهم﴾ .

وقال : الممكن محتاج بالذات . ألا تراه يفتقر إلى المرجح ؟ .

وقال : الرشد الهدى إلى الصواب فيما تحاوله ، وكل رشيد فهو مهدي يدعو إلى هدي ، وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة ، كما أخبر الله ، وأمر بقول ذلك ، والإخبار عنه .

وقال : قال موسى للخضر (عليهما السلام) : ﴿هل أتبعك على أن تُعلِّمَنِ مما علمت رشداً﴾ . فقال خضر : ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ وكذلك وقع . فإن الغيرة تغلب على الرسل في الله إذا رأوا انتهاك حرمة الحق ، ويغيبون عن كل ما سوى الله ، ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ فعلوم الأذواق يقل العثور عليها ، والتصديق بها لعزتها وعلو مكانتها ، وهي علوم الأنبياء (عليهم السلام) ، ومن اعتنى الله به من الأولياء .

وقال : ثم طائفة إذا رأوا سبيل الرشد اتخذوه سبيلاً إلى الله تعالىٰ ، ليعرفهم بمصالحهم ما داموا في دار التكليف ، فإذا انقلبوا إلى محل لا تكليف

(١) في الأصل : إلاّ عطاء في ذلك .

فيه زال الطريق ، وكانوا سكان الدار الحيوان . فأفلحوا .

وقال : ليس العجب إلاّ من قول الله عزّ وجلّ : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ مع قوله : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ وإن كان المراد هنا أمثالكم . فقال رسول الله (ص) : «لا أزكي على الله أحداً» فقيل : بقوله على الله . وهو الأدب . فسد باب العلم ، ولم يسد باب الظن . فقال : «بل قل : أحسبه كذا وأظنه كذا . والله حسيبه» والتزكية في قوله : ﴿قد أفلح﴾ بالأعمال . والنهي عن التزكية في الأحكام على الله . مع علمنا أن في عباد الله من هو زكي عند الله ، من غير تعيين ، [وقد] عينه الله ، مثل الأنبياء (عليهم السلام) ومن سواهم فأمرهم في المشيئة . ومن هو في المشيئة فهو في عمي وامره إلى الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن موسى بن عبد الصبور

قال : لما أخبرنا الله تعالىٰ في كتابه ، أنه تعالىٰ يؤذي ، في قوله : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ ذكر لنا ، أن من أسمائه الصبور ، من كونه لم يعاقبهم مع اقتداره على أخذهم . فهو سبحانه يمهل ويحكم ، ولا يهمل ، ولا يعجل بالعقوبة ، لعلمه أنه لا يفوته .

وقال : الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الناس[1] ، لا إلى الله ، ومن كثر منه ذلك ، فهو صبور وصبار .

وقال : الصبر على النعم أعظم من الصبر على البلاء . فإن في النعم تكليفاً ، فلذلك أضيف الصبر إليه ، وإنما النعم للشكر . هذا عند العاقل[2] ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ .

وقال :

من عامل اللّه ما تعني   وجاءه منه ما تمنى
فإن جنى العبد في أمور   فإنه عنه ما تجنى

(١) في الأصل : إلى الله والسياق يقتضي ما أثبتناه .
(٢) في الأصل : ولم صبر وغفر .

يـقـول مـن قـولـه دلـيـل ... مـن غش ذاك لـيـس مـنـا
مـا قـال ذاك الـذي ذكـرنـا ... إلاّ الـذي قـال ذاك عـنـا
فـإن دعـانـا إلـيـه حـيـنـاً ... وإن دعـونـاه وافـتـقـرنـا
إلـيـه فـالـكـل فـي يـديـه ... وعـنـه والـلّه مـا بـرحـنـا
سبحـانـه جـل مـن مـلـيـك ... يـمـلـكـنـا بـالـذي أردنـا
فـإن قـضـي ذاك فـهـو سؤلـي ... وإن رآى ذاك مـا اعـتـرضـنـا
بـالله يـا أخـوتي[1] تـعـالـوا ... نـطلب مـنـه الـذي أمـرنـا
في طلبي منـه عـيـن ذلـي ... وعين فـقـري فمـا انـفـصـلنـا
ومـا اتـصـلـنـا بـه ولـكـن ... مـن لـم يـجـب أمـره تـعـنـي

وقـال : من علم حقيقته لم يصبـر ، وسارع بـالدعـاء إلى الله في كشف الضر الـذي مسه عنـه ، فذاك حـال العلماء بـالله وبأنفسهم ، فمن عـامل الله بمـا تعطيـه حقيقة العبودية ، فقد وفي الأدب حقه .

وقال : من تحقق عجزه ، سخـر من ليس بعاجـز في حقه ، ليقـوم بمصالحـه سوى الله فإن الله لا يكون مسخراً لعبـاده ، بل هـو سبحانـه المسخر لـه من شاء من خلقـه ، وقد جـاء من ذلك في القـرآن آيات كثيـرة معلومة عنـد من يقـرأ القـرآن . أنشد بعضهم :

قـد حـيـيـتـكـم مـسـتـسـلـمـاً آمـنـاً ... لا تـقـتـلـوني قـد رمـيـت الـسـلاح

وقـال : من أسلم وجهـه إلىٰ الله فقـد سلم من الأخـذ والبـطش ، فـإن أحس مع إسلامه ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، التي لا إنفصـام لها ، وكـان الله سميعاً دعـاء ، عليماً بحـاله ، وليس إلاّ حـالة إضـطراره ، فمن وفق لم يـزل مضـطراً ومن اضـطر دعـا ، ومن دعـا اضـطراراً أخلص ، ومن أخلص في دعـائـه أجيب . فعلق الأمور بعضها ببعض .

والـلّه إنـي عـالـم بـالـذي ... يـطلبـه مـنـي بـمـا قـد شـرع
لـكـنـنـي أجـهـل تـوفـيـقـه ... إيـاي فـالـعـلـم بـه مـا نـفـع
مـا كـنـت إلاّ هـالـكـاً خـاسـراً ... وإنـمـا الـرحـمـن عـنـي دفـع
عـنـايـة مـنـه بـنـا إنـه ... يلطف وقتـاً بـالـذي قـد سمـع

(١) في الأصل : يا إخواني .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الله بن عبد المصون

قال : الصور من المخلوق متخيلة ، ومن الحق معلومة له غير متخيلة ، وبعد هذا فإن الأمر في هذا بحسب الصورة التي يقع فيها التجلي لهذا العبد ، فإن كانت الصورة من الصور التي تقتضي التخيل ، نسب إليها التخيل ، ووصفت به ، فيكون محلاً لما تجلى . وهذا محال . وإن كانت الصورة لا تقتضي التخيل كما يحسبها، فالأمر بحسب ما يقع فيه التجلي، ولولا إتساع الخيال في الحضرة ما أدخل الحق نفسه فيها .

قد أعبد[1] الله كأني أراه — وهو الذي أعبده في الخيال
وهو عليه تنزيهه ثابت — مقدس معظم ذو جلال
وهو جميل فإذا ما بدا — أودع ما يشاؤه في الخيال
فما تجلى لي سوى خالقي — وما أرى في العين إلّا الكمال
لو أنه يكشف عن عيننا — غطاءها لم نر إلّا الظلال
ساجداً وهو بها قائم — قام من ليس له زوال
جل فما يدركه خلقه — إلّا كما يدركه في المثال
ما يدرك المرء سوى نفسه — لذاك ما نبرح في الانتقال
من صورة عظمى إلى مثلها — عن مثل هذا ما لديه إنفصال
والله لولا الحق في كوننا — لما رأيناه بعين المحال
وإنما يصدق عبد أتى — بواجب أو جائز أو محال
والأمر والشأن كما قاله — فلم يزل قائله في ضلال
العبد من يعرفه ذو الجلال — ما هو من يعرفه ذو دلال
الشخص لا يعرف إلّا إذا — يشرع من دنياه في الإرتحال

وقال : يتجلى فينكر ، فيذكر العلامة فيتعرف بها ، فيتجلى لهم[2] فيها ، فيدخل قيد الصورة . ليقع الإقرار منهم بربوبيته ، فإنهم ما اعتقدوا فيه إلّا ذاك .

---

(١) في الأصل : نعبد .

(٢) في الأصل : اللّهم .

والحق ليس كمثله شيء . فما ذاك إلاّ راجع إلى اعتقادهم[1] خاصة . والأمر باق على أشكاله .

فليت شعري ما الذي نبصره ... وليست شعري ما الذي ندركه
إن كان حقاً ذاك مطلوبنا ... أو غير حق فأنا أتركه
فالملك لا يثبت إلاّ لمن ... قام به فهو الذي يملكه

وقال : من صورك فقد حكمك ، ومن حكمك فقد استولى عليك .

وقال : الإنتقام ينفع المنتقم منه ، ولا سيما الحاكم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن يوشع بن عبد العال المتعالي

قال : لا يكون المتعالي إذا علا ، إلاّ من اتصف بالنزول ، وأما العالي ، فلا يُقال فيه متعالي ، فللحق وجوه كثيرة ، لكل وجه اسم إلهي . فمنها ما يعلم ، ومنها ما لا يعلم عندنا ، فإن الله استأثر به في غيبه .

وقال : ما كل من تعالى تعالى .

وقال : المتعالي يؤذن بكسب العلو ، والحق له العلو ، والرفعة لنفسه . وكان ينبغي ألا يسمى بالمتعالي ، لكنه لما نزل إلى خلقه ، وأنزل نفسه منزلة عبده ، فقال في الحديث الصحيح : «جعت فلم تطعمني ، وظمئت فلم تسقني ، ومرضت فلم تعدني» .

ثم فسر فقال وقد قيل له[2] : كيف تطعم وأنت رب العالمين ؟ . فقال الله له : أما إن فلاناً ، وسمى بعض عبيده ، جاع فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، وقال في المريض : أما إنك لو عدته لوجدتني عنده .

وقال : لولا ما ذكر الحق [من] هذا وأمثاله عن نفسه ، ما جسر واحد من خلقه أن ينسب إليه شيء من ذلك .

---

(١) كرر الناسخ هذه الجملة هكذا «فما ذاك إلاّ راجع لاعتقادهم» .

(٢) في الأصل : قال له .

وقال : العبد الذي هو الإنسان ، خلقه الله في أحسن تقويم ، لكونه مجموع العالم لكونه خلق على صورته ، ولذلك ظهر بجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا تخلقاً ، فلولا [ذلك] ما قبلتها نشأته وما صح له ذلك ، ثم رده إلى أسفل سافلين ، يعني عالم الطبيعة ، فجعل نشأة ملكه التي هي جسم من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، ومن طين ، ومن تراب . ذكر الله له أصنافاً حتى لا يتكبر ، ولا يرفع رأسه ، لأنه معلم الملائكة الأسماء الإلهية التي توجهت على خلق العالم .

ومنهم (رضي الله عنهم) :

* * *

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الدهر

قال : لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر ، عصم الدهر عن السب بالإشتراك في التسمية .

وقال : لا يسب الدهر بذاته ، وإنما يسب لكونه ما ساعد العباد في خلق ما لهم في خلقه غرض . فلو وافق أغراضهم شكروه ، والأفعال الكائنة في الدهر الزمان ، الله هو الذي كونها فيه . فلذلك قال رسول الله (ص) : «لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر» موجد الأفعال .

وقال : يأتي الدهر ، ويراد به التأبيد ، يُقال : لا أفعل ذلك دهر الداهرين . وأبد الآبدين . وإن كانت إشارة إلى عدم إنقطاع المدة . أي لا تنقطع ، فإن حد الزمان وهو الدهر مقارنة حادث لحادث . يسأل عنه حتى يُقال : متى جاء زيد ؟ قالوا : عند طلوع الشمس . متى طلعت الشمس ؟ قالوا : عند مجيء زيد ، فكل واحد منهما وقت لصاحبه .

تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

قوبل بقدر الإمكان . . . . هكذا في الخاتمة